النص الكامل

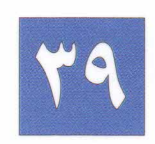
الطبعة القانونية الأولى والوحيدة باللغة العربية

أغاثا كريستي

جُثّةٌ في المَكْتَبَة









جُثَّةٌ في المَكْتَبَة

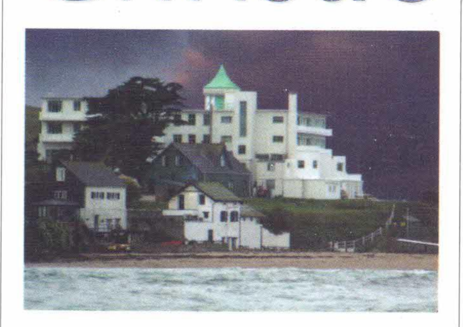
في السابعة صباحاً استيقظ الكولونيل بانتري وزوجته ليجدا جثة فتاة ملقاة على السجادة أمام الموقد في غرفة المكتبة!

من هي؟ وكيف وصلت إلى مكتبتهما؟ وما هي الصلة بينها وبين تلك الفتاة الأخرى التي عُثِر على جثتها محترقةً داخل سيارة في مكان غير بعيد؟

السيدة بانتري لا تجد مَن تستعين به سوى صديقتها المقرَّبة، الآنسة ماربل، فكيف ستنجح العانس العجوز في حل هذا اللغز المثير؟

رواية جديدة من روايات الكاتبة العملاقة التي تُعتبَر أعظم مؤلفة في التاريخ من حيثُ انتشار كتبها وعدد ما بيع منها من نسخ، وهي -بلا جدال- أشهر مَن كتب قصص الجريمة في القرن العشرين وفي سائر العصور. وقد تُرجمت رواياتها إلى معظم اللغات الحية، وقارب عدد ما طُبِع منها ألفَي مليون نسخة!

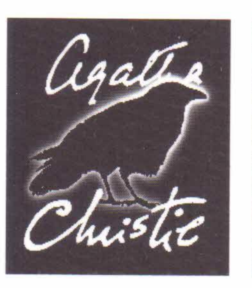
Agatha Christie



The Body in the Library

MARPLE

الآنسة ماربل





٣٩

رقم هذه الرواية حسب ترتيب صدور الروايات بالإنكليزية

الناشر وصاحب الحق الحصري بالطبعة العربية في جميع أنحاء العالم





ISBN 2-1957-2733-7



US $ 4.00

سعر البيع ١٥ ريالاً

أغاثا كريستي

جُثَّة في المَكْتَبَة

بسم الله الرحمن الرحيم

أغاثا كريستي

جُثَّة في المَكْتَبَة

طُبعت للمرّة الأولى باللغة الإنكليزية عام ١٩٤٢

ترجمة: نبيل عبد القادر البرادعي

تحرير: رمزي رامز حسّون



هذه هي الترجمة القانونية الوحيدة لهذا الكتاب
وهي تضم النصّ الكامل لرواية أغاثا كريستي
المنشورة أول مرة عام ١٩٤٢ بعنوان
The Body in the Library

Arabic edition published by AJYAL *Publishers*
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الأولى
٢٠٠٧

التوزيع في دول الخليج العربي
Pioneer House

دبي ٢٨٢٦٠٠٥ الكويت ٢٤٦٦٩٤٢ مسقط ٢٤٧٩٦٤١٤
قطر ٤٨٦٢١٢١ البحرين ٧٢٩٣٦٢٩

مقدمة المؤلفة

من العبارات التقليدية ما يرتبط بأنواع معينة من الكتابات الأدبية، فتجد عبارة مثل «البارون الأصلع القبيح» في الكتابات الميلودرامية، وعبارة مثل «جثة في المكتبة» في القصص البوليسية. وقد اختزنتُ في عقلي منذ سنين طويلة فكرة استثمار مثل هذه العبارات المشهورة في بعض كتاباتي، لكني وضعتُ لنفسي شروطاً معينة؛ فالمكتبة المَعْنيّة يجب أن تكون مكتبة تقليدية تماماً، أما الجثة فينبغي أن تكون جثة مُستهجَنة تماماً ومثيرة جداً.

كانت هذه هي الشروط، ولكنها بقيت لسنوات على ما هي عليه، لا تعدو كونَها بضعة أسطر مكتوبة في دفتر المسوَدّات. وذات يوم، وفيما كنتُ أقيم في أحد مواسم الصيف لبضعة أيام في فندق على شاطئ البحر، لاحظتُ عائلة تجلس إلى إحدى الموائد في غرفة الطعام. رجل كهل مُقعَد يجلس في كرسي متحرك، ومعه أفراد عائلته الأكثر شباباً. ومن حسن الحظ أنهم غادروا في اليوم التالي، بحيث أمكن لخيالي أن ينطلق ويعمل دون أن يعيقه أي نوع من المعرفة المسبَقة.

عندما يسألني الناس: "هل تستعملين أشخاصاً حقيقيين في رواياتك؟" يكون الجواب هو أنه من المستحيل تماماً -بالنسبة لي- أن أكتب عن أي شخص أعرفه أو سبق لي أن تحدثتُ معه أو سمعت به! إن ذلك يقتل تلك الشخصيات تماماً لسبب لا أعرفه. ولكن بوسعي أن آخذ «شخصية خاماً» وأنفخ فيها المزايا والخيالات التي أريدها.

وهكذا صار الرجل الكهل المقعَد أحد محاور القصة. وقد كان لدى صديقَي الآنسة ماربل العجوزَين، أعني الكولونيل بانتري وزوجته، مكتبة من نفس ذلك النوع المطلوب تماماً. وإذا ما جاز أن نستعير لغة وصفات الطبخ فما علينا إلا أن «نضيف بعض المكوِّنات» (كملعب تنس وفتاة كشّافة، إلخ) ثم نقدّمها في طبق على طريقة الآنسة ماربل!

أغاثا كريستي

الفصل الأول

-١-

كانت السيدة بانتري مستغرقة في نومها تحلم بأنها قد فازت بالجائزة الأولى في مسابقة عرض الأزهار، وكانت تستمتع بحلمها تماماً شأنَها كل صباح، حيث يُنهي استمتاعَها بالمنام وصولُ شاي الصباح.

في مكان ما من شعورها الداخلي غير الواعي بدأت تحسّ بالأصوات الصباحية المعتادة في المنزل؛ صوت حلقات الستائر تجري على سكّتها إذ تفتح الخادمة الستائر، وأصوات سطل الكنس والفرشاة التي تصدر عن الخادمة الأخرى في الممر الذي يمتد خارج الغرفة، ومن بعيد الصوت الثقيل لمزلاج الباب الأمامي وهو يُسحَب.

كان من المألوف أن تستمر هذه الضجة نصف ساعة أخرى غيرَ مسبِّبة أيّ إزعاج للسيدة بانتري (لأنها صارت معتادة مألوفة لطول تكرارها)، حتى ينهيها وقعُ أقدام رشيق منضبط عبر الممر وحفيفُ ثوب خفيف يتلوه رنينٌ مكتوم لأواني الشاي حين توضع الصينية على الطاولة خارج الغرفة، وينتهي ذلك

كله أخيراً بطرقة ناعمة على الباب تدخل بعدها الخادمة ماري لتفتح الستائر.

يوم آخر يبدأ، وفي غضون ذلك يجب عليها أن تستخلص ما تستطيعه من المتعة من معرض الأزهار قبل أن ينقطع الحلم بالاستيقاظ.

عبست السيدة بانتري في نومها، فقد كان شيء مزعج يخترق داخلاً إلى حالة النوم، شيء خارجَ وقته... خطوات في الممر، خطوات مستعجلة جداً ومُلحّة جداً. أصغت أذناها دون وعي لتسمع أصوات أواني الشاي وهي توضع على الصينية خارج الباب، ولكنها لم تسمع شيئاً من ذلك.

ثم جاءت القرعة على الباب، ومن أعماق حلمها قالت السيدة بانتري بصورة آلية: "ادخلي". انفتح الباب. ستسمع الآن قرقعة الحلقات عندما تُفتَح الستائر. ولكنها لم تسمع قرقعة حلقات الستائر، بل سمعت صوت ماري.

كان صوتاً مقطوع الأنفاس وهستيري الوَقْع وهي تقول: آه يا سيدتي، آه يا سيدتي، توجد جثة في المكتبة.

ثم اندفعت خارج الحجرة وهي تنفجر باكية بصورة هستيرية!

-٢-

انتصبت السيدة بانتري جالسة في سريرها. إما أن يكون حلمها قد اتخذ منعطفاً غريباً جداً أو أن... أو أن ماري قد اندفعت فعلاً إلى الغرفة وقالت إن في المكتبة جثة! إنه أمر خيالي لا يُصدَّق!

قالت السيدة بانتري لنفسها: مستحيل، لا بد أنني كنت أحلم.

ولكن حتى وهي تقول ذلك شعرت -بثقة متزايدة- بأنها لم تكن تحلم وبأن ماري، خادمتها الممتازة الرابطة الجأش، قد نطقت فعلاً بتلك الكلمات الخيالية.

فكرت السيدة بانتري لحظة ثم وكزت بمرفق لَحوح زوجَها النائم قائلة: آرثر، آرثر، استيقظ.

دمدم الكولونيل بانتري وتمتم وانقلب على جنبه.

- انهض يا آرثر. هل سمعتَ ما قالته؟

قال الكولونيل بانتري مغمغماً: هذا محتمَل جداً، أوافقك الرأي تماماً يا دولي.

ثم نام من جديد، فهزَّته السيدة بانتري قائلة: يجب أن تُصغي إليّ. لقد دخلت ماري وقالت إن في المكتبة جثة.

- إيه، ماذا؟

- جثة في المكتبة.

- من قال ذلك؟

- ماري.

استجمع الكولونيل بانتري شتات ملكاته العقلية واستعدّ ليتعامل مع الموقف. قال: هراء يا امرأة؛ لقد كنتِ تحلمين.

- لا، لم أكن أحلم. أنا أيضاً ظننت ذلك في البداية. ولكن لا، لقد دخلَت حقاً وقالت ذلك.

- ماري دخلت وقالت إن في المكتبة جثة؟

- نعم.

- ولكن لا يمكن أن تكون هناك جثة.

قالت السيدة بانتري بارتياب: نعم، نعم، هذا ما أراه.

ثم استجمعت نفسها ومضت قائلة: ولكن لماذا قالت ماري ذلك إذن؟

- لا يمكن أن تقوله.

- بل قالته.

- لا بد أنك تخيلتِ ذلك.

- لم أتخيله.

كان الكولونيل بانتري قد استيقظ عندئذ تماماً واستعدّ لمعالجة الموقف بما يستحقه. قال بلطف: لقد كنت تحلمين يا دولي، هذه حقيقة الأمر. إنها تلك القصة البوليسية التي كنت تقرئينها، «دليل عود الثقاب المكسور»، حيث يجد اللورد

إيجباتسون حسناء شقراء ميتة على السجادة أمام موقد المكتبة. إن الجُثث -في الروايات- توجد دوماً في المكتبات، لكنني لم أصادف حالة حقيقية واحدة من ذلك النوع في الحياة الواقعية.

- لعلك تصادفها الآن. وعلى أية حال عليك أن تنهض وترى يا آرثر.

- ماذا بك يا دولي؟ لا بد أنه كان حلماً. إن الأحلام كثيراً ما تبدو حية قوية بشكل مدهش عندما يستيقظ المرء من نومه، حتى ليشعر بالثقة بأنها حقيقية.

- لقد كنت أرى حلماً من نوع مختلف تماماً... عن معرض الأزهار... شيء من هذا القبيل.

وباندفاع حيوي مفاجئ قفزت السيدة بانتري من السرير وفتحت الستائر، فغمر الغرفةَ ضوءُ نهارٍ خريفيٍّ جميل. قالت بحزم: إنني لم أحلم بذلك. انهض فوراً يا آرثر وانزل لترى ما الأمر.

- أتريدينني أن أنزل إلى الطابق السفلي وأسأل إن كانت في المكتبة جثة؟ سوف أبدو مغفلاً.

- لا حاجة لأن تسأل عن شيء. من الممكن تماماً بالطبع أن تكون ماري قد جُنَّت وأخذت ترى أشياء لا وجود لها، ولكن إن كانت هناك جثة فسرعان ما سيخبرك أحدهم بذلك ولن تضطر إلى النطق بكلمة واحدة.

لفَّ الكولونيل بانتري رداءه حوله وهو يدمدم وغادر

الغرفة. مشى عبر الممر ثم نزل الدرج، وفي أسفل الدرج كانت مجموعة من الخدم المجتمعين، وكان بعضهم ينشج وينتحب.

تقدم كبير الخدم بشكل مؤثّر وقال: يسعدني قدومك يا سيدي. لقد أمرتُ بأن لا يُفعَل أي شيء حتى تأتي. هل من المناسب أن أتصل بالشرطة يا سيدي؟

- بشأن ماذا تتصل بالشرطة؟

رمى كبير الخدم نظرةَ تأنيب وهو يلتفت إلى الفتاة الطويلة التي كانت تنتحب بهستيرية على كتف الطباخة وقال: فهمتُ يا سيدي أن ماري قد أخبرتكما، وقد قالت إنها فعلت ذلك.

شهقت ماري قائلة: لقد كنت منزعجة بحيث لم أعرف ماذا قلت. لقد انتابني الهلع من جديد وأصابني الغثيان إذ وجدتها بذلك الشكل... آه، يا إلهي!

ثم عادت فارتخت على كتف السيدة إيكليس التي قالت بشيء من المتعة: هيا، هيا، كفى يا عزيزتي.

قال كبير الخدم مُفسّراً: من الطبيعي أن ماري منزعجة بعض الشيء يا سيدي، باعتبارها هي التي صادفت ذلك الاكتشاف الرهيب. فقد دخلت إلى المكتبة كالعادة لتفتح الستائر و... وكادت تتعثر بالجثة.

سأل الكولونيل بانتري: هل تريد أن تقول لي إن هناك جثة في المكتبة... في مكتبتي أنا؟

تنحنح كبير الخدم وقال: لعلك تريد أن ترى ذلك بنفسك يا سيدي؟

-٣-

- آلو، آلو، معك الشرطي بولك. نعم، من المتكلم؟

كان الشرطي بولك يثبت أزرار سترته الرسمية بيد ويمسك بالسماعة باليد الأخرى.

- نعم، نعم، غوسينغتُن هول. نعم؟ آه، صباح الخير يا سيدي.

تعرضت نبرة الشرطي بولك إلى تغيّر طفيف، فقد صارت أكثر وداً وصبراً وهو يميّز صوت عميد المقاطعة والراعي السخي للألعاب الرياضية للشرطة فيها.

- نعم يا سيدي؟ هل من خدمة؟ آسف يا سيدي، لم أسمع تماماً... هل قلتَ «جثة»؟ نعم؟... نعم، إذا سمحتَ يا سيدي... صحيح يا سيدي... أتقول إنها شابة غير معروفة بالنسبة لكم؟... تماماً يا سيدي، نعم، بوسعك ترك كل شيء لي.

أعاد الشرطي بولك السماعة وصَفَر صَفْرة طويلة، ثم شرع في الاتصال برقم مسؤوله الأعلى.

أطلّت السيدة بولك من المطبخ حيث تنتشر رائحة طعام الإفطار التي تفتح الشهية، وقالت: ما الأمر؟

أجاب زوجها: أغرب شيء سمعتِهِ في حياتك. لقد عُثر على جثة فتاة في منزل «هول»، في مكتبة الكولونيل.

- مقتولة؟

- مخنوقة، هذا ما قاله.

- ومن هي؟

- يقول الكولونيل إنه لا يعرفها أبداً.

- ما الذي كانت تفعله في مكتبته إذن؟

أسكتها الشرطي بولك بنظرة مؤنِّبة، وتحدث بالهاتف بأسلوب رسمي: المفتش سلاك؟ أنا الشرطي بولك. لقد وردني توّاً أن جُثة فتاة قد عُثر عليها في السابعة والربع من هذا الصباح...

-٤-

رنّ هاتف الآنسة ماربل وهي ترتدي ملابسها. وقد أربكها صوته قليلاً، فقد كانت تلك ساعة لم يَعْتَدْ هاتفُها الرنين فيها. لقد كانت حياة العنوسة التي تعيشها منظّمة إلى الحد الذي يجعل ورود مكالمات هاتفية غير مُنتظَرة مصدراً للكثير من التخمين الممتع.

قالت الآنسة ماربل وهي تنظر ببعض الحيرة إلى الجهاز الذي يرنّ: يا إلهي، من يمكن أن يكون؟

كان الوقت الممتدّ بين التاسعة والتاسعة والنصف هو الوقت المتفَق عليه في القرية لإجراء مكالمات هاتفية وَدودة مع

الجيران، وكانت خُطط اليوم والدعوات وغير ذلك تصدر كلها في هذه المكالمات. وقد كان معروفاً عن الجزّار أنه يتصل قبل التاسعة بقليل إذا حدثت أزمة ما في تجارة اللحوم. ويمكن أن تحدث بين الحين والآخر مكالمات قصيرة خلال اليوم، رغم أن الاتصال بعد التاسعة والنصف ليلاً كان يُعتبَر تصرفاً سيئاً. صحيح أن ابن أخت الآنسة ماربل (وهو كاتب، ولذلك فإنه مُتقلِّب يصعب تخمين تصرفاته) كان معروفاً باتصاله في أغرب الأوقات، وبلغ به الأمر أن اتصل مرة قبل عشر دقائق من منتصف الليل! ولكن كائناً ما كانت غرائب تصرفات ريموند وست فإن النهوض المبكّر لم تكن من بينها، فليس من شأنه ولا من شأن أحد من معارف الآنسة ماربل أن يتصل قبل الساعة الثامنة صباحاً. فكيف والساعة هي الثامنة إلاّ ربعاً؟

إن هذا الوقت مبكر حتى لوصول برقية، إذ إن مكتب البريد لا يفتح إلاّ في الثامنة. قررت الآنسة ماربل قائلة لنفسها: لا بد أنه رقم خطأ.

تقدمت -وقد قررت ذلك- إلى الآلة اللحوحة وأسكتت صراخها بأن رفعت السماعة وهي تقول: نعم؟

- أهذه أنتِ يا جين؟

دُهشت الآنسة ماربل كثيراً.

- نعم، أنا جين. لقد استيقظتِ مبكرة يا دولي.

جاء صوت السيدة بانتري لاهثاً منفعلاً عبر الأسلاك: لقد حدث أفظع شيء ممكن.

- آه، يا إلهي!

- لقد وجدنا لتوّنا جُثة في المكتبة!

للحظة ظنت الآنسة ماربل أن صديقتها قد جُنَّت.

- وجدتم ماذا؟

- أعرف. لا يُصدّق المرء شيئاً كهذا، أليس كذلك؟ أعني أنني كنتُ أحسب أن ذلك لا يحدث إلاّ في الروايات. وقد اضطررتُ إلى الجدال مع آرثر لساعات هذا الصباح قبل أن ينزل ليرى.

حاولت الآنسة ماربل استجماع نفسها، ثم سألت بصوت لاهث: ولكن جُثة مَنْ هي؟

- إنها فتاة شقراء.

- ماذا؟

- فتاة شقراء. شقراء حسناء... كما في الروايات أيضاً. لم يسبق لأي واحد منا أن رآها من قبل. إنها ممددة هناك في المكتبة، ميتة! ولهذا يجب أن تأتي إلينا على الفور.

- أتريدين مني أنا أن آتي؟

- نعم، وسأرسل لك السيارة.

قالت الآنسة ماربل بارتياب: بالطبع يا عزيزتي، إن كنتِ ترين أن وجودي يمكن أن يُشكّل مصدر راحة لك...

- آه، لا أريد الراحة؛ ولكنك ممتازة جداً فيما يخصّ الجثث.

- آه، لست كذلك في الواقع. إن نجاحاتي الصغيرة كانت نظرية غالباً.

- ولكنك جيدة جداً في قضايا القتل. وقد قُتلت هذه الفتاة، خُنقت خنقاً. وإنني أشعر بأن المرء -إذا ما اضطر لتقبّل حدوث جريمة قتل تقع فعلياً في بيته- فلا أقل من أن يستمتع بها... إن كنت تفهمين ما أعنيه. ولذلك أريدك أن تأتي وتساعديني في معرفة من قام بذلك، هيا لنكشف اللغز. إن الأمر مثيرٌ جداً بالفعل، أليس كذلك؟

- بالطبع يا عزيزتي، لن أُقصّر إن كان بوسعي أن أساعدك.

- رائع. إن آرثر متشدّد بعض الشيء؛ إنه يرى -فيما يبدو- أنني يجب أن لا أستمتع بهذا الأمر مطلقاً. أعرف طبعاً أن الأمر مُحزن جداً، ولكنني لا أعرف الفتاة في نهاية الأمر... وعندما تشاهدينها ستفهمين ما الذي أعنيه عندما أقول إنها لا تبدو حقيقية أبداً.

-٥-

نزلت الآنسة ماربل من سيارة عائلة بانتري وهي تلهث قليلاً، وقد فتح لها السائق الباب. وخرج الكولونيل بانتري إلى الدرج الخارجي، وبدا مندهشاً قليلاً وهو يقول: الآنسة ماربل؟

إنني... تسعدني رؤيتك.

- لقد اتصلت بي زوجتك.

- جيد، جيد، لا بد من وجود أحد معها وإلاّ انهارت. إنها تواجه الأمر بشجاعة حتى الآن، ولكنك تعرفين كيف هي الأمور...

في هذه اللحظة ظهرت السيدة بانتري وهتفت: عُد إلى غرفة الطعام وتناول إفطارك يا آرثر، سوف يبرد.

قال الكولونيل بانتري شارحاً: ظننت أن المفتش قد وصل.

- سيكون هنا في الحال، ولذا فمن المهم أن تتناول إفطارك أولاً. أنت بحاجة إليه.

- وهذا ينطبق عليكِ... من الأفضل أن تأتي وتأكلي شيئاً يا دولي.

- سآتي خلال دقيقة. هيا يا آرثر.

جرى دفع الكولونيل بانتري للعودة إلى غرفة الطعام كما تُدفَع دجاجة متمردة، ثم قالت السيدة بانتري بنبرة انتصار: والآن، هيّا.

ثم مشت بسرعة أمام ضيفتها في الممر وصولاً إلى الجانب الشرقي من البيت. وخارج باب المكتبة كان الشرطي بولك واقفاً يحرس، وقد اعترض طريق السيدة بانتري بإشارة حاسمة قائلاً: أخشى أنّ من غير المسموح لأحد أن يدخل يا سيدتي؛

إنها أوامر المفتش.

- هذا سخف يا بولك. أنت تعرف الآنسة ماربل تمام المعرفة.

اعترف الشرطي بولك بمعرفته بالآنسة ماربل، وقالت السيدة بانتري: إن من المهم جداً أن ترى الآنسة ماربل الجثة. لا تكن غبياً يا بولك. ثم إنها مكتبتي أنا، أليس كذلك؟

استسلم الشرطي بولك، فقد كانت عادة الاستسلام أمام طبقة مُلاّك الريف مغروسة فيه طوال حياته. وفكر بأن لا حاجة أن يعلم المفتش بالأمر، ولكنه حذّر السيدتين قائلاً: يجب عدم لمس أي شيء بأي شكل.

قالت السيدة بانتري بنفاد صبر: بالطبع، إننا نعرف ذلك. يمكنك أن تدخل وتراقبنا إن شئت.

سمح الشرطي بولك لنفسه بالاستفادة من هذا السماح، وقد كان ذلك ما ينويه على أية حال. وقادت السيدة بانتري صديقتها بزهو عبر المكتبة إلى الموقد القديم الضخم، ثم قالت بإحساس درامي بلحظة الذروة: هناك!

فهمت الآنسة ماربل وقتها ما الذي عنته صديقتها عندما قالت إن الفتاة ليست حقيقية. كانت غرفة المكتبة تُعبِّر عن أصحابها تماماً؛ كانت ضخمة بالية غير مرتبة، وفيها أرائك تقعَّرت مجالسها وغلايين وكتب وأوراق عقارية فُرشت على الطاولة الكبيرة، وعلى الجدار لوحتان قديمتان جيدتان لأجداد العائلة، وبعض اللوحات الفكتورية برسوم مائية، وبعض

مناظر الصيد التي يُفترَض أن تكون مُضحكة، وفي الزاوية استقرت مزهرية كبيرة فيها بعض الأزهار. كانت الغرفة كلها معتمة قليلاً، وكانت تشي بكثرة الاستعمال والألفة وبالصلات الوثيقة مع التراث.

وعند نهاية السجادة الصغيرة المهترئة التي توضع أمام الموقد استلقى جسد الفتاة وقد تباعدت يداها. كانت فتاة ذات شعر أشقر بدرجة غير طبيعي وقد مشَّطته عن وجهها على شكل موجات ولفافات دقيقة التنظيم. كان جسدها النحيل يرتدي ثوب سهرة من الساتان الأبيض اللامع، وكان الوجه مليئاً بالمساحيق حيث تبرز الحُمرة بشكل غريب مُضحك على صفحته المتورمة الزرقاء، وتُلطّخ ماسْكرا الرموش الوجنتين المُشوَّهتين، ويبدو أحمر الشفاه القرمزي كالجُرح، وكانت أظافر يدها مطلية بلون أحمر كلون الدماء. كان جسداً مُبهرَجاً صارخ الألوان، أبعد ما يكون انسجاماً مع ما توحي به مكتبة الكولونيل بانتري من راحة مستقرة قديمة الطراز.

قالت السيدة بانتري بصوت منخفض: أرأيتِ ما أعنيه؟ إنها -ببساطة- غير حقيقية!

أومأت العجوز الواقفة بجانبها برأسها إيجاباً، ونظرت طويلاً بتأمّل إلى الجسد المرتخي. قالت أخيراً بصوت هادئ: إنها صغيرة جداً.

- نعم، نعم... أحسبها كذلك.

كادت السيدة بانتري تبدو مدهوشة كمَن يكتشف اكتشافاً.

وانحنت الآنسة ماربل؛ لم تتلمس الفتاة بل نظرت إلى الأصابع التي أمسكت بشكل محموم بمقدمة الثوب كما لو أنها قبضت عليه بأظافرها في آخر كفاح مرير لها للتنفس.

جاء صوت سيارة تمشي على الرمل في الخارج، فقال الشرطي بولك بسرعة وإلحاح: لا بد أن هذا هو المفتش...

وتصديقاً لاعتقاده الراسخ بأن مُلاّك الريف لا يخذلون المرء تحركت السيدة بانتري فوراً إلى الباب، وتبعتها الآنسة ماربل. قالت السيدة بانتري: لن يكون في الأمر بأس يا بولك.

وأحس بولك فوراً بالارتياح.

-٦-

أسرع الكولونيل بانتري خارجاً إلى الصالة بعدما ازدرد آخر بقايا الخبز المُحمَّص والمربى وشرب فوقها بعض القهوة، وحين نظر من النافذة ارتاح لرؤية الكولونيل ميلتشيت، رئيس الشرطة في المقاطعة، وهو ينزل من السيارة والمفتش سلاك برفقته.

كان ميل صديقاً للكولونيل، أما سلاك فلم يُحبّه الكولونيل كثيراً، إذ كان رجلاً نشيطاً يصرّح سَمْته الدَّؤوب بالكثير من عدم الاحترام لمشاعر أيّ امرئ لا يعتبره مهماً.

قال رئيس الشرطة: صباح الخير يا بانتري، رأيتُ أن من

الأفضل أن آتي بنفسي. يبدو هذا أمراً بالغ الغرابة.

قال الكولونيل بانتري وهو يجاهد للتعبير عن نفسه: إنه... إنه... إنه أمر خيالي... لا يُصدَّق!

- ألم تعرف من هي المرأة؟

- على الإطلاق، لم تقع عيني عليها قط من قبل.

سأل المفتش سلاك: هل يعرف كبير الخدم شيئاً؟

- لقد صُدم لوريمر بالأمر كما صُدِمتُ أنا تماماً.

قال المفتش سلاك: آه، أشك في ذلك.

قال الكولونيل بانتري: الإفطار جاهز في غرفة الطعام يا ميلتشيت، إن كنتَ ترغب بشيء؟

- لا، لا؛ من الأفضل أن نشرع في عملنا. يُفترَض أن يكون هيدوك هنا في أية لحظة... آه، ها هو.

وصلت سيارة أخرى، وخرج منها الدكتور هيدوك الضخم العريض المنكبين، والذي كان هو الطبيب الشرعي للقرية أيضاً. وكانت سيارة شرطة أخرى قد أحضرت رجلين بملابس مدنية، يحمل أحدهما آلة تصوير.

قال رئيس الشرطة: كل شيء جاهز، أليس كذلك؟ حسناً، سنشرع في العمل. لقد أخبرني سلاك أنها في المكتبة.

دمدم الكولونيل بانتري قائلاً: إنه أمر لا يُصدَّق! عندما أصرّت زوجتي هذا الصباح على أن الخادمة قد دخلت وقالت

إن في المكتبة جثة لم أستطع تصديق ذلك.

- نعم، نعم، أستطيع فهم ذلك تماماً. أرجو أن لا تكون زوجتك مصدومة جداً بهذا الأمر كله؟

- لقد كانت رائعة، رائعة حقاً. وقد أحضرت الآنسة العجوز ماربل لتكون معها هنا... تلك التي تقيم في القرية.

جفل رئيس الشرطة وقال: الآنسة ماربل؟ لماذا أرسَلَتْ في طلبها؟

- آه، إن المرأة بحاجة إلى امرأة أخرى، ألا ترى ذلك؟

قال الكولونيل ميلتشيت مع ضحكة خفيفة: أرى أن زوجتك ستحاول تجربة حظها في القيام ببعض أعمال الهواة في التحري. إن الآنسة ماربل هي ضابطة التحري المحلية إذا صح التعبير. لقد غلبَتنا تماماً في إحدى المرات، أليس كذلك يا سلاك؟

قال المفتش سلاك: كان ذلك مختلفاً.

- مختلفاً عن ماذا؟

- لقد كانت تلك قضية محلية يا سيدي. إن تلك العجوز تعرف كل ما يدور في القرية، هذا صحيح تماماً، ولكنها ستجد ما لا تطيقه في هذه القضية.

قال ميلتشيت بجفاء: أنت نفسك لا تعرف الكثير عن القضية بَعدُ يا سلاك.

- آه، انتظر يا سيدي؛ لن يستغرق الأمر طويلاً قبل أن أصل إلى قرارها.

-٧-

في غرفة الطعام كانت السيدة بانتري والآنسة ماربل تأخذان نصيبهما من الإفطار، وبعد أن قامت السيدة بانتري على خدمة ضيفتها قالت بإلحاح: حسناً، ما رأيك يا جين؟

رفعت الآنسة ماربل نظرها إليها وقد احتارت قليلاً، فقالت السيدة بانتري بشيء من الأمل: ألا يُذكّرك هذا بأي شيء؟

ذلك أن الآنسة ماربل قد حققت شهرة في قدرتها على الربط بين أحداث قروية تافهة صغيرة وبين مشكلات أشد خطورة، بطريقة تُلقي الكثير من الأضواء على تلك المشكلات.

قال الآنسة ماربل متأملة: لا، لا يمكنني القول إنها تُذكّرني بشيء... ليس في هذه اللحظة. لقد ذكّرني منظر الفتاة قليلاً بإيدي، الابنة الصغرى للسيدة تشيتي. ولكن أحسب أن ذلك لم يكن إلاّ لأن هذه الفتاة المسكينة تقضم أظافرها ولأن أسنانها الأمامية بارزة قليلاً إلى الأمام.

ثم مضت الآنسة ماربل لتتابع مقارنتها أبعد من ذلك: وبالطبع فإن إيدي كانت مُغرَمة أيضاً بالمظهريات الرخيصة.

- أتعنين ملابسها؟

- نعم، ساتان مبهرَج جداً ونوعية رديئة.

- أعرف؛ لعله من أحد تلك المحلات التي تبيع كل شيء بجنيه.

ثم مضت السيدة بانتري تقول بأمل: انتظري لحظة، ماذا حدث لإيدي ابنة تشيتي؟

- لقد انتقلت مؤخراً إلى وظيفة ثانية، وأحسب أنها ناجحة تماماً.

شعرت السيدة بانتري بقليل من خيبة الأمل، إذ لم يَبدُ أن هذا المثال القروي مُشجّع تماماً. قالت: الذي لا أفهمه هو سبب وجودها في مكتب آرثر. لقد قال لي بولك إن النافذة فُتِحت بالقوة. ربما كانت قد جاءت إلى هنا برفقة لص ثم تشاجرا... ولكن هذا يبدو سخيفاً تماماً، أليس كذلك؟

قالت الآنسة ماربل متأملة: لا تكاد ثيابها تناسب فكرة القدوم للسرقة.

- نعم، لقد كانت ترتدي ملابس سهرة، ربما لحفلة من نوع ما. ولكن لا يوجد شيء من هذا هنا أو في أي مكان قريب.

قالت الآنسة ماربل بارتياب: نــ... نعم.

عاودت السيدة بانتري الهجوم قائلة: إن في عقلك شيئاً يا جين.

- لقد كنتُ أتساءل فقط...

- عن ماذا؟

- بيسل بليك.

صرخت السيدة بانتري عفوياً: آه، لا!

ثم أضافت كما لو كانت تشرح: إنني أعرف أمه.

تبادلت المرأتان النظرات، وقالت الآنسة ماربل: أفهم تماماً شعورك إزاء هذا الأمر.

- إن سيلينا بليك ألطف امرأة يمكن تخيلها، وسياج الشجيرات الذي نسَّقته في حديقتها مُدهش حقاً، بحيث جعلني أحسدها عليه كثيراً... وهي كريمة جداً في إهداء الشتلات.

قالت الآنسة ماربل وهي تتجاوز ما يُنسَب إلى السيدة بليك من مزاعم اللطف والمودة هذه: ومع ذلك، فقد كان هناك الكثير من الكلام.

- آه، أعرف، أعرف. وبالطبع فإن آرثر يستشيط غضباً عندما يسمع ذكراً لبيسل بليك، فقد كان حقاً شديد الوقاحة مع آرثر، ومنذ ذلك الحين لم يعد آرثر يُطيق سماع كلمة طيبة تُقال عنه. إن له تلك الطريقة السخيفة المُهينة في كلامه التي يُتقنها فتيان هذه الأيام... بالإضافة طبعاً إلى الملابس التي يرتديها! يقول الناس إن من غير المهم ما ترتديه من ملابس في الريف. ويا له من كلام سخيف؛ ففي الريف وحده يلاحظ الناس ما يرتديه المرء.

توقفت قليلاً ثم أضافت بشيء من الكآبة: لقد كان طفلاً

رائعاً في صغره.

- لقد رأيت في صحيفة الأحد الماضي صورة رائعة لقاتل تشيفيوت وهو طفل.

- آه، ولكن يا جين، لا أحسبك تظنين أنه هو الذي...

- لا، لا يا عزيزتي؛ سيكون ذلك استباقاً فظاً للنتائج. لقد كنتُ أحاول فقط تفسير وجود الشابة هنا، فقرية سينت ميري ميد مكانٌ أبعد ما يكون عن ذلك. ثم بدا لي أن التفسير الوحيد الممكن هو بيسل بليك، فهو يُقيم حفلات بالفعل ويأتي الناس إليه من لندن ومن الأستوديوهات التي يعمل بها. أتذكرين ما حدث في تموز الماضي؟ كل ذلك الصياح والأغاني... فوضى فظيعة جداً، وقد كان ما خلّفوه من فوضى وزجاج مكسور صباح اليوم التالي أمراً لا يُصدَّق أبداً... هذا ما أخبرتني به السيدة بيري العجوز.

قالت السيدة بانتري بتسامح: أحسب أنهم كانوا ممن يعملون في الأفلام.

- هذا هو الأرجح. ثم إن هناك ما أحسب أنك سمعتِ به، ففي بعض عُطل نهاية الأسبوع مؤخراً كان بيسل بليك يُحضر معه شابة، شقراء ذات شعر بلاتيني.

هتفت السيدة بانتري: أتظنين أنها هي هذه؟

- الحقيقة أنني تساءلت. أنا لم أرها عن كثب بالطبع، بل بشكل عابر وهي تنزل من السيارة أو تصعد إليها، لكنني لم أرَ

وجهها في الواقع... وكل هؤلاء الفتيات بمساحيقهن وشعورهن يظهرن متماثلات كثيراً.

- نعم؛ ربما كانت هي. إنها فكرة يا جين.

* * *

الفصل الثاني

-١-

في تلك اللحظة كانت فكرة أخرى تتم مناقشتها بين الكولونيل ميلتشيت والكولونيل بانتري. كان رئيس الشرطة قد عاين الجثة وأشرف على شروع مأمورَيه بمهمّاتهم الروتينية، ثم ذهب مع سيد البيت إلى مكتبه في الجناح الآخر من البيت.

وكان الكولونيل ميلتشيت رجلاً متوتر المظهر اعتاد أن يربت دوماً على شاربه القصير الأحمر، وقد كان يقوم بذلك في تلك اللحظة وهو يرمي صاحبه بنظرة جانبية حائرة. وأخيراً قال بحدّة: اسمعني يا بانتري، يجب أن أُخرج هذا الأمر من صدري. هل صحيح أنك لا تعرف هذه الفتاة بتاتاً؟

كان جواب الرجل الآخر متفجراً، ولكن رئيس الشرطة قاطعه قائلاً: نعم، نعم أيها العجوز، ولكن انظر إلى المسألة على هذا النحو. لعل الأمر محرجٌ بالنسبة إليك كرجل متزوج يحب زوجته، ولكن الأمر بيننا فقط... إن كنت مرتبطاً بهذه الفتاة بأي شكل فمن الأفضل أن تقول لي ذلك الآن. من الطبيعي تماماً أن تحاول كتمان الحقيقة، ولو كنت مكانك

لشعرت بنفس الشعور، ولكنها قضية قتل ولا بد للحقائق أن تظهر. تباً، إني لا أُلمّح إلى أنك خنقت الفتاة فهذا ليس من الأمور التي قد تُقْدم عليها، أعرف ذلك، ولكنها أتت إلى هنا في نهاية الأمر... إلى هذا البيت. لنقل إنها اقتحمت البيت وكانت تنتظر رؤيتك، ثم تبعها شخص ما إلى هنا وقتلها. هذا ممكن، هل فهمتَ قصدي؟

- تباً يا ميلتشيت، لقد قلتُ لك إن عينيّ لم تقعا قط على تلك الفتاة في حياتي! أنا لست من ذلك النوع من الرجال.

- حسنٌ إذن. ومع ذلك، إذا كان هذا ما تقوله فالسؤال هو: ما الذي كانت تفعله هنا؟ إنها ليست من هذه المنطقة؛ هذا أمر مؤكَّد تماماً.

انفجر صاحب البيت الغاضب قائلاً: الأمر كله أشبه بكابوس.

- السؤال أيها العجوز هو: ماذا كانت تفعل في مكتبتك؟

- وكيف لي أن أعرف؟ لستُ أنا مَنْ طلب منها أن تأتي إلى هنا.

- نعم، نعم. ولكنها أتت إلى هنا مع ذلك. يبدو وكأنها أرادت رؤيتك. ألم تتلقَّ أية رسائل غريبة مؤخراً؟

- أبداً.

سأل الكولونيل ميلتشيت بحذر: ما الذي كنتَ تفعله ليلة أمس؟

- ذهبتُ إلى اجتماع جمعية المحافظين في الساعة التاسعة، في مَتش بنهام.

- ومتى عدتَ إلى البيت؟

- غادرتُ مَتش بنهام بعد العاشرة تماماً، وتعرضتُ لمشكلة في طريق العودة حيث اضطررتُ إلى استبدال إحدى عجلات السيارة، ثم وصلتُ في الثانية عشرة إلاّ ربعاً.

- ألم تذهب إلى المكتبة؟

- لم أفعل.

- أمر مؤسف.

- كنت مُتعَباً فأويت إلى فراشي مباشرة.

- وهل كان أحدٌ ساهراً بانتظارك؟

- لا. إنني أحمل دوماً مفتاحاً للباب، وينام لوريمر عادة في الحادية عشرة ما لم آمُره بغير ذلك.

- من الذي يقفل باب المكتبة؟

- لوريمر، وهو يقفلها في نحو الساعة السابعة والنصف في مثل هذا الوقت من السنة.

- وهل من شأنه أن يعود إليها خلال الليل؟

- ليس عندما أكون خارجاً.

- وماذا عن زوجتك؟

- لا أدري. كانت في سريرها تغطّ في نوم عميق عندما عدت ليلة أمس. لعلها جلست في المكتبة ليلة أمس أو في غرفة الجلوس، نسيتُ أن أسألها.

- حسناً، سرعان ما سنعرف كل التفاصيل. من الممكن طبعاً أن تكون لأحد الخدم علاقة بالأمر، أليس كذلك؟

هز الكولونيل بانتري رأسه بالنفي وقال: لا أصدق ذلك. إنهم جميعاً محترمون تماماً ويعملون لدينا منذ سنوات طويلة.

وافقه ميلتشيت قائلاً: نعم، لا يبدو تورطهم في هذا الأمر محتمَلاً. يبدو وكأن الفتاة قد جاءت من المدينة... ربما مع شاب ما. رغم أن سبب اختيارهما اقتحام هذا البيت...

قاطعه بانتري قائلاً: إنها من لندن، هذا هو الأرجح. ليست لدينا سلوكيات مُشينة هنا باستثناء...

- نعم؟ باستثناء مَن؟

انفجر الكولونيل بانتري قائلاً: إنه هو والله؛ بيسل بليك!

- من هذا؟

- شاب ذو صلة بصناعة السينما، شاب متوحش حقود. إن زوجتي تدافع عنه لأنها كانت في المدرسة مع أمه، ولكنه شاب وقح إلى أبعد الحدود وبحاجة إلى من يركله على قفاه! لقد استأجر ذلك البيت الصغير على طريق لانشام، ذلك البناء الحديث الكريه، وهو يقيم حفلات هناك... صياح وفوضى، ويصطحب معه فتيات في عُطلات نهاية الأسبوع.

- فتيات؟

- نعم، جاءت معه إحداهن في الأسبوع الماضي، واحدة من ذوات الشعر الأشقر البلاتيني...

ثم سكت الكولونيل وفغر فمه، فقال ميلتشيت متأملاً: شقراء بلاتينية الشعر، أليس كذلك؟

- بلى، ولكن هل تظن يا ميلتشيت...

قال رئيس الشرطة بسرعة: إنه احتمال، وهو يُفسّر وجود فتاة من هذا النوع في قرية سينت ميري ميد. أظنني سأذهب وأتكلم مع ذلك الشاب، بليد... بليك... ماذا قلتَ اسمه؟

- بليك، بيسل بليك.

- هل تتوقّع أن يكون في البيت الآن؟

- انتظر لحظة. ما هو اليوم... السبت؟ إنه يأتي إلى هنا عادة في وقت ما من صباح يوم السبت.

قال ميلتشيت متجهماً: سنرى إن كان بوسعنا العثور عليه.

-٢-

كان بيت بيسل بليك يحتوي على كل وسائل الراحة العصرية المحشورة في قوقعة كريهة من طراز معماري مُطعَّم بالخشب يحاول الانتساب زوراً إلى أسلوب عصر تيودور.

وكان البيت معروفاً لدى موظف البريد ولدى البنَّاء ويليام بوكر باسم «تشاتزوورث»، ومعروفاً لسكان قرية سينت ميري ميد عامة باسم «بيت السيد بوكر الجديد». وكان يبعد أكثر قليلاً من رُبع ميل عن مركز القرية، مُقاماً على أرض للأبنية الحديثة قام بشرائها المقاول الجريء السيد بوكر بعد مقهى بلو بور تماماً، وكانت واجهته تطل على مرجة عشبية ريفية لم تُفسدها المدنية. أما منزل «غوسينغتُن هول» فكان على بعد نحو ميل من هذا البيت على امتداد الطريق نفسه.

وقد اهتم الناس في قرية سينت ميري ميد اهتماماً كبيراً عندما انتشر خبر مفاده أن نجماً سينمائياً اشترى «بيت السيد بوكر الجديد»، ووُضعت أرصاد وعيون مُتلهفة بانتظار أول ظهور للمخلوق الخرافي في القرية! ويمكن القول إن بيسل بليك كان -من ناحية الشكل- كل ما يمكن أن يطلبه المرء، ولكن الحقائق بدأت تتسرب شيئاً فشيئاً؛ فقد ظهر أن بيسل بليك لم يكن نجماً سينمائياً، ولا حتى ممثلاً سينمائياً. كان شخصاً ثانوياً جداً يستمتع بلقبه الذي يظهر في المرتبة الخامسة عشرة في قائمة أولئك المسؤولين عن الديكور في أستوديوهات ليمفيل، مقر شركة «الأفلام البريطانية الجديدة». ومن ثَمّ فقدت نساء القرية اهتمامهن، وعارضَت الطبقةُ الحاكمة من العوانس اللاذعات الناقدات أسلوبَ حياة بيسل بليك. وحده صاحب مقهى بلو بور استمر في حماسته تجاه بيسل بليك وأصدقائه، فقد ازدادت واردات المقهى منذ وصول ذلك الشاب إلى المنطقة.

توقفت سيارة الشرطة خارج البوابة المشوَّهة الصّدِئة

التي راق للسيد بوكر نصبها لهذا البيت، ومشى الكولونيل ميلتشيت وهو ينظر بازدراء إلى المبالغة في تزيين ذلك المنزل بالخشب، حتى وصل إلى الباب الأمامي فانقضّ يطرقه بالمطرقة الحديدية.

فُتح الباب بأسرع مما كان يتصور، فتحه شاب ذو شعر طويل بعض الشيء، يرتدي بنطالاً برتقالي اللون ذا قماش قطني وقميصاً أزرق زاهياً. صاح الشاب بعصبية: حسناً، ماذا تريد؟

- أأنت السيد بيسل بليك؟

- أنا هو بالطبع.

- سأكون سعيداً بتبادل بضع كلمات معك يا سيد بليك، إن كان ذلك ممكناً.

- من أنت؟

- أنا الكولونيل ميلتشيت، رئيس الشرطة في المقاطعة.

قال السيد بليك بوقاحة: قل غيرها. ما أظرف ذلك!

فهم الكولونيل ميلتشيت وهو يتبع الشاب إلى الداخل حقيقة ردود أفعال الكولونيل بانتري تجاه الشاب، وقد كانت قدمه تَحُكّه توقاً لركل الشاب، ولكنه سيطر على نفسه وقال في محاولة للكلام بمرح: يبدو أنك ممن يصحون باكراً يا سيد بليك؟

- إطلاقاً، بل إنني لم أنَمْ بعد.

- حقاً!

- ولكن لا أحسب أنك جئتَ إلى هنا للاستفسار عن ساعات نومي، ولئن جئت لهذا الغرض ففي ذلك مَضيعة لوقت هذا البلد وماله. ما الذي تريد الحديث معي بشأنه؟

تنحنح الكولونيل ميلتشيت وقال: لقد فهمتُ يا سيد بليك أنك استقبلتَ في عطلة نهايةَ الأسبوع الماضي زائرة... زائرة شابة شقراء الشعر.

حدق بيسل بليك إليه، ثم انفجر ضاحكاً وقال: هل سعت بي إليك عجائز القرية الكائدات؟ بشأن أخلاقي؟ تباً، إن الأخلاق لا تدخل في اختصاص الشرطة وأنت تعرف ذلك.

قال الكولونيل ميلتشيت بجفاء: إن أخلاقك لا تهمّني كما تقول، ولكني جئت إليك بسبب العثور على جثة شابة شقراء ذات مظهر... غريب بعض الشيء، وقد قُتِلَت.

حدق بليك إليه وقال: حقاً! أين؟

- في المكتبة في بيت غوسينغتُن هول.

- في غوسينغتُن؟ بيت العجوز بانتري؟ هذا مثير جداً. بانتري؟ ذلك العجوز السخيف!

احمرّ وجه الكولونيل ميلتشيت انفعالاً وقال بحدّة مقاطعاً المرَحَ المتجدّد للشاب أمامه: أرجو أن تسيطر على لسانك أيها السيد. لقد جئت لأسألك إن كنتَ تستطيع إلقاء أي ضوء على هذه المسألة.

- لقد جئتَ إلى هنا لتسألني إن كنت قد فقدت فتاة شقراء، أليس كذلك؟ ولماذا يمكن أن... آه، ما هذا؟

كانت سيارة قد اقتربت مسرعة ثم توقفت وقوفاً حاداً في الخارج، ثم نزلت منها شابة ترتدي ثوباً متهدّلاً ذا لون أسود وأبيض. كانت ذات شعر أشقر بلاتيني، وقد مشت حتى الباب ثم دفعته بقوة وهتفت غاضبة: لماذا تركتَني أيها المتوحش؟

نهض بيسل بليك وقال: ها أنت إذن! ولماذا لا أتركك؟ طلبت منك الخروج فلم تقبلي.

- ولماذا أخرج بالله عليك؟ لمجرد أنك قلت لي ذلك؟ لقد كنتُ منسجمة هناك.

- نعم، مع ذلك الوحش القذر روزنبرغ. أنت تعرفين ما هو معدنه.

- لقد كنتَ غيوراً منه، هذا كل ما في الأمر.

- لا تُطري نفسك. عندما آخذك إلى حفلة فإنني أتوقع منك أن تُحسني التصرف.

- وأنا أرفض تلقّي الأوامر مهما كان الأمر. لقد قلتَ إننا سنذهب إلى الحفلة ثم نعود إلى هنا بعد ذلك، وأنا لا أترك حفلة قبل أن يروق لي تركها.

- نعم، ولذلك تركتُك تماماً. لقد راق لي أن آتي إلى هنا فأتيت. ما كنت لأنتظر أية امرأة مغفلة.

- يا لك من شخص مهذب يا عزيزي!

- يبدو أنك لحقتِ بي تماماً؟

- لقد أردت أن أوبّخك.

- إن كنتِ تظنين أن بوسعك أن تتطاولي عليّ يا فتاتي فأنت مخطئة.

- وإن كنتَ تحسب أن بوسعك إملاء أوامرك عليّ فينبغي أن تُعيد حساباتك.

ثم حدق كل منهما إلى الآخر، وفي هذه اللحظة اغتنم الكولونيل ميلتشيت الفرصة فتنحنح بصوت عال.

التفت بيسل بليك نحوه وقال: مرحى، نسيت أنك هنا. لقد حان وقتُ رحيلك، أليس كذلك؟ دعني أعرّفكما؛ هذه دينا لي، وهذا الكولونيل «رجعي» من شرطة المقاطعة. والآن يا كولونيل، بعد أن رأيتَ شقرائي حية ترزق وبأتمّ صحة، لعلك تمضي في عملك الخاص بصاحبة العجوز بانتري تلك؟ طاب صباحك.

قال الكولونيل ميلتشيت: إنني أنصحك بأن تحتفظ بلسان مهذب في فمك أيها الشاب، وإلا فسوف توقع نفسك في مشكلات كثيرة.

ثم خرج وقد احمرّ وجهه غضباً.

* * *

الفصل الثالث

-١-

في مكتبه في مَتش بنهام تلقى الكولونيل ميلتشيت تقارير مرؤوسيه وفحصها بدقة. كان المفتش سلاك يختتم حديثه قائلاً: وهكذا يبدو الأمر كله واضحاً تماماً يا سيدي. لقد جلست السيدة بانتري في المكتبة بعد العشاء وذهبت إلى فراشها قبل العاشرة بقليل، وقد أطفأت الأنوار قبل مغادرتها للغرفة، ويُفترَض أن أحداً لم يدخل المكتبة بعد ذلك. ذهب الخدم إلى النوم في العاشرة والنصف، وذهب لوريمر إلى النوم في الحادية عشرة إلاّ ربعاً. لم يسمع أحدٌ شيئاً خارج المألوف، باستثناء الخادمة الثالثة التي سمعت الكثير الكثير: أنّات وصيحة تُجمّد الدم في العروق وصوت خطوات شريرة... ولا أدري ماذا أيضاً. أما الخادمة الثانية التي تشاركها غرفتها فقالت إن الفتاة الأخرى نامت طوال الليل دون أن يصدر عنها صوت واحد. إن مثل هؤلاء هنّ اللاتي يخترعن أشياء تسبب لنا كل المتاعب.

- ماذا عن النافذة التي تم اقتحامها؟

- يقول سيمونز إنه عمل هواة، وقد تم فتحها بكماشة

عادية وبالطريقة المعتادة، وما كانت لتُصدر الكثير من الضجة. لا بد أن الكماشة أُلقيت قرب البيت، ولكن أحداً لم يعثر عليها.

- أتظن أن أياً من الخدم يعرف شيئاً؟

أجاب المفتش سلاك وكأنه غير راغب بذلك: لا يا سيدي، لا أظنهم يعرفون شيئاً. لقد بدوا جميعاً مصدومين ومنزعجين. كانت لديّ شكوكي في لوريمر، فقد كان متحفظاً في كلامه إن كنتَ تعرف قصدي... ولكن لا أحسب أن لديه شيئاً.

أومأ ميلتشيت برأسه. لم يكن يُعطي لتحفظ لوريمر أية أهمية، فالمفتش النشيط سلاك كان غالباً ما يفرض مثل هذا السلوك على من يحقق معهم.

فُتح الباب ودخل الدكتور هيدوك قائلاً: رأيتُ أن أمرّ عليك لأعطيك حقيقة الموقف الطبي عموماً.

- نعم، تُسعدني رؤيتك. حسناً، تكلم.

- لا يوجد الكثير؛ تماماً كما يمكن للمرء أن يتخيل. كانت الوفاة نتيجة الاختناق. شريط خصر من الساتان مأخوذ من ثوبها نفسه لُفَّ حول العنق وشُدَّ من الخلف. أمر يمكن القيام به بكل سهولة وبساطة، وما كان ليتطلب قوة عظيمة... هذا إذا كانت الفتاة قد أُخِذت على حين غرّة. ولا توجد علامات تدلّ على مقاومة.

- ماذا عن وقت الوفاة؟

- لنقل إنها حدثت بين العاشرة والثانية عشرة.

- ألا تستطيع تحديد موعد أكثر دقة؟

- لا أستطيع المجازفة بسمعتي المِهَنية. ليس قبل العاشرة وليس بعد الثانية عشرة.

- وإلى أيّ من هذين الوقتين تميل أنت شخصياً؟

- هذا يعتمد على أمور كثيرة. لقد كانت النار مشتعلة في الموقد في المساء ولذلك كانت الغرفة دافئة، ومن شأن ذلك أن يؤخر برودة الجثة وتصلّبها.

- هل يوجد المزيد مما يمكن أن تقوله عن الفتاة؟

- ليس الكثير. كانت صغيرة... أظنها في نحو السابعة عشرة أو الثامنة عشرة، من النوع الذي يتمتع بصحة جيدة تماماً.

وبإيماءة من رأسه غادر الطبيب الغرفة.

قال ميلتشيت للمفتش: أأنت واثق تماماً أنها لم تُشاهَد من قبل في منزل غوسينغتُن؟

- الخدم أكدوا ذلك، بل كانوا ساخطين تماماً إزاء هذا الأمر. يقولون إنهم كانوا سيتذكرونها لو رأوها سابقاً في المنطقة.

- أحسبهم كانوا سيعرفونها بالفعل، ففتاة من هذا النوع تُلاحَظ على بعد ميل هنا. خذ مثلاً تلك الشابة صاحبة بليك.

- من المؤسف أنها لم تكن هي، فقد كان بوسعنا أن

نتقدم قليلاً عندئذ.

قال رئيس الشرطة متأملاً: يبدو لي أن هذه الفتاة جاءت من لندن دون شك. لا أظن أننا سنجد أية خيوط محلية ترشدنا هنا، وفي هذه الحالة أحسب أن علينا أن نستدعي شرطة سكوتلنديارد، فالقضية قضيتهم وليست قضيتنا.

قال سلاك: ومع ذلك فلا بد أن شيئاً ما قد جعلها تحضر إلى هنا.

ثم أضاف بحذر: يبدو لي أن الكولونيل بانتري وزوجته يعرفان شيئاً بلا ريب. إنني أعرف طبعاً أنهما صديقان لك يا سيدي...

- يمكنك أن تطمئنّ إلى أنني آخذ كل الاحتمالات بالحسبان، كل الاحتمالات.

ثم مضى قائلاً: أحسب أنك دققتَ في قائمة الأشخاص المفقودين، أليس كذلك؟

أومأ سلاك برأسه، ثم أخرج ورقة مطبوعة وقال: ها هم هنا. السيدة سوندرز، أُبلغ عن فَقدها قبل أسبوع، سوداء الشعر زرقاء العينين في السادسة والثلاثين، ليست هي، وفوق ذلك فإن الجميع يعلمون -باستثناء زوجها- أنها هربت مع تاجر من ليدز. السيدة برنارد، وهي في الخامسة والستين. باميلا ريفز، في السادسة عشرة، فُقِدت من بيتها ليلة أمس، وكانت قد حضرت مهرجاناً لفتيات الكشافة، شعرها بني غامق على شكل ذيل حصان وطولها خمس أقدام و...

قاطعه ميلتشيت بانزعاج قائلاً: لا تبالغ في قراءة التفصيلات السخيفة يا سلاك. الضحية لم تكن طالبة مدرسة، وفي رأيي أنها...

توقف نتيجة رنين الهاتف، ورفع السماعة قائلاً: آلو... نعم، نعم، مركز شرطة مَتش بنهام... ماذا؟ لحظة من فضلك...

أصغى وهو يكتب بسرعة، ثم تحدث ثانية وفي صوته نبرة جديدة: روبي كين، في الثامنة عشرة، المهنة راقصة محترفة، الطول خمس أقدام وأربع بوصات، نحيلة، شقراء بلاتينية الشعر، زرقاء العينين، ذات أنف ترتفع أرنبته إلى الأعلى، يُعتقد أنها ترتدي ثوب سهرة أبيض اللون. هل هذا صحيح؟ ماذا؟ نعم، لا أرى في ذلك أي شك، سأرسل سلاك على الفور.

أعاد السماعة ثم نظر إلى مرؤوسه بانفعال مُتصاعد وقال: أظننا عرفناها. كان ذلك من شرطة غلينشاير (كانت غلينشاير هي المقاطعة المجاورة). لقد أُبلغ عن فقدان فتاة من فندق ماجستيك في دينماوث.

- دينماوث؟ هذا يتناسب مع هذه القضية.

كانت دينماوث منتجعاً عصرياً على الشاطئ القريب. وقال الكولونيل ميلتشيت: إنها لا تزيد على ثمانية عشر ميلاً من هنا. لقد كانت الفتاة تعمل راقصة في الفندق، ولم تحضر لتقديم فقرتها ليلة أمس، وقد غضبت إدارة الفندق كثيراً من ذلك، وعندما بقيت غائبة هذا الصباح قلقت عليها إحدى

الفتيات الأخريات أو قلق عليها أحدهم. يبدو الأمر غامضاً بعض الشيء. من الأفضل أن تذهب إلى دينماوث على الفور يا سلاك، وضع نفسك هناك تحت مسؤولية كبير المفتشين هاربر وتعاون معه.

-٢-

كان النشاط دوماً هو ما يروق للمفتش سلاك؛ أن يندفع مسرعاً في سيارة، وأن يُسكت بوقاحة أولئك الذين يتلهفون على إخباره بالأمور، وأن يختصر الأحاديث نتيجة لنداء الضرورة المُلِحّة... كل ذلك كان روح الحياة بالنسبة لسلاك.

ولذلك فقد وصل إلى دينماوث في وقت قصير لا يكاد يُصدَّق، وقدّم نفسه في مركز الشرطة، وقام بمقابلة مدير الفندق الشارد الخائف، ثم ترك ذلك المدير مع شيء من الارتياح المشكوك به لعبارة «يجب أن نتأكد أولاً من أنها هي الفتاة فعلاً قبل أن نبدأ بإجراءاتنا...»، ثم ما لبث أن قاد سيارته عائداً إلى مَتش بنهام برفقة واحدة من أقرب قريبات روبي كين.

كان قد أجرى مكالمة هاتفية مع مَتش بنهام قبل مغادرته دينماوث، ولذلك كان رئيس الشرطة مستعداً لوصوله، رغم أنه لم يكن مستعداً للتعريف المقتضَب الذي أجراه سلاك قائلاً: هذه جوزي يا سيدي.

حدق رئيس الشرطة إلى مرؤوسه ببرود، وشعر بأن سلاك قد أعطى عقله إجازة.

جاءت الشابة التي نزلت من السيارة لتوّها لتنقذ الموقف قائلة وقد التمعت أسنانها البيضاء الجميلة للحظة: هذا هو الاسم الذي يعرفونني به مهنياً، فأنا وشريكي أطلقنا على نفسَينا اسم ريموند وجوزي، وبالطبع فإن الفندق كله يعرفني باسم جوزي. اسمي الحقيقي هو جوزفين تيرنر.

عدّل الكولونيل ميلتشيت نفسه للتعامل مع الموقف ودعا الآنسة تيرنر إلى الجلوس وهو يلقي عليها نظرة سريعة مُحترفة. كانت شابة جميلة المظهر، لعلها أقرب إلى الثلاثين منها إلى العشرين، يعتمد جمالها على العناية والتجميل الخبير أكثر من اعتماده على جمال القسمات نفسها. بدت ذات كفاءة وذات مزاج هادئ ومنطق فطري سليم عاقل. لم تكن من النوع الذي يمكن أن يوصف بأنه متألق نجومي، ومع ذلك فقد كانت تمتلك جاذبية. كانت قد تجملت بالمساحيق بشكل متقن لا تكاد العين تُدركه وارتدت بدلة سوداء جيدة التفصيل، ومع أنها بدت قلقة منزعجة إلا أن الكولونيل قرر بأن الحزن لم يكن قد فجعها أكثر من اللازم.

قالت وهي تجلس: يبدو هذا أفظع من أن يكون حقيقياً. أتظن أنها روبي حقاً؟

- أخشى أن يكون هذا هو ما سنطلب منك الإجابة عليه، وأخشى أن يكون الأمر كريهاً مزعجاً بالنسبة إليك.

قال الآنسة تيرنر بخشية: هل... هل تبدو... فظيعة؟

- في الحقيقة، أخشى أن يكون الأمر صدمة بالنسبة لك.

- هل... هل تريدون أن أنظر إليها الآن مباشرة؟

- أظن أن هذا أفضل يا آنسة تيرنر، إذ ليس من المجدي أن نطرح عليك أسئلة قبل أن نتأكد. الأفضل أن ننتهي من ذلك، ما رأيك؟

- لا بأس.

ثم قاموا فقصدوا المشرحة، وعندما خرجت جوزي ثانية بعد زيارتها القصيرة للمشرحة بدا عليها شيء من الغثيان. قالت على نحو مهزوز: إنها روبي بالتأكيد. يا للمسكينة! يا إلهي، إنني أشعر بشعور غريب.

ثم تلفّتت حولها قائلة: ألا يوجد ليمون أو شراب منعش؟

لم يكن شراب الليمون متوفراً فجاؤوها بالماء، وبعد أن عبّت منه قليلاً استعادت الآنسة تيرنر رباطة جأشها وقالت بصراحة: إن رؤية مثل هذا الأمر تُفزع المرء، أليس كذلك؟ يا للمسكينة الصغيرة روبي! يا للرجال من محتالين!

- أتظنين أنه كان رجلاً؟

بدت جوزي وكأنها فوجئت قليلاً وقالت: ألم يكن رجلاً؟ أعني... من الطبيعي أنني ظننته...

- أكنت تفكرين بأي رجل محدد؟

هزت رأسها نافية بقوة وقالت: لا، لا؛ ليست لديّ أدنى فكرة عن ذلك. من الطبيعي أن روبي ما كانت لتخبرني لو أنها...

- لو أنها ماذا؟

ترددت جوزي ثم قالت: لو أنها كانت... تخرج مع أحد.

رماها ميلتشيت بنظرة حادة، ولم يقل المزيد حتى عادا إلى مكتبه. وهناك بدأ قائلاً: والآن يا آنسة تيرنر، أريد كل المعلومات التي تستطيعين تزويدي بها.

- نعم، بالطبع. من أين أبدأ؟

- أريد الاسم الكامل للفتاة، وعنوانها، وقرابتها بك، وكل ما تعرفينه عنها.

أومأت جوزفين تيرنر برأسها، وتأكد ميلتشيت من رأيه بأنها لم تكن تشعر بأسى شديد. صحيح أنها صُدمت وحزنت، ولكن ليس أكثر من ذلك. تكلمت بسرعة قائلة: اسمها روبي كين... أعني أن ذلك هو اسمها الفني. كان اسمها الحقيقي روزي ليغ، وأمها ابنة عم لأمي. وقد عرفتُها طوال حياتي، ولكن معرفتي بها لم تكن عميقة على نحو خاص إن كنتَ تعرف قصدي. إن لديّ الكثير من أبناء العمومة، بعضهم في عالم التجارة وبعضهم في مجال المسرح، وكانت روبي تتدرب لتصبح راقصة. اشتركت في العام الماضي في بعض الأعمال الجيدة في الرقص الإيمائي، لم يكن ذلك من المستوى الرفيع حقاً ولكنها كانت فرقاً جيدة من فرق المقاطعات. ومنذ ذلك الحين غدت تعمل كواحدة من الراقصات الثانويّات في فرقة «باليه دو دونس» في بريكسويل في جنوب لندن، وهو مكان جيد محترم تلقى فيه الفتيات عناية جيدة، ولكن ليس فيه الكثير

من الكسب المالي.

ثم توقفت قليلاً، فأومأ الكولونيل ميلتشيت برأسه. مضت تقول: والآن، هنا جاء دوري أنا. فقد كنتُ مضيفة أشرف على الرقص وعلى ألعاب الورق في فندق ماجستيك في ديناموث لفترة ثلاث سنوات، وهي وظيفة جيدة، مُجزية ومُسلية. تعتني بالزبائن عندما يصلون... بعد تخمين مستوياتهم بالطبع؛ بعضهم يحب أن يُترك لشأنه، والآخرون يُحسّون بالوحدة ويريدون البحث عن التسلية. تحاول أن توائم بين الأشخاص ممن يحبون لعبة الورق (البريدج) وغير ذلك... الأمر يحتاج إلى قليل من اللباقة والخبرة.

أومأ ميلتشيت برأسه مرة أخرى، وفكر بأن من شأن هذه الفتاة أن تكون ماهرة في عملها، فقد رأى أن لها سَمتاً مرحاً ودوداً وأنها ذكية لمّاحة دون أن تكون لها أدنى ثقافة عقلية.

استمرت جوزي قائلة: وبالإضافة إلى ذلك أُقدّم رقصتين استعراضيتين كل ليلة مع ريموند، ريموند ستار، وهو مدرّب لعبة التنس بالإضافة إلى تقديمه لفقرتَي الرقص. ولكن حدث في هذا الصيف أنني انزلقتُ على صخرة وأنا على البحر ذات يوم فأصابني التواء شديد في كاحلي.

كان ميلتشيت قد لاحظ أنها تمشي بعَرْجة خفيفة. أكملت قائلة: ومن الطبيعي أن يمنعني هذا من الرقص لفترة. لقد كان ذلك موقفاً فظيعاً، وأردت أن لا يُضطر الفندق إلى استئجار فتاة غيري، فهذه مسألة خطيرة كما تعلم...

وللحظة احتدّت وقست عيناها الزرقاوان الهادئتان وغدت أنثى تقاتل دفاعاً عن وجودها. استمرت تقول: قد يدمّر مثل هذا الأمر فُرَصي، ولذلك فكرتُ في روبي واقترحتُ على المدير أن أستدعيها بحيث أستمرّ أنا بدور المشرفة على لعب الورق وتقوم روبي بالرقص فقط. أحببتُ إبقاء الأمر داخل العائلة إن كنتَ تفهمني.

قال ميلتشيت إنه يفهمها.

- وقد تمّت الموافقة على ذلك، فأبرقتُ إلى روبي وجاءت إلى هنا. إنها فرصة بالنسبة لها، فهذا أرفع مستوى من أي عمل سبق لها أن مارسَتْه. كان ذلك منذ نحو شهر مضى.

قال الكولونيل ميلتشيت: فهمت. وهل حقّقَتْ نجاحاً؟

قالت جوزي بغير اكتراث: آه، نعم. لقد نجحَت بشكل لا غبار عليه. إنها لا ترقص بالبراعة التي أرقص بها أنا، ولكن ريموند ذكي وقد نجح في تمرينها، وكانت هي جميلة... نحيلة وشقراء وذات وجه طفولي ساذج. كانت تبالغ قليلاً في وضع المساحيق وقد نبهتها إلى ذلك مراراً، ولكنك تعرف طبيعة البنات. لم تتجاوز الثامنة عشرة، وفي مثل هذا العمر تميل الفتيات دوماً إلى المبالغة في مثل هذه الأمور، وهذا لا يتناسب مع مكان راق كفندق ماجستيك. كنتُ أوبّخها دوماً على ذلك وأحملها على تخفيف مساحيقها والاعتدال بها.

سأل ميلتشيت: هل أحبها الناس؟

- آه، نعم. ولا تنسَ أن روبي كانت بلهاء قليلاً، لذلك

كانت تحظى بقبول أكبر من الرجال الأكبر سناً لا من الشبان.

- أكان لها أي صديق خاص؟

التقت عينا الفتاة بعينيه في فهم كامل وقالت: ليس بالطريقة التي تعنيها، أو أنها لم يكن لها مثل ذلك الصديق بحسب ما أعرف، ولو كان لها لما كانت ستخبرني.

تساءل ميلتشيت للحظة فقط عن السبب الذي يدفع الفتاة إلى إخفاء ذلك عن قريبتها، فجوزي لم تُعطِ انطباعاً بأنها انضباطية متزمّتة. ولكنه اكتفى بالقول: هل لك أن تصفي لي الآن متى رأيت قريبتك آخر مرة؟

- ليلة أمس. إنها تؤدي هي وريموند رقصتين استعراضيتين كل ليلة، واحدة عند الساعة العاشرة والنصف والأخرى عند منتصف الليل. وقد أنهيا رقصتهما الأولى، وبعدها لاحظت أن روبي ترقص مع أحد الشبان المقيمين في الفندق. كنت ألعب البريدج مع بعض الأشخاص في البهو، وثمة حاجز زجاجي بين البهو وقاعة الرقص. كانت تلك آخر مرة أراها فيها. وبعد منتصف الليل تماماً جاءني ريموند قَلِقاً وسألني عنها، فهي لم تظهر وقد حان موعد البدء بالرقصة التالية. وتأكد أنني انزعجتُ كثيراً، فهذا مثال على التصرفات السخيفة التي تقوم بها الفتيات فيُغضبن الإدارة بحيث يُطرَدن! صعدتُ معه إلى غرفتها ولكنها لم تكن هناك، ولاحظتُ أنها بدّلت ملابسها، فقد كان الثوب الذي رقصت به (وهو أحمر اللون) مُلقىً على أحد الكراسي، مع أن عادتها كانت أن تبقى في الثوب نفسه. ولم أكن أعرف إلى أين ذهبَت، ولذلك طلبنا من الفرقة الموسيقية أن تعزف قطعة

موسيقية إضافية، ومع ذلك لم تظهر روبي، فقلت لريموند إنني سأؤدي الرقصة الاستعراضية معه. وقد اخترنا رقصة أخف وطأة على كاحلي وجعلناها قصيرة، ولكنها جعلت كاحلي يؤلمني بشدة مع ذلك حتى لقد تورّم كله هذا الصباح. ولم تظهر روبي، وجلسنا ساهرين ننتظرها حتى الساعة الثانية ليلاً. لقد كنتُ غاضبة منها أشد الغضب.

تهدج صوتها قليلاً، وأحس ميلتشيت بنبرة غضب حقيقي فيه. وللحظة واحدة تعجّب، فقد بدا ردُّ فعلها أشدَّ قليلاً مما تبرّره الحقائق. خامره شعور بأن شيئاً قد تمّ تجاوزه عن عمد ولم يُقَل.

قال: وفي هذا الصباح، حين لم تَعُد روبي ووجدتِ سريرها ما يزال مرتباً ذهبتِ إلى الشرطة، أليس كذلك؟

كان يعرف من مكالمة سلاك الموجزة من ديناماوث أن الأمر لم يَجرِ على هذا النحو، ولكنه أراد أن يسمع ما تقوله جوزفين تيرنر.

لم تتردد بل قالت: لا، لم أفعل ذلك.

- لماذا لم تفعلي يا آنسة تيرنر؟

التقت عيناها بعينيه بصراحة وقالت: ما كنتَ لتفعل ذلك لو كنت مكاني!

- أتظنين ذلك؟

- إن لديّ وظيفة يجب أن أفكر فيها، والفضيحة أمر لا

يرغب فيه أي فندق، ولا سيما ما يمكن أن يؤدي إلى تدخل الشرطة. لم أحسب أن شيئاً قد حدث لروبي ولا للحظة واحدة. ظننتُ أنها قد تحامقت فقط وخرجت مع شاب ما، وظننت أنها ستظهر بالتأكيد... وكنت سأوبخها بشدّة عندما تعود! إن بنات الثامنة عشرة مغفلات تماماً.

تظاهر ميلتشيت بالنظر في ملاحظات مدوَّنة أمامه ثم قال: آه، نعم، أرى أن رجلاً يدعى السيد جفرسُن هو الذي ذهب إلى الشرطة. أكان أحد النزلاء المقيمين في الفندق؟

قالت جوزفين تيرنر باقتضاب: نعم.

- وما الذي جعل السيد جفرسُن هذا يفعل ذلك؟

كانت جوزي تربّت على كُمِّ سترتها وبدا في سمتها تحفظ، وشعر الكولونيل ميلتشيت ثانية بأنها تملك شيئاً لم تشأ البوح به. ثم قالت بشيء من النكد: إنه مُقعَد. إنه... إنه ينفعل بسهولة، أعني لكونه مُقعَداً.

ترك ميلتشيت هذا الموضوع وسألها: من كان ذلك الشاب الذي رأيتِ قريبتك ترقص معه آخر مرة؟

- اسمه بارتليت، وكان مقيماً في الفندق منذ نحو عشرة أيام.

- أكانا على علاقة وطيدة؟

- ليس بشكل خاص فيما أظن، وهذا ما لا أعرفه على أية حال.

ظهرت ثانية نبرة غضب غريبة في صوتها.

- ما الذي قاله الشاب؟

- قال إن روبي صعدت بعد رقصهما إلى الطابق العلوي لتصلح من زينتها.

- أكان هذا عندما بدلت ملابسها؟

- أظن ذلك.

- وهذا آخر ما تعرفينه؟ وبعد ذلك اختفت الفتاة...

- تلاشت، نعم، هذا صحيح.

- هل كانت الآنسة كين تعرف أحداً في سينت ميري ميد أو في هذه المنطقة؟

- لا أدري. ربما كانت تعرف أحداً، فشبان كثيرون يأتون إلى فندق ماجستيك في ديناموث من كل المناطق المجاورة، وما كنتُ لأعرف أين يعيشون ما لم يذكروا هم ذلك.

- هل سبق لك أن سمعتِ قريبتك تذكر غوسينغتُن؟

- غوسينغتُن؟

بدت الحيرة واضحة على جوزي. فقال الكولونيل ميلتشيت: غوسينغتُن هول.

هزّت رأسها وقالت بنبرة تنطوي على القناعة: لم أسمع به مطلقاً.

كان في نبرتها فضول أيضاً، فشرح لها الكولونيل ميلتشيت قائلاً: إن «غوسينغتُن هول» هو البيت الذي عُثِر على الجثة فيه.

حدقت إليه قائلة: غوسينغتُن هول؟ ما أغرب ذلك!

فكر ميلتشيت قائلاً لنفسه: "فعلاً ما أغرب ذلك"! أما بصوت مسموع فقال: هل تعرفين كولونيلاً أو سيدة باسم بانتري؟

هزت جوزي رأسها ثانية بالنفي.

- أو سيداً يُدعى بيسل بليك؟

قطبت جبينها قليلاً وقالت: أظنني سمعت بذلك الاسم. نعم، أنا واثقة من أنني سمعتُه ولكنني لا أذكر شيئاً عنه.

دسّ المفتش اليقظ سلاك عبرَ الطاولة إلى رئيسه ورقة اقتطعها من دفتر ملاحظاته، وعليها كُتب بقلم الرصاص: «لقد تعشى الكولونيل بانتري في فندق ماجستيك في الأسبوع الماضي».

رفع ميلتشيت نظره لتلتقي عيناه بعيني المفتش. احمرّ وجه رئيس الشرطة، فقد كان سلاك ضابطاً مجتهداً شديد الخماسة، ولم يكن ميلتشيت يحبه كثيراً ولكن لم يكن بوسعه أن يتجاهل التحدي. لقد كان المفتش يتهمه ضمناً بمحاباة أبناء طبقته، بالتستر على «صديق مدرسة قديم».

التفت إلى جوزي وقال: آنسة تيرنر، أريد منك أن

تصحبيني إلى غوسينغتُن هول إذا لم تمانعي.

وببرودة وتحدّ، وبما يوشك أن يكون تجاهلاً لتمتمة جوزي بالموافقة، التقت عينا ميلتشيت بعينَي سلاك.

* * *

الفصل الرابع

-١-

كانت قرية سينت ميري ميد تعيش صباحاً مُشوِّقاً جداً لم تشهده منذ زمن طويل. وكانت الآنسة ويذربي (وهي عانس شديدة الفضول سليطة اللسان) أول من نشر تلك المعلومة المثيرة التي تذهب بالألباب، فقد مرّت لزيارة صديقتها وجارتها الآنسة هارتنيل.

- اعذريني على قدومي في مثل هذا الوقت المبكر يا عزيزتي، ولكني رأيت أنك ربما لم تسمعي بعدُ بالخبر.

سألتها الآنسة هارتنيل: أي خبر؟

كان لها صوت عميق جهوري، وكانت لا تتعب أبداً من المواظبة على زيارة الفقراء مهما حاولوا جاهدين تجنب خدماتها.

- الخبر المتعلق بوجود جثة في مكتبة الكولونيل بانتري... جثة امرأة.

- في مكتبة الكولونيل بانتري؟

- نعم. أليس هذا فظيعاً؟

- يا لزوجته المسكينة!

حاولت الآنسة هارتنيل إخفاء سعادتها العميقة المتحمسة. وقالت الآنسة ويذربي: نعم، بالفعل، ولا أحسب أنها كانت تعرف شيئاً.

قالت الآنسة هارتنيل منتقدة: لقد كانت تفكر كثيراً بحديقتها ولا تفكر بزوجها بما فيه الكفاية. على المرأة أن تداوم على مراقبة الرجل... طول الوقت.

قالت الآنسة هارتنيل ذلك ثم كررت بضراوة: ... طول الوقت.

- أعرف، أعرف. إنه لأمر فظيع حقاً.

- أتساءل عمّا يمكن لجين ماربل أن تقوله. أتظنين أنها تعرف شيئاً عن الموضوع؟ إنها شديدة الذكاء في مثل هذه المسائل.

- لقد ذهبت جين ماربل إلى غوسينغتُن.

- ماذا؟ هذا الصباح؟

- في وقت مبكر جداً، قبل الإفطار.

- يا إلهي! ما هذا؟ أعني أن في ذلك مبالغة شديدة. إننا نعرف جميعاً أن جين تحب دسّ أنفها في الأمور... ولكني

أُسَمّي هذا تصرفاً مشيناً.

- آه، ولكن السيدة بانتري هي التي أرسلت في طلبها.

- السيدة بانتري أرسلت تطلبها؟

- الحقيقة أن السيارة قد جاءتها... يقودها موسويل.

- يا إلهي، ما أغرب ذلك!

ثم سكتت المرأتان للحظات لهضم الخبر. وأخيراً سألت الآنسة هارتنيل: جثة مَنْ هي؟

- أتعرفين تلك المرأة الفظيعة التي تأتي مع بيسل بليك؟

- تلك الشقراء الرهيبة التي تَقْصُرُ شعرها؟

كانت الآنسة هارتنيل متخلّفة قليلاً عن مجاراة الزمن، ولم تكن قد تقدمت بعدُ من القِصَارة إلى صبغات الشعر البلاتينية.

- نعم يا عزيزتي. لقد كانت هناك، على السجادة أمام الموقد... مخنوقة!

- ولكن ماذا تعنين بقولك... في غوسينغتُن؟

أومأت الآنسة ويذربي برأسها إيماءة ذات مغزى، فقالت صاحبتها: إذن فالكولونيل بانتري أيضاً...؟

أومأت الآنسة ويذربي ثانية برأسها موافقة.

- آه!

ساد شيء من الصمت فيما تلذّذت العانستان العجوزتان

بهذه الإضافة الجديدة لفضائح القرية. ثم صاحت الآنسة هارتنيل بسخط الاستقامة: يا لها من امرأة شريرة!

- أخشى أنها كانت متهتكة تماماً.

- والكولونيل بانتري، ذلك الرجل اللطيف الهادئ...

قالت الآنسة ويذربي بتلذذ: أولئك الهادئون هم الأسوأ غالباً. جين ماربل تقول ذلك دوماً.

-٢-

كانت السيدة برايس ريدلي من بين آخر من سمعوا بالخبر. كانت السيدة ريدلي أرملة غنية متسلطة تعيش في بيت ضخم مجاور لبيت الكاهن، وكانت خادمتها الصغيرة كلارا هي التي أخبرتها.

- أتقولين امرأة يا كلارا؟ عُثر عليها ميتة في مكتبة الكولونيل بانتري؟

- نعم يا سيدتي، ويقولون إنها لم تكن ترتدي شيئاً!

- كفى يا كلارا، ليس من الضروري الدخول في التفاصيل.

- نعم يا سيدتي، ويقولون إنهم ظنوا في البداية أنها فتاة السيد بليك، تلك التي تأتي معه في عطل نهاية الأسبوع إلى بيت السيد بوكر الجديد. ولكنهم يقولون الآن إنها فتاة مختلفة

تماماً. وصبي السمّاك يقول إنه ما كان ليصدّق صدور مثل هذا الأمر عن الكولونيل بانتري، لا سيما وهو يقوم بدور رئيسي في الاهتمام بالكنيسة.

قالت السيدة برايس ريدلي: يوجد الكثير من الشرّ في هذا العالم يا كلارا، فليكن هذا تحذيراً لك.

- نعم يا سيدتي. إن أمي لن تقبل أبداً بأن أخدم في بيت فيه رجال.

- يكفي هذا يا كلارا.

-٣-

لم تفصل بيت السيدة برايس ريدلي عن بيت الكاهن سوى خطوات معدودة، وكانت السيدة ريدلي محظوظة لعثورها على الكاهن في مكتبه. كان الكاهن رجلاً لطيفاً في منتصف عمره، وهو دائماً آخر من يسمع بأي شيء.

قالت له السيدة ريدلي وهي تلهث قليلاً لأنها أتت على عجل: أمر فظيع جداً، وقد شعرت بأنني يجب أن آخذ رأيك ومشورتك بشأنه يا عزيزي الكاهن.

بدا على السيد كليمنت شيء بسيط من القلق وقال: هل حدث شيء؟

كررت السيدة ريدلي السؤال بشكل درامي قائلة: هل

حدث شيء؟ أفظع فضيحة تحدث، ولم يكن أحد منا يعرف شيئاً عنها! امرأة متهتكة، عارية تماماً، ومخنوقة على سجادة الموقد في مكتبة الكولونيل بانتري.

حدق الكاهن إليها وقال: هل... هل تشعرين بأنك على ما يرام؟

- لا عجب أن لا تستطيع تصديق ذلك؛ فأنا لم أستطع تصديقه في البداية. يا لنفاق الرجل! كل هذه السنوات!

- أرجوك أخبريني بالضبط ما هو الأمر.

شرعت السيدة ريدلي في سرد مُسهب، وعندما أكملت قال السيد كليمنت باعتدال وهدوء: ولكن ألا ترين أنه لا يوجد في القصة ما يشير إلى تورط الكولونيل بانتري في هذا الأمر؟

- آه يا عزيزي الكاهن. إنك شديد الورع! ولكن يجب أن أخبرك بقصة صغيرة. يوم الخميس الماضي... أم أنه كان الخميس الذي قبله؟ على كل حال لا أهمية لذلك... كنتُ ذاهبة إلى لندن في قطار النهار المنخفض الأجرة، وكان الكولونيل بانتري في المقصورة ذاتها. ورأيتُ أنه بدا شارداً تماماً، وقد دفن وجهه طوال الطريق تقريباً في صحيفة التايمز كما لو أنه لا يريد الحديث.

أومأ الكاهن بتفهّم كامل، بل بتعاطف.

- وفي محطة بادنغتُن ودَّعتُه. كان قد عرض عليّ إحضار سيارة أجرة لي ولكني أردت ركوب الحافلة إلى شارع أكسفورد.

وقد ركب سيارة أجرة، وسمعتُه بوضوح يطلب من السائق أن يذهب إلى... إلى أين برأيك؟

بدا التساؤل على وجه السيد كليمنت، فقالت: إلى عنوان في سينت جونز وود!

ثم توقفت السيدة برايس ريدلي مَزهُوّة. لكن الكاهن بقي حائراً تماماً لا يفهم شيئاً.

قالت السيدة ريدلي أخيراً: أرى أن هذا يُثبت الأمر.

-٤-

في «غوسينغتُن هول» كانت السيدة بانتري والآنسة ماربل تجلسان في غرفة الجلوس. قالت السيدة بانتري: أتعلمين؟ إنني لا أملك إلا الشعور بالارتياح لأنهم أخذوا الجثة من هنا. ليس من اللطيف أن تكون لدى المرء جثة في بيته.

أومأت الآنسة ماربل موافِقةً وقالت: أعرف يا عزيزتي، أعرف تماماً حقيقة شعورك.

- لا يمكنك معرفة ذلك تماماً ما لم تكن لديك جثة. أعرف أنك خبرتِ يوماً وجود جثة في البيت المجاور لبيتك تماماً، ولكن لا وجه للشبه بين الحالتين. إنني أرجو فقط أن لا يكره آرثر غرفة المكتبة فنحن نجلس فيها كثيراً. ماذا تفعلين يا جين؟

ذلك أن الآنسة ماربل كانت تنهض بعد أن نظرت إلى ساعتها. قالت: كنت أفكر بالعودة إلى البيت... ما لم يكن هنا أمر يمكنني مساعدتك به؟

- لا تذهبي الآن. أعرف أن رجال أخذ البصمات والمصورين وغالبية رجال الشرطة قد غادروا، ولكني ما زلتُ أشعر بأن شيئاً قد يحدث، ولا أظنك ترغبين بأن يفوتك شيء.

رنّ جرس الهاتف، فذهبت السيدة بانتري لتجيب عليه. ثم عادت بوجه متهلل وقالت: لقد أخبرتك بأن مزيداً من الأمور ستحدث. كان المتكلم هو الكولونيل ميلتشيت، وسيُحضر قريبة الفتاة المسكينة إلى هنا.

قالت الآنسة ماربل: إني لأتساءل عن السبب.

- آه، أحسب أنه سيحضرها لتشاهد موقع الحادثة.

- أظن أن الأمر أكبر من ذلك.

- ماذا تعنين يا جين؟

- أظن أنه... لعله يريد لتلك الفتاة أن تقابل الكولونيل بانتري.

قالت السيدة بانتري بحدّة: ليرى إن كانت تميّزه؟ أحسب... آه، نعم، أحسب أنهم سيشكّون في آرثر بالتأكيد.

- أخشى أن الأمر كذلك.

- كما لو كان ممكناً أن تكون له أية علاقة بهذا الأمر!

بقيت الآنسة ماربل صامتة، فالتفتت إليها بشكل اتهامي وقالت: ولا تقتبسي لي كلاماً عن الجنرال العجوز هيندرسون أو عن أي عجوز مخيف آخر احتفظ بخادمته. إن آرثر ليس من هذا النوع.

- نعم، نعم، ليس كذلك بالطبع.

- إنه ليس من هذا النوع حقاً...

ثم أكملت السيدة بانتري جملتها على نحو غامض بعض الشيء قائلة: ثم إن لدي الحديقة في نهاية الأمر.

ابتسمت الآنسة ماربل وقالت: لا تقلقي يا دولي.

- أنا لا أقصد أن أقلق، ولكني أقلق قليلاً رغماً عني، وهكذا آرثر أيضاً. لقد أزعجه الأمر، مع وجود كل هؤلاء الشرطة يتبخترون هنا وهناك. لقد ذهب إلى المزرعة، فهذا من شأنه أن يُهدّئ أعصابه حينما كان منزعجاً. آه، ها قد جاؤوا.

وصلت سيارة رئيس وتوقفت الشرطة أمام البيت، ثم دخل الكولونيل ميلتشيت ترافقه شابة أنيقة الملبس، وقال مُعرِّفاً: هذا هي الآنسة تيرنر يا سيدة بانتري. قريبة... قريبة الضحية.

تقدمت السيدة بانتري مادّة يدها وقالت: تشرفنا بمعرفتك. لا بد أن هذا الأمر كان فظيعاً بالنسبة لك.

قالت جوزفين تيرنر بصراحة: آه، هو كذلك بالفعل. لا شيء فيه يبدو حقيقياً على نحو ما، إنه أشبه بحلم مزعج.

قدّمت السيدة بانتري الآنسة ماربل، وقال الكولونيل

ميلتشيت بطريقة عَرَضية: هل زوجك الطبيب هنا؟

- لقد ذهب إلى المزرعة، لكنه سيعود عمّا قريب.

- آه...

بدا ميلتشيت حائراً قليلاً، فقالت السيدة بانتري لجوزي: هل تودين رؤية... رؤية مكان الحادثة، أم تفضلين عدم رؤيته؟

قالت جوزفين بعد لحظة صمت: أظنني أودّ رؤية المكان.

قادتها السيدة بانتري إلى المكتبة وتبعهما الكولونيل ميلتشيت والآنسة ماربل، وهناك أشارت السيدة بانتري بيدها بشكل درامي وقالت: كانت هناك، على السجادة أمام الموقد.

- آه!

ارتعدت جوزي، ولكنها بدت أيضاً حائرة. قالت وقد تغضّن جبينها: إنني لا أستطيع فهم ذلك... لا أستطيع!

قالت السيدة بانتري: ونحن لا نستطيع فهمه بالتأكيد.

قالت جوزي ببطء: إن المكان ليس من النوع الذي...

ثم توقفت. أومأت الآنسة ماربل برأسها بلطف موافِقة على تلك العاطفة التي لم تكتمل، ثم تمتمت: هذا ما يجعل الأمر مثيراً جداً للاهتمام.

قال الكولونيل ميلتشيت مازحاً: هيا يا آنسة ماربل، أليس لديك تفسير لذلك؟

- آه، نعم، لديّ تفسير، وهو تفسير معقول تماماً. ولكنه لا يعدو طبعاً أن يكون فكرتي الخاصة فحسب.

ثم مضت تقول: تومي بوند والسيدة مارتن، مديرة مدرستنا الجديدة... ذهبت السيدة مارتن لتعبّئ الساعة الجدارية فقفزت ضفدعة.

بدت جوزفين تيرنر في غاية الحيرة، وبينما كان الجميع يخرجون من الغرفة تمتمت للسيدة بانتري: هل في عقل هذه العجوز علة ما؟

أجابت السيدة بانتري بسخط: أبداً.

- أنا آسفة. ظننتُ أنها ربما حسبت أن الفتاة كانت ضفدعة مثلاً!

كان الكولونيل بانتري يدخل لتوّه من الباب الجانبي، وقد حياه ميلتشيت وراقب جوزفين تيرنر وهو يعرّف كلاً منهما بالآخر، ولكن لم تظهر أية علامة تدلّ على الاهتمام أو المعرفة في وجهها. تنهّد ميلتشيت بارتياح؛ ألا تباً لسلاك وتلميحاته!

وجواباً على أسئلة السيدة بانتري كانت جوزي تعيد سرد القصة الكاملة لاختفاء روبي كين، وعندما انتهت قالت السيدة بانتري: كان ذلك مُقلقاً جداً بالنسبة لك يا عزيزتي؟

قالت جوزي: لقد كنتُ غاضبة أكثر مما كنتُ قلقة. إذ لم أكن أعرف وقتها أن شيئاً قد حدث لها.

قالت الآنسة ماربل: ومع ذلك فقد لجأتِ إلى الشرطة.

اعذريني، ولكن ألم يكن ذلك إجراء سابقاً لأوانه بعض الشيء؟

قالت جوزي بلهفة: ولكنني لم ألجأ إلى الشرطة، بل جاء ذلك من السيد جيفرسُن.

قالت السيدة بانتري: جيفرسُن؟

- نعم، وهو رجل مُقعَد.

- أتعنين كونوي جيفرسُن؟ إنني أعرفه جيداً. إنه صديق قديم لنا. اسمع يا آرثر... كونويْ جيفرسُن. إنه يقيم في فندق ماجستيك، وكان هو الذي أبلغ الشرطة. أليست هذه مصادفة غريبة؟

قالت جوزفين تيرنر: لقد كان السيد جفرسُن هنا في الصيف الماضي أيضاً.

- تخيلوا! ولم نعرف نحن بذلك. إنني لم ألتقِ به منذ أمد بعيد.

ثم التفتت إلى جوزي وقالت: كيف حاله في هذه الأيام؟

فكرت جوزفين ثم قالت: أظنه رائعاً، حقاً... إنه رائع تماماً. أعني أنه لطيف يراعي مشاعر الناس، وهو دوماً مبتهج ولديه نكتة جاهزة.

- هل عائلته معه هناك؟

- أتعنين السيد غاسكيل والسيدة الشابة جفرسُن؟ وبيتر؟ آه، نعم.

بدا وكأن شيئاً يكبح طريقة جوزفين تيرنر الصريحة الجميلة المعتادة في الكلام، وعندما تكلمت عن عائلة جفرسُن بدا في صوتها شيء ليس طبيعياً تماماً.

قالت السيدة بانتري: إنهما لطيفان جداً كليهما، أليس كذلك؟ أعني الشابين الصغيرين.

قالت جوزي بشيء من عدم التأكد: آه، نعم... نعم، هما كذلك. أنا... نحن... نعم، هما كذلك، بالتأكيد.

-٥-

سألت السيدة بانتري وهي تنظر من النافذة إلى سيارة رئيس الشرطة وهي تبتعد: ماذا عَنَت بذلك: «هما كذلك، بالتأكيد»؟ ألا تشعرين بأمر غريب يا جين؟

التقطت الآنسة ماربل الكلمات بلهفة وقالت: آه، أرى ذلك، أرى ذلك بالفعل؛ إنه أمر لا يمكن أن تخطئه العين. لقد تغير أسلوبها فوراً عندما ذُكرت عائلة جفرسن، وكانت قد بدت طبيعية تماماً حتى ذلك الحين.

- ولكن ما هو ذلك الأمر برأيك يا جين؟

- حسناً يا عزيزتي، أنت تعرفينهم. كل ما أشعر به هو أن في أمرهم شيئاً ما يُقلق تلك الشابة. وثمة أمر آخر، هل لاحظتِ أنها -حين سألتِها عن مقدار قلقها لفقدان الفتاة- قالت إنها قد

غضبت! وقد بدت غاضبة بالفعل، غاضبة حقاً! لقد رأيتُ في ذلك أمراً مثيراً. لديّ شعور (ربما كنت مخطئة فيه) بأن ذلك كان هو ردّ فعلها الرئيسي على حقيقة مقتل الفتاة. أنا واثقة أنها لم تكن تأبه لها، وهي ليست حزينة بأي شكل. ولكنني أرى فعلاً، وبشكل جازم تماماً، بأن ذكر تلك الفتاة روبي كين وحده تجعل هذه الشابة غاضبة. والنقطة المثيرة هي: لماذا؟

- سوف نكتشف ذلك؛ سوف نذهب إلى دينماوث ونُقيم في فندق ماجستيك. نعم يا جين، وأنت أيضاً. أنا بحاجة إلى بعض التغيير من أجل أعصابي بعد ما حدث هنا. بضعة أيام في فندق ماجستيك... هذا ما نحتاجه. وسوف تقابلين كونوي جفرسُن. إنه شخص رائع، رائع حقاً. إن قصته من أشد القصص التي يمكن تخيلها إيلاماً، فقد كان له ابن وبنت يحبهما حباً جماً، وقد تزوج الاثنان ولكنهما استمرا يقضيان الكثير من الوقت في بيت أبيهما، وكانت زوجته أيضاً امرأة عذبة رائعة وكان مخلصاً لها. وفي إحدى السنوات كانوا عائدين إلى الوطن على متن طائرة من فرنسا ووقعت حادثة. قُتل الجميع: الطيار، والسيدة جفرسُن، وروزاموند، وفرانك. أما كونوي فقد أصيبت كلتا رجليه إصابة بالغة بحيث اضطروا إلى بترهما. لقد كان رائعاً بشجاعته ومعنوياته المرتفعة. كان قبلها رجلاً شديد النشاط وهو الآن مُقعَد لا حول له، ولكنه لا يشكو أبداً. وتعيش معه أرملة ابنه... وقد كانت أرملة أصلاً عندما تزوجها فرانك جفرسُن ولها ولد من زواجها الأول هو بيتر كارمودي، وكلاهما يعيشان مع كونوي، ويعيش معهم معظم الوقت أيضاً مارك غاسكيل، زوج ابنته روزاموند. كان الأمر كله مأساة رهيبة جداً.

- والآن تقع مأساة أخرى...

- آه، نعم، نعم. ولكن لا علاقة لها بعائلة جفرسُن.

- أحقاً؟ لقد كان السيد جفرسُن هو الذي أبلغ الشرطة.

- هذا صحيح. أتعلمين يا جين؟ هذا أمر غريب حقاً!

* * *

الفصل الخامس

-١-

كان الكولونيل ميلتشيت يواجه مدير فندق شديد الانزعاج، وكان معه كبير المفتشين هاربر من شرطة غلينشاير والمفتش سلاك الذي لا مهرب منه، وكان الأخير متنكداً بعض الشيء نتيجة استيلاء رئيس الشرطة على القضية.

وقد مال كبير المفتشين هاربر إلى التهدئة في التعامل مع السيد بريسكوت الذي كاد يبكي، فيما مال الكولونيل ميلتشيت إلى القسوة التامة معه. قال بحدّة: لا فائدة من البكاء على ما فات وانتهى. لقد ماتت الفتاة، خُنقت، ومن حُسن حظك أنها لم تُخنَق في فندقك، فهذا يجعل الاستجواب يجري في مقاطعة مختلفة بحيث لا يؤثر في مؤسستك إلاّ بالحد الأدنى. ولكن لا بد من القيام ببعض التحريات، وكلما أسرعنا في إجرائها كان ذلك أفضل. بوسعك أن تثق في كتماننا وحُسن تصرفنا، ولذلك فإني أقترح عليك أن تترك لغو الكلام وتدخل في الموضوع. ما الذي تعرفه عن الفتاة؟

- لا أعرف عنها شيئاً... على الإطلاق. لقد أحضَرَتْها

جوزي إلى هنا.

- أتعمل جوزي هنا منذ زمن طويل؟

- منذ سنتين... لا، بل ثلاث.

- وهل تعجبك؟

- نعم؛ إن جوزي فتاة طيبة ولطيفة وقديرة، فهي تنسجم مع الناس وتتدخل لتُلطِّف الأجواء وتُسوي الخلافات. إن البريدج لعبة حساسة كما تعلم.

أومأ الكولونيل ميلتشيت برأسه موافقاً، فقد كانت زوجته لاعبة بريدج متحمسة ولكنها سيئة جداً كلاعبة. ومضى السيد بريسكوت قائلاً: لقد كانت جوزي ممتازة في تهدئة المنغّصات. إن بوسعها أن تتعامل بشكل جيد مع الناس، فهي ذكية وحازمة... إن كنتم تفهمون ما أعنيه.

أومأ ميلتشيت مرة أخرى برأسه، فقد تذكّر الآن ما الذي ذكّرته به الآنسة جوزفين تيرنر. فرغم المساحيق والملابس الأنيقة كان فيها شيء من سمت المربيات في شخصيتها.

ومضى السيد بريسكوت يقول وقد صار أسلوبه يوحي بالأسى: إنني أعتمد عليها. ما الذي جعلها تذهب إلى اللهو على صخور ملساء زلقة بتلك الطريقة الغبية؟ إن لدينا شاطئاً جميلاً هنا، فلماذا تركته وذهبت إلى الصخور لتنزلق رجلُها وتقع فتكسر كاحلها. لم يكن هذا إنصافاً بالنسبة لي؛ إنني أدفع لها راتباً لترقص وتلعب البريدج وتُسلي الناس، وليس

لتذهب للقفز فوق الصخور ولتكسر كاحلها. إن على الراقصات أن يحرصن على كواحلهن ولا يجازفن. لقد انزعجتُ كثيراً لذلك... لم يكن هذا إنصافاً بالنسبة للفندق.

قطع ميلتشيت عليه استرساله قائلاً: وعندها اقترحَت عليك هذه الفتاةَ، قريبتَها، لتأتي إلى هنا، أليس كذلك؟

وافقه بريسكوت متذمراً وقال: هذا صحيح. لقد بدت تلك فكرة جيدة تماماً، ولكني لم أكن لأدفع لها أية أجور إضافية. كان بوسع الفتاة أن تحصل من الفندق على طعامها، أما بالنسبة إلى الراتب فهذا ما كان ينبغي أن يُتّفَق عليه بينها وبين جوزي. كانت تلك هي الطريقة التي رُتِّب بها الأمر، وأنا لم أعرف شيئاً عن الفتاة.

- ولكن تبين أنها جيدة، أليس كذلك؟

- آه، نعم؛ لم يكن فيها أي عيب... أعني عيباً يؤبَه له على الأقل. كانت صغيرة جداً بالطبع، ولعلها رخيصة بعض الشيء في أسلوبها بالنسبة لمكان كهذا، ولكنها ذات تهذيب جيد. كانت هادئة ومؤدبة وترقص جيداً. لقد أحبها الناس.

- أكانت جميلة؟

كان ذلك سؤالاً تصعب الإجابة عليه من مجرد نظرة إلى وجه أزرق متورّم. فكر السيد بريسكوت ثم قال: في مرتبة بين الحُسن والوسطية. ذات وجه دقيق الملامح ما كان له أن يجذب كثيراً دون مساحيق، ولكنها تمكنت من الظهور بمظهر جذّاب تماماً.

- أكان الشبّان يسعون خلفها؟

انفعل السيد بريسكوت وقال: أعرف ما الذي تريد الوصول إليه يا سيدي. أنا لم أرَ شيئاً أبداً، لا شيء خاصاً، لا شيء مما يدخل في باب قتل الناس خنقاً. كانت تنسجم بشكل جيد مع الأشخاص الأكبر سناً أيضاً، فقد كان فيها شيء من عبث الطفولة... بدت أشبه بطفلة إن كنتم تفهمون قصدي، وكان ذلك يُعجب الكبار.

قال كبير المفتشين هاربر بصوت عميق كئيب: ومنهم السيد جفرسُن مثلاً؟

وافقه المدير قائلاً: نعم، لقد كان السيد جفرسن هو الشخص الذي أفكر فيه عندما قلتُ ذلك، فقد اعتادت أن تجلس معه ومع عائلته كثيراً، كما اعتاد هو أن يُخرجها في نزهات بالسيارة أحياناً. والسيد جفرسن مغرم جداً بجيل الشباب، وهو طيب جداً معهم. ولكني لا أريد أن يُساء فهمي أبداً، فالسيد جفرسُن رجل مُقعد ولا يستطيع التنقل كثيراً... إلاّ حيث يأخذه كرسي العجلات. ولكنه حريص دوماً على رؤية الشبّان وهم يستمتعون بحياتهم، إنه يشاهد مباريات التنس والسباحة ويقيم حفلات للشبان هنا. إنه يحب الشباب وليست لديه مرارة كالتي قد تحدث لدى أمثاله. رجل محبوب جداً، وأرى أيضاً أنه شخصية متميزة جداً.

سأله ميلتشيت: وهل اهتم بروبي كين؟

- أحسب أن كلامها أعجبه.

- وهل شاركته عائلته إعجابه بها؟

- لقد كانوا دوماً لطفاء معها.

قال هاربر: وكان هو الذي أبلغ الشرطة بحقيقة اختفائها، أليس كذلك؟

- ضع نفسك مكاني يا سيد هاربر، فأنا لم أحلم للحظة واحدة بوقوع أمر مؤسف. لقد جاء السيد جفرسُن إلى مكتبي بشكل عاصف وهو شديد القلق، وقال إن الفتاة لم تَنَم في غرفتها ولم تظهر عند فقرة رقصها ليلة أمس، فلا بد أنها خرجت لنزهة في سيارة ولعلها تعرضت إلى حادثة. قال إن علينا إبلاغ الشرطة على الفور والقيام بتحريات! وقد كان في حالة من الانفعال والتسلط، واتصل بمركز الشرطة عندها في التوّ واللحظة.

- دون استشارة الآنسة تيرنر؟

- لم ترتَحْ جوزي إلى هذا الأمر كثيراً، كان بوسعي أن أرى ذلك. كانت منزعجة جداً من الأمر كله... أعني منزعجة من روبي. ولكن ماذا كان بوسعها أن تقول؟

قال ميلتشيت: أظن أن من الأفضل أن نرى السيد جفرسُن، أليس كذلك يا هاربر؟

وافقه كبير المفتشين هاربر.

-٢-

صعد المدير معهم إلى جناح السيد كونوي جفرسُن، وكان في الطابق الأول ويطلّ على البحر.

قال ميلتشيت: إنه يدلل نفسه تماماً، أليس كذلك؟ أهو غني؟

- أظنه غنياً تماماً في الواقع. إنه لا يبخل بشيء عندما يأتي إلى هنا، فهو يحجز أفضل الغرف ووجباته دائماً تُعَدّ بطلب خاص خارج قائمة الطعام اليومي... إنه ينال الأفضل من كل شيء.

أومأ ميلتشيت برأسه، وطرق السيد بريسكوت على الباب فأجابه صوت امرأة من الداخل: تفضل.

دخل المدير، والآخرون خلفه. كان سلوك السيد بريسكوت اعتذارياً وهو يتكلم مع المرأة التي التفتت لدخولهم وهي تجلس على كرسيها قرب النافذة.

- أنا آسف جداً لإزعاجك يا سيدة جفرسن، ولكن هؤلاء السادة من الشرطة وهم حريصون على التحدث قليلاً مع السيد جفرسن. الكولونيل ميلتشيت، كبير المفتشين هاربر، المفتش... سلاك. هذه السيدة جفرسن.

أجابت السيد جفرسُن على التعريف بانحناءة. كان أول انطباع لدى ميلتشيت أنها امرأة غير جميلة، ثم علت شفتيها ابتسامة وتحدثت فغيّر رأيه. كان لها صوت ساحر ومتعاطف إلى

أبعد الحدود، وكانت عيناها الكستنائيتان الصافيتان جميلتين. كانت ترتدي ملابس هادئة ولكنها جميلة، وقدّر ميلتشيت عمرها بنحو الخامسة والثلاثين.

قالت: إن حماي نائم. إنه ليس قوياً أبداً، وقد كانت هذه القضية صدمة فظيعة بالنسبة له، فقد اضطررنا إلى استدعاء الطبيب الذي أعطاه مهدئاً. أعرف أنه سيرغب في رؤيتكم حالما يصحو من نومه، وفي أثناء ذلك لعلي أستطيع مساعدتكم. ألا تجلسون؟

قال السيد بريسكوت للكولونيل ميلتشيت وهو متلهف على النجاة: حسناً، إن... إن كان هذا كل ما أستطيع تقديمه لكم؟

فتلقى شاكراً الإذن بالانصراف. ومع إغلاقه الباب خلفه اكتسب الجو طابعاً أكثر ليناً واجتماعية. كان لدى أديليد جفرسُن القوة على إشاعة جو مريح. لم تكن امرأة تقول شيئاً متميّزاً، ولكنها تنجح في تحفيز الآخرين على الكلام وتركهم على سجيتهم. وقد أصابت النقطة المطلوبة الآن إذ قالت: لقد صدمنا هذا الأمر جميعاً بشدّة، فقد كنا نرى الفتاة المسكينة كثيراً. يبدو الأمر عصيّاً تماماً على التصديق. لقد حزن السيد جفرسن حزناً شديداً، فقد كان مولعاً جداً بروبي.

قال الكولونيل ميلتشيت: لقد فهمت أن السيد جفرسُن هو الذي أبلغ الشرطة باختفائها؟

أراد أن يرى بالضبط كيف سيكون رد فعلها على ذلك.

كانت هناك لمحة، مجرد لمحة من... الانزعاج؟ القلق؟ لا يستطيع الجزم تحديداً، ولكن كان هناك شيء، وبدا له أنها اضطرت بالتأكيد إلى استجماع نفسها قبل المضيّ في الحديث كما لو كانت تستعد لمهمة بغيضة.

قالت: نعم، هذا صحيح. إنه مُقعَد ولذلك فهو ينزعج ويقلق بسهولة. حاولنا إقناعه بأن الأمر على ما يرام وأنه لا بد من وجود تفسير طبيعي وأن الفتاة نفسها ما كانت لتحب إبلاغ الشرطة، ولكنه أصرّ.

ثم قامت بإشارة خفيفة وقالت: حسناً، لقد كان مُصيباً وكنا مُخطئين.

سألها ميلتشيت: إلى أي مدى بالضبط كنت تعرفين روبي كين يا سيدة جفرسن؟

فكرت ثم قالت: من الصعب الجزم. إن حماي مغرم جداً بالشبان ويحب أن يبقيهم حوله. وقد كانت روبي نمطاً جديداً بالنسبة له، فقد أعجبه حديثها واستحوذ على اهتمامه. لقد جلست معنا كثيراً في الفندق، كما أخذها هو في جولات بالسيارة.

كان صوتها حيادياً تماماً لا يُنبئ بموقف محدد، وفكر ميلتشيت قائلاً لنفسه: بوسعها قول المزيد لو أرادت!

سألها: هل لك أن تخبريني بما تستطيعينه عن أحداث الليلة الماضية؟

- بالتأكيد، ولكن أخشى أن لا يكون لديّ سوى القليل ممّا هو مفيد. بعد العَشاء جاءت روبي وجلست معنا في البهو، وقد بقيت حتى بعد بدء الرقص. كنا قد خططنا للعب البريدج لاحقاً ولكنا كنا ننتظر مارك، أقصد نسيبي مارك غاسكيل الذي تزوج ابنة السيد جفرسن، وكان يكتب بعض الرسائل المهمة. وأيضاً كنا ننتظر جوزي، فقد كانت هي اللاعبة الرابعة معنا.

- وهل يحدث ذلك غالباً؟

- نعم، في أغلب الأحيان. إنها لاعبة من الطراز الأول طبعاً، وهي لطيفة جداً. كما أن حماي لاعب بريدج متحمس ويحب الإمساك بجوزي -كلما أمكن ذلك- لتكون اللاعبة الرابعة، وذلك بدلاً من إحضار شخص خارجي. ومن الطبيعي أنها لا تستطيع اللعب معنا دوماً إذ إنها مضطرة إلى تأمين اللاعبين للزبائن الآخرين، ولكنها تلعب معنا كلما أمكنها ذلك.

ثم ابتسمت عيناها قليلاً وأضافت: وبما أن حماي يصرف الكثير من المال في الفندق فإن الإدارة ترتاح كثيراً لمجاملة جوزي لنا.

سألها ميلتشيت: هل تحبين جوزي؟

- نعم، أحبها، فهي دائماً في مزاج طيب ومرح وتعمل بجِدّ، ويبدو أنها تحب عملها. وهي ذكية، رغم أنها ليست على جانب كبير من التعليم، كما أنها... كما أنها لا تتظاهر وتدّعي معرفة كل الأشياء. إنها طبيعية غير مُتكلِّفة.

- استمرّي أرجوك يا سيدة جفرسُن.

- كما قلت، كان على جوزي أن ترتب أمر لاعبي البريدج الآخرين، وكان مارك يكتب، ولذلك جلست روبي وتحدثت معنا أكثر قليلاً من المعتاد. ثم جاءت جوزي وذهبت روبي لتؤدي رقصتها المفردة الأولى مع ريموند، وهو راقص الفندق ومدرب التنس فيه أيضاً. وقد جاءت إلينا فيما بعد مع انضمام مارك إلينا تماماً، ثم ذهبت لترقص مع شاب، وبدأنا نحن الأربعة لعبة البريدج.

توقفت وقامت بإشارة عجز خفيفة ثم قالت: هذا كل ما أعرفه. لقد لمحتها مجرد لمحة وهي ترقص، ولكن لعبة البريدج لعبة تستحوذ على انتباه المرء، ولم أكد أنظر من خلال الحاجز الزجاجي إلى قاعة الرقص. وبعد ذلك، في منتصف الليل، جاء ريموند إلى جوزي وهو منزعج جداً وسألها عن روبي، ومن الطبيعي أن جوزي حاولت أن تُسكته ولكن...

تدخل كبير المفتشين هاربر بصوته الهادئ قائلاً: لماذا يكون ذلك «من الطبيعي» يا سيدة جفرسن؟

ترددت، ورأى ميلتشيت أنها ارتبكت قليلاً، ثم قالت: الحقيقة... لم تشأ جوزي أن تُثار ضجة حول تغيب الفتاة. كانت تعتبر نفسها مسؤولة عنها على نحو ما، وقالت إن روبي قد تكون في غرفتها في الطابق العلوي، وقالت إن الفتاة قد تحدّثت عن إصابتها بصداع في وقت مبكر من الليلة. ولا أحسب ذلك صحيحاً بالمناسبة، ولم تقله جوزي إلاّ في معرض التبرير. ثم ذهب ريموند واتصل هاتفياً بغرفة روبي، ولكن يبدو أنه لم

يتلقَّ جواباً فعاد بحالة عصبية بعض الشيء. وذهبت جوزي معه وحاولت تهدئته، وفي النهاية رقصت معه بدل روبي. كان ذلك جرأة منها، إذ كان بوسع المرء أن يرى أنه قد آلَمَ كاحلها. وبعد انتهاء الرقصة عادت إلينا وحاولت تهدئة السيد جفرسُن. كان قد أصبح قلقاً في ذلك الحين، وقد أقنعناه في النهاية بأن يذهب إلى فراشه وقلنا له إن روبي ربما خرجت لجولة في السيارة فثُقِبَ أحد الإطارات. وقد ذهب إلى فراشه قلقاً، وصباح هذا اليوم بدأ يهتاج على الفور.

توقفت قليلاً ثم قالت: والبقية تعرفونها.

- شكراً لك يا سيدة جفرسن. والآن، أريد أن أسألك إن كانت لديك أية فكرة عمَّن عساه قام بهذا الأمر.

قالت على الفور: ليست لديّ أية فكرة أبداً. أخشى أنني لا أستطيع مساعدتك أبداً.

ضغط عليها قائلاً: ألم تقل الفتاة شيئاً؟ لا شيء عن الغيرة مثلاً؟ عن رجل كانت تخافه؟ أو لها علاقة حميمة به؟

هزت أديليد جفرسُن رأسها بالنفي على كل سؤال، وبدا أنه لم يعد هناك المزيد مما يمكنها إبلاغهم به.

اقترح كبير المفتشين أن يقابلوا الشاب بارتليت ثم يعودوا لاحقاً لرؤية السيد جفرسن، وقد وافق الكولونيل ميلتشيت، فخرج الرجال الثلاثة بعد أن وعدتهم السيدة جفرسن بأن ترسل في إبلاغهم بمجرد استيقاظ حَميها.

قال الكولونيل ميلتشيت وهم يُغلقون الباب خلفهم: امرأة لطيفة.

وقال كبير المفتشين هاربر: سيدة لطيفة جداً بالفعل.

-٣-

كان جورج بارتليت شاباً نحيلاً شديد الطول بارز الحنجرة، وكان يعاني من صعوبة شديدة في التعبير عما يريده. وقد كان في حالة من الخوف والانفعال جعلت من الصعب الحصول منه على إفادة هادئة.

- إنه أمر فظيع، أليس كذلك؟ إنه من الأمور التي يقرؤها المرء في الصحف الأسبوعية... ولكن المرء لا يشعر أن ذلك قد حدث حقاً، أليس كذلك؟

قال كبير المفتشين: من المؤسف أنه ليس ثمة شك في وقوع هذا الأمر يا سيد بارتليت.

- نعم، نعم، بالطبع. ولكنه يبدو أمراً غريباً جداً على نحو ما، وفوق ذلك كانت على بعد أميال من هنا.. في بيت ريفي، أليس كذلك؟ في بيت لأحد شرفاء المقاطعة. لقد أثار ذلك ضجة في المنطقة... ماذا؟

تولى الكولونيل ميلتشيت زمام الموقف وقال: إلى أي مدى كنتَ تعرف الفتاة المتوفاة يا سيد بارتليت؟

بدا جورج بارتليت مذعوراً وقال: آه، لـ... ليست معرفة

جيدة أبداً يا سيدي، بل لم أكد أعرفها... إن كنتَ تفهمني. رقصتُ معها مرة وقضينا بعض الوقت نلعب قليلاً من التنس... شيء كهذا.

- أحسب أنك كنت آخر شخص يراها على قيد الحياة في الليلة الماضية، أليس كذلك؟

- أحسبني كنتُ كذلك. ألا يبدو هذا فظيعاً؟ أعني أنها كانت بخير تماماً عندما رأيتُها... بأحسن حال.

- في أي وقت كان ذلك يا سيد بارتليت؟

- الحقيقة أنني لا أدقّق كثيراً في مسألة الوقت. لم يكن الوقت متأخراً كثيراً إن كنتَ تفهم قصدي.

- هل رقصت معها؟

- نعم. في الحقيقة... نعم، رقصت. رغم أن ذلك كان في وقت مبكر من الليلة. كان ذلك بعد عرضها الراقص مباشرة مع ذلك الرجل المحترف. لا بد أن الساعة كانت العاشرة أو العاشرة والنصف... أو الحادية عشرة، لا أدري.

- دعك من الوقت الآن فبوسعنا تحديد ذلك. أخبرنا عمّا حدث بالضبط.

- رقصنا، كما تعلم... رغم أنني لستُ بذلك الراقص البارع.

- إن طريقة رقصك ليست مهمة حقاً يا سيد بارتليت.

رمى جورج بارتليت الكولونيل بنظرة مذعورة وقال متلعثماً: نـ... نعم، أحسب... أحسب أنها كذلك. كما قلت، رقصنا، وتكلمتُ أنا ولكن روبي لم تقل الكثير، وتثاءبت قليلاً. وكما قلتُ فإنني لا أحسن الرقص كثيراً ولذلك فإن الفتيات يمِلنَ إلى تجنب مراقصتي. قالت إنها تعاني من صداع... وأنا أعرف متى ينبغي أن أنسحب، ولذلك قلتُ لها: هيا بنا، وانتهى الأمر.

- ماذا كان آخر ما رأيتَه منها؟

- صعدَت إلى الطابق العلوي.

- ألم تقل شيئاً عن مقابلة مع أحد؟ أو عن الذهاب في نزهة بالسيارة؟ أو... أو عن موعد لديها؟

بذل الكولونيل شيئاً من الجهد لكي يعطي تعبيراته النبرةَ العامية، ولكن بارتليت هزَّ رأسه نافياً، وبدا أشبه بالمنتحب وهو يقول: لم تقل لي شيئاً، بل اكتفت بالتخلص مني.

- كيف كان سلوكها؟ أكانت قلقة متلهّفة، شاردة، في عقلها أي شيء؟

فكر جورج بارتليت، ثم هزّ رأسه وقال: بدت سَئِمَة بعض الشيء، وتثاءبت كما قلت. لا شيء أكثر من ذلك.

- وماذا فعلت أنت يا سيد بارتليت؟

- ماذا؟

- ماذا فعلت عندما تركَتك روبي كين؟

فغر جورج بارتليت فاه وقال: دعني أفكر. ما الذي فعلتُه؟

- هذا ما ننتظر إجابته منك.

- نعم، نعم... بالطبع. صعبٌ جداً أن يتذكر المرء الأمور. ماذا؟ لن يُدهشني أن أكون قد ذهبت إلى مقهى الفندق وشربتُ شيئاً.

- وهل ذهبتَ إلى المقهى وشربت شيئاً؟

- هذا هو الأمر بالضبط. لقد شربتُ كوباً من الشاي بالفعل، ولكني لا أحسب أن ذلك كان وقتَها تماماً. يُخيَّل إليّ أنني تجولت في الخارج لاستنشاق بعض الهواء. كان الجو خانقاً أكثر مما يتوقعه المرء في أيلول، أما في الخارج فكان الجو لطيفاً.

توقف قليلاً ونظر إلى الشرطيين بخوف، ثم مضى قائلاً: نعم، هكذا كان. تمشيت قليلاً في الخارج، ثم دخلت وشربت الشاي، ثم مشيت عائداً إلى قاعة الفندق. لم يكن لديّ الكثير مما أفعله، وقد لاحظت أن جوزي كانت ترقص مع صاحبنا مدرّب التنس... رغم أنها كانت مريضة من قبل من التواء الكاحل أو ما شابه ذلك.

- إن هذا يحدد وقت عودتك بأنه كان في منتصف الليل. أتريد أن نفهم من ذلك أنك قضيتَ أكثر من ساعة وأنت تمشي في الخارج؟

- ولكنني شربت الشاي أيضاً. كنت... الحقيقة أنني كنت

أفكر في الأمور.

قوبلت هذه العبارة بتصديق أكثر من أية عبارة أخرى، وقال الكولونيل ميلتشيت بحدّة: ما الذي كنتَ تفكر فيه؟

- آه، لا أدري. بالأمور.

- ألديك سيارة يا سيد بارتليت؟

- آه، نعم، لديّ سيارة.

- أين كانت، في موقف الفندق؟

- لا، بل كانت في ساحة الفندق في الحقيقة، وقد فكرتُ بالقيام بجولة فيها.

- ولعلك ذهبت بجولة فعلاً؟

- لا... لا، لم أذهب. أقسم أني لم أفعل.

- ألم تأخذ الآنسة كين في جولة مثلاً؟

- آه، اسمعني، ما الذي تريد الوصول إليه؟ أنا لم آخذها... أقسم أنني لم آخذها، صدّقني.

- شكراً لك يا سيد بارتليت، لا أظن أن لدينا شيئاً آخر في الوقت الحاضر.

ثم كرر الكولونيل ميلتشيت وهو يضع الكثير من التركيز على الكلمات: في الوقت الحاضر.

بعد ذلك تركوا السيد بارتليت ينظر خلفهم بتعبير مُضحك

من الذعر على وجهه غير الذكي.

قال الكولونيل ميلتشيت: حمار صغير لا عقل له. أم أنه ليس كذلك؟

هزّ كبير المفتشين هاربر رأسه وقال: إن أمامنا طريقاً طويلاً.

* * *

الفصل السادس

-١-

لم يحصلوا على أية فائدة لا من الحمّال الليلي ولا من خادم المقهى. تذكّر الحمّال أنه اتصل بغرفة الآنسة كين بعد منتصف الليل تماماً ولم يجد جواباً، ولكنه لم يلاحظ السيد بارتليت وهو يغادر الفندق أو يعود إليه، فقد كان الكثير من الرجال والنساء يدخلون ويخرجون لأن المساء كان لطيفاً، وكانت هناك أبواب جانبية على طول الممر بالإضافة إلى باب الصالة الرئيسية. كان متأكداً إلى حد بعيد من أن الآنسة كين لم تخرج من الباب الرئيسي، ولكن إن كانت قد نزلت من غرفتها في الطابق الأول فقد كان هناك دَرَج قرب الغرفة وبابٌ يفضي إلى الخارج عند نهاية الممر. ربما كانت قد خرجت من هناك بسهولة دون أن يراها أحد، وهذا الباب لا يُقفَل حتى الساعة الثانية.

وقد تذكر خادم المقهى أن السيد بارتليت كان في المقهى في الليلة السابقة، ولكنه لم يستطع تحديد وقت لذلك، بل ظنّ فقط أن ذلك كان في وقت ما في منتصف السهرة. كان

السيد بارتليت قد جلس مقابل الجدار وكان يبدو مكتئباً بعض الشيء، ولم يعرف الخادم كم بقي الرجل هناك، فقد كان الكثير من الضيوف الخارجيين يدخلون ويخرجون. لقد لاحظ وجود السيد بارتليت ولكنه لم يستطع تحديد الوقت بأي شكل.

-٢-

وفيما هم يغادرون المقهى اعترضهم فتى صغير في نحو التاسعة من عمره، وقد شرع فوراً في حديث منفعل: أأنتم رجال التحري؟ أنا بيتر كارمودي. لقد كان جدي، السيد جفرسن، هو الذي اتصل بالشرطة بشأن روبي. هل أنتم من شرطة سكوتلنديارد؟ لا أحسبكم تمانعون في حديثي معكم، أليس كذلك؟

بدا وكأن الكولونيل ميلتشيت كان على وشك إجابته باقتضاب، ولكن كبير المفتشين هاربر تدخل وتكلم بأسلوب لطيف مُشجِّع: لا بأس بذلك يا بني. أحسب أن من الطبيعي أن تثير القضية اهتمامك، أليس كذلك؟

- إنها تثير اهتمامي بالتأكيد. هل تحب القصص البوليسية؟ أنا أحبها. إنني أقرؤها كلها، ولديّ تواقيع من دوروثي سِيَرز وأغاثا كريستي وديكسُن كار. هل ستظهر الجريمة في الصحف؟

قال كبير المفتشين هاربر متجهّماً: نعم، بالتأكيد.

- سوف أعود إلى المدرسة في الأسبوع القادم، وسأخبر الجميع هناك بأنني كنت أعرفها... أعرفها حقاً معرفة جيدة.

- ما رأيك فيها؟

فكر بيتر ثم قال: الحقيقة أنني لم أحبها كثيراً. أظنها كانت فتاة من النوع الغبي بعض الشيء، كما أن أمي والعم مارك لم يحبّاها كثيراً أيضاً. جدي فقط أحبها. يريد جدي أن يراكم بالمناسبة، إن إدوارد يبحث عنكم.

تمتم كبير المفتشين مُشجِّعاً: إذن فإن أمك والعم مارك لم يحبّا روبي كين كثيراً، أليس كذلك؟ لماذا؟

- آه، لا أدري. كانت تتطفل دوماً، ولم يحبّا تدليل جدي لها على ذلك النحو.

ثم أضاف بيتر بمرح: أحسبهما سعيدَين بموتها.

نظر إليه كبير المفتشين هاربر متأملاً ثم قال: هل سمعتهما يقولان ذلك؟

- ليس تماماً. لقد قال العم مارك: "حسناً، لقد كان هذا أحد المخارج على أية حال"، فقالت أمي: "نعم، ولكنه مخرج رهيب جداً"، فقال العم مارك أن لا فائدة من المداهنة.

تبادل الرجال النظرات، وفي تلك اللحظة جاء إليهم رجل مُحترم الشكل حليق اللحية والشارب يرتدي بدلة زرقاء أنيقة وقال: عفواً أيها السادة، أنا خادم السيد جفرسن. إنه مستيقظ الآن وقد أرسلني لأعثر عليكم، فهو متلهّف على رؤيتكم.

مرة أخرى صعدوا إلى جناح السيد جفرسُن، وفي غرفة الجلوس كانت أديليد تتحدث مع رجل طويل قلق كان يذرع الغرفة بعصبية جيئة وذهاباً. استدار بحدة لينظر إلى القادمين الجدد وقال: آه، نعم. يسعدني مجيئكم. لقد كان عمي يسأل عنكم. إنه مستيقظ الآن. هل لكم أن تُبقوه هادئاً قدر المستطاع؟ إن صحته ليست جيدة كثيراً، ومن المدهش حقاً أن هذه الصدمة لم تَقضِ عليه.

قال هاربر: لم أكن أعرف أن صحته بمثل هذا السوء.

- وهو شخصياً لا يعرف ذلك. العلة في قلبه؛ لقد حذّر الطبيب أديليد من مغبة انفعاله، بل إنه ألمح على نحو ما إلى أن النهاية قد تأتي في أي وقت، أليس كذلك يا أديليد؟

أومأت السيدة جفرسُن برأسها موافقة وقالت: مما لا يُصدَّق أنه قد استجمع قواه كما فعل.

قال ميلتشيت بجفاء: إن القتل ليس حدثاً يمكن اتخاذه موضوعاً للتهدئة، ولكننا سنكون حذرين قدر المستطاع.

كان يحاول تقييم مارك وهو يتكلم. كان مارك ذا وجه جريء شبيه بوجه الصقر، من أولئك الرجال الذين يفرضون طريقتهم كما يريدون والذين غالباً ما تُعجَب بهم النساء.

قال الكولونيل ميلتشيت لنفسه: ولٰكنه ليس من النوع الذي يمكن أن أثق به. ضعيف الوازع... هذه هي العبارة التي تصلح لوصفه، من ذلك النوع الذي لا يتورع عن شيء مهما كان.

-٣-

في غرفة النوم الكبيرة التي تُطلّ على البحر كان كونوي جفرسُن جالساً في كرسيه ذي العجلات قرب النافذة. وبمجرد أن يكون المرء معه في الغرفة فإنه يشعر بقوة وجاذبية هذا الرجل، وكأن الإصابات التي تركت الرجل مُقعداً قد أدت إلى تركز حيوية جسمه المُشتَّت في بؤرة أضيق وأشد كثافة.

كان له رأس جميل، وقد خالط احمرارَ الشعر قليلٌ من الشيب. وكان الوجه مجعداً قوياً لوحته بشدّة أشعة الشمس، وكانت العينان زرقاوين بشكل يثير الاستغراب، ولم يكن في شكله ما يوحي بالمرض أو الضعف. كانت الخطوط العميقة في وجهه خطوط معاناة لا خطوط ضعف. ها هو رجل ليس من شأنه أن يتذمر ويشتم الحظ، بل يتقبله ويعبُرُه وصولاً إلى النصر.

قال وهو يدرسهما بعينيه: يسعدني مجيئكما.

ثم قال لميلتشيت: أنت رئيس شرطة رادفوردشاير، أليس كذلك؟ وأنت كبير المفتشين هاربر؟ تفضلوا واجلسوا.

شكراه وجلسا، ثم قال ميلتشيت: لقد فهمت أنك كنت مهتماً بالفتاة القتيلة يا سيد جفرسن، أليس كذلك؟

التمعت ابتسامةٌ سريعة على وجه السيد جفرسن المتغضن وقال: نعم، لا شك أن الجميع أخبروك بذلك. وهذا ليس سراً. كم من المعلومات أخبرتكم بها عائلتي؟

ثم نظر بسرعة بين الحاضرين وهو يطرح سؤاله. كان ميلتشيت هو الذي أجابه: لم تخبرنا السيدة جفرسن إلاّ القليل، قالت إن حديث الفتاة قد راق لك وإنك أوشكتَ أن تُصبح وصياً أو مشرفاً عليها. ولم نتبادل مع السيد غاسكيل سوى عبارات قليلة.

ابتسم كونوي جفرسُن وقال: إن أديليد مخلوقة متكتمة رعاها الله، وربما كان من شأن مارك أن يكون أكثر صراحة. أحسب -يا سيد ميلتشيت- أن من الأفضل أن أخبرك ببعض الحقائق بشكل كامل، فهذا مهم بحيث تستطيع فهم موقفي.

سكت قليلاً ونظر إلى الرجلين نظرة عميقة، ثم مضى يسرد قصته قائلاً: من الضروري أولاً أن أعود إلى المأساة الكبرى في حياتي، فقبل ثماني سنوات فقدتُ زوجتي وابنتي في حادثة طائرة، ومنذ ذلك الحين أصبحت أشبه برجل فقد نصف نفسه... وأنا لا أتحدث هنا عن بلواي الجسدية. لقد كنتُ رجلاً عائلياً، وقد كانت زوجة ابني وزوج ابنتي طيّبَين جداً معاً وقاما بكل ما يستطيعان للحلول محل أبنائي من لحمي ودمي. ولكنني أدركتُ، ولا سيما مؤخراً، بأن لهما في نهاية الأمر حياتهما الخاصة التي يجب أن يعيشاها، ولذلك ينبغي أن تفهم أنني رجل وحيد. إنني أحب الشبان وأنسجم معهم، وقد خطرت لي مرة أو مرتين فكرة تبنّي فتاة أو فتى. وخلال هذا الشهر الأخير تطورت علاقة صداقة قوية بيني وبين هذه الطفلة التي قُتلت. كانت طبيعية إلى أبعد حد وساذجة تماماً، وبقيت تتحدث وتهذُر حول حياتها وتجاربها... في مجال التمثيل

الإيمائي، ومع الفرق المتجولة، ومع أبيها وأمها في مساكن رخيصة وهي طفلة... حياة تختلف كثيراً عن أية حياة عرفتها! دون أي شكوى ودون أن ترى حياتها بائسة. مجرد طفلة طبيعية لا تعرف الشكوى، تعمل بكل جِدّ ولم يُفسدها الدلال، طفلة رائعة. وقد ازددتُ إعجاباً بروبي يوماً بعد يوم، وقررتُ -أيها السادة- أن أتبنّاها قانونياً بحيث تصبح ابنتي بالتبنّي. أرجو أن يكون في ذلك تفسير لقلقي عليها وللخطوات التي اتخذتُها عندما سمعت باختفائها فجأة دون سبب.

ساد شيء من الصمت، ثم سأل كبير المفتشين هاربر دون أن تبدو في صوته أية إهانة يوحي بها السؤال: هل لي أن أسأل عن رأي صهرك وكنّتك في هذا الأمر؟

جاء جواب جفرسُن سريعاً: ما الذي يمكنهما قوله؟ لعلهما لم يحبا ذلك كثيراً، فهذا من الأمور التي تثير التحامل والغيرة، ولكنهما تصرفا بشكل جيد تماماً. نعم، بشكل جيد. وهما -على أية حال- ليسا عالة عليّ، فعندما تزوج ابني مارك نقلت إليه نصف أموالي على الفور. إنني أؤمن بذلك؛ لا تَدَعْ أولادك ينتظرون موتك. إنهم بحاجة إلى المال وهم شباب وليس عند كهولتهم. وبنفس الطريقة، عندما أصرّت ابنتي روزاموند على الزواج برجل فقير كتبتُ مبلغاً ضخماً من المال باسمها، وقد تحول ذلك المبلغ إليه عند وفاتها. ولذلك فإن هذا الأمر يُسهّل القضية من الناحية المالية كما ترون.

قال كبير المفتشين هاربر: فهمتُ يا سيد جفرسن.

ولكن كان في نبرته شيء من التحفظ. وقد سارع كونوي

جفرسن إلى الرد على هذه النبرة قائلاً: ولكنك لا توافقني، أليس كذلك؟

- ليس من شأني الخوض في ذلك يا سيدي، ولكن ردود أفعال أفراد العائلات -في ضوء خبرتي- لا تكون عقلانية دوماً.

- أحسب أنك على حق يا سيد هاربر، ولكن عليك أن تتذكر أن زوج ابنتي وزوجة ابني ليسا عائلتي بالمعنى الحرفي للكلمة، فهي ليست قرابة دم.

اعترف كبير المفتشين قائلاً: هذا يشكل فارقاً بالطبع.

وللحظة رمش كونوي جفرسُن بعينيه، ثم قال: وهذا لا يعني أنهما لا ينظران إليّ كمغفل عجوز، فمن شأن ذلك أن يكون رد الفعل الطبيعي للإنسان العادي. ولكنني لم أكن مغفلاً. إنني أعرف شخصيات الناس، وقد كان من شأن روبي كين -بالتعليم والصقل- أن تأخذ مكانها في أي موقع.

قال ميلتشيت: أخشى أننا نتصرف بشيء من الوقاحة والتطفل، ولكن من المهم أن نصل إلى كل الحقائق. لقد اقترحتَ أن تؤمّن إعالة كاملة للفتاة، أي أن تكتب مالاً باسمها، ولكنك لم تفعل ذلك بعد، أليس كذلك؟

- أفهم ما ترمي إليه... احتمال استفادة أحد من وفاة الفتاة؟ ولكن لا يمكن لأحد أن يستفيد من وفاتها. لقد كنت أجري الإجراءات الرسمية للتبنّي القانوني، ولكنها لم تكن قد انتهت بعد.

قال ميلتشيت ببطء: إذن فلو حدث لك شيء...؟

ثم ترك الجملة غيرَ منتهية، أشبه بالسؤال. وكان كونوي جفرسن سريعاً في الإجابة: ليس من المحتمل أن يحصل لي شيء. أنا مُقعد ولكني لستُ عاجزاً، ومع أن الأطباء يحبون تكشير وجوههم وإعطاء النصائح حول عدم إرهاق نفسي... عدم إرهاق نفسي؟ إنني أقوى من حصان! ومع ذلك فإنني مدرك تماماً لمقادير الحياة، وإن لديّ أسباباً وجيهة لأكون كذلك. إن الموت المفاجئ يأتي لأقوى الناس، لا سيما في أيامنا هذه حيث تكثر حوادث الطرق. ولكني تدبرتُ أمر ذلك، فقد كتبت وصية جديدة قبل عشرة أيام.

مال كبير المفتشين هاربر إلى الأمام قائلاً: نعم؟

- تركت مبلغ خمسين ألف جنيه ليبقى في صندوق ائتماني مخصص لروبي، حتى تبلغ الخامسة والعشرين من عمرها حيث يمكنها التصرف بالمبلغ.

انفتحت عينا كبير المفتشين، وكذلك عينا الكولونيل ميلتشيت. قال هاربر بصوت يكاد ينطوي على خوف وأسى: هذا مبلغ كبير جداً من المال يا سيد جفرسُن!

- نعم، هو كذلك في هذه الأيام.

- وكنتَ بصدد تركه لفتاة لم تعرفها إلاّ منذ بضعة أسابيع؟

التمع الغضب في عينَي السيد جفرسن الزرقاوين

الحيويتين، وقال: أيتوجب عليّ أن أعيد ما قلته مرة بعد مرة؟ ليس لدي أبناء من لحمي ودمي ولا أبناء أو بنات أخ أو أخت، ولا حتى أقارب بعيدون! كان بوسعي ترك المبلغ للجمعيات الخيرية، ولكني فضّلتُ تركه لفرد واحد.

ثم ضحك وقال: سندريلا التي تنقلب إلى أميرة بين ليلة وضحاها! ولِمَ لا؟ إن المال مالي، أنا الذي كسبتُه.

سأل الكولونيل ميلتشيث قائلاً: هل توجد أية حصص أخرى في الوصية؟

- مبلغ بسيط لخادمي الخاص، إدوارد، وما يبقى يُقسَم بالتساوي بين مارك وأديليد.

- عفواً، ولكن هل سيكون ما يتبقى مبلغاً كبيراً؟

- لعله لن يكون كذلك. من الصعب الجزم تحديداً بحجم المبلغ، فالاستثمارات تتأرجح طوال الوقت. وإذا ما اقتطعنا ضرائب الإرث وتكاليف الجنازة فربما وصل صافي المبلغ إلى عشرة آلاف جنيه.

- فهمت.

- ولا حاجة بكم لأن تظنوا أنني أعاملهما بشكل بخيل سيّئ بذلك، فكما قلتُ قبل قليل: لقد قسمت أملاكي عندما تزوج ولداي ولم أترك لنفسي عملياً سوى مبلغ بسيط جداً. ولكن بعد ذلك، بعد المأساة، أردت شيئاً أشغل به عقلي، ولذلك رميت بنفسي في أتون العمل. وفي بيتي في لندن مددتُ

خطاً خاصاً يصل بين غرفة نومي ومكتبي، وقد عملت بكل جد فساعدني ذلك على عدم التفكير وجعلني أشعر بأن... بأن إعاقتي لم تدمرني. رميت نفسي في العمل...

اكتسب صوته نبرة أكثر عمقاً وأخذ يتحدث وكأنه يخاطب نفسه أكثر من مخاطبته لمستمعيه: وبشيء من توفيق الأقدار ازدهر كل شيء كنتُ أفعله، ونجحت حتى مضارباتي المُستهجَنة التي لا يُرجى نجاحها. صار كل ما ألمسه يتحول ذهباً، وأحسب أنها طريقة القدر العادلة في تصحيح كفة الميزان... أعني بالنظر إلى إعاقتي الجسدية.

برزت من جديد خطوط المعاناة في وجهه، ثم استجمع نفسه وابتسم لهما باكتئاب وقال: وهكذا ترون أن المبلغ الذي تركتُه لروبي كان من حُرّ مالي الذي لا ينازعني فيه أحد، يحق لي التصرف به وفق ما أشتهيه.

قال ميلتشيت بسرعة: مما لا شك فيه -يا صاحبي العزيز- أننا لا نثير أي تساؤل بشأن ذلك أبداً.

قال كونوي جفرسن: جيد. والآن أريد أن أطرح بدوري بعض الأسئلة إذا سمحتم، أريد أن أسمع المزيد عن هذا الأمر الفظيع. كل ما أعرفه هو أنها... أن روبي الصغيرة قد وُجدت مخنوقة في بيت يبعد عن هذا المكان نحواً من عشرين ميلاً.

- هذا صحيح، في غوسينغتُن هول.

قطب جفرسُن جبينه وقال: غوسينغتُن؟ ولكن ذلك...

- هو بيت الكولونيل بانتري.

- بانتري! آرثر بانتري؟ إنني أعرفه، أعرفه وأعرف زوجته. لقد التقيت بهما في الخارج منذ بضع سنوات، لكن لم أعلم أنهما يعيشان في هذه المنطقة. إنه...

ثم توقف، وتدخل كبير المفتشين هاربر بهدوء قائلاً: لقد كان الكولونيل بانتري يتعشى في الفندق هنا يوم الثلاثاء الماضي. ألم تَرَه؟

- الثلاثاء، الثلاثاء؟ لا، فقد عدنا متأخرين. ذهبنا إلى هاردن هيد وتعشينا في طريق العودة.

قال ميلتشيت: ألم تذكر روبي كين لك عائلة بانتري قط؟

- مطلقاً، ولا أحسبها كانت تعرفهم... بل أنا واثق من ذلك، فهي لم تكن تعرف أحداً باستثناء العاملين في المسارح وما شابه ذلك.

سكت قليلاً ثم سأل فجأة: وماذا يقول بانتري عن هذا الأمر؟

- لا يستطيع تفسير هذا الأمر أبداً. كان خارجاً إلى اجتماع للمحافظين ليلة أمس، وقد اكتُشفت الجثة صباح اليوم. وهو يقول إنه لم يرَ تلك الفتاة في حياته قط.

أومأ جفرسُن برأسه وقال: يبدو هذا خيالياً حقاً.

تنحنح كبير المفتشين وقال: هل لديك أية فكرة يا سيدي عمَّن يمكن أن يكون قد فعل ذلك؟

- يا إلهي، ليست عندي أية فكرة!

برزت العروق على جبينه وهو يقول: إنه أمر لا يُصدَّق ولا يمكن تخيله، وما كنت لأقول إنه يمكن أن يقع لو لم يقع بالفعل!

- أليس لها صديق من حياتها الماضية... لا رجل يدور حولها أو يهددها؟

- أنا واثق من عدم وجود شيء كهذا، ولو وُجد شيء من ذلك لأخبرَتني. إنها لم تصاحب قط صديقاً دائماً، هي نفسها أخبرتني بذلك.

فكر كبير المفتشين هاربر قائلاً لنفسه: نعم، أحسب أن هذا ما قالته هي لك، ولكنه قد يكون صحيحاً وقد لا يكون.

مضى كونوي جفرسُن قائلاً: لا أملك إلاّ أن أشعر بأن هذا العمل لا بد أن يكون عمل مجنون ما... وحشية الطريقة واقتحام منزل ريفي... الأمر كله لا يربطه رابط ولا ينظمه أي معنى. ثمة رجال من هذا النوع، رجال تراهم عقلاء من الخارج ولكنهم يُغوون الفتيات، وأحياناً الأطفال، فيأخذونهم بعيداً ويقتلونهم!

قال هاربر: آه، نعم، توجد مثل هذه القضايا، ولكننا لا نعرف أحداً من هذا النوع يمارس جرائمه في هذه المنطقة.

مضى جفرسُن قائلاً: لقد فكّرت ملياً في كل الرجال العديدين الذين رأيتهم مع روبي. نزلاء هنا في الفندق،

وضيوف من خارجه، ورجال رقصت معهم... جميعهم يبدون مسالمين تماماً، من النوع المعتاد. لم يكن لها صديق خاص من أي نوع.

بقي وجه هاربر خالياً من أي تعبير، ولكن بقيت في عينيه أيضاً التماعة تخمين لم يلاحظها كونوي جفرسن؛ فقد رأى أن من الممكن تماماً أن يكون لروبي كين صديق خاص حتى لو لم يعرف السيد جفرسُن بذلك.

ولكنه لم يقل شيئاً، بل ألقى إلى رئيس الشرطة بنظرة تساؤل ثم نهض واقفاً وقال: شكراً لك يا سيد جفرسن، هذا كل ما نحتاجه في الوقت الحاضر.

سأل جفرسُن: هل ستُبقونني على اطّلاع بما تحققونه من تقدم؟

- نعم، نعم، سنبقى على اتصال بك.

خرج الرجلان من الغرفة.

اتكأ كونوي جفرسُن في كرسيه إلى الخلف، ونزل جفناه ليغطّيا الزرقة القاسية لعينيه، وبدا فجأة رجلاً مُتعَباً جداً. وبعد دقيقة أو اثنتين ارتجف جفناه ونادى: إدوارد!

ظهر الخادم من الباب المجاور على الفور. كان إدوارد يعرف سيده كما لا يعرفه أحد غيره؛ لم يكن الآخرون، بما فيهم المقرّبون، يعرفون سوى قوته، أما إدوارد فكان يعرف ضعفه. لقد سبق له أن رأى كونوي جفرسُن مُتعَباً ويائساً وسئِماً

من الحياة ومهزوماً مؤقتاً أمام عجزه ووحدته.

سأل: نعم يا سيدي؟

- اذهب إلى السير هنري كليذرنغ. إنه في ملبورن أباس. قل له -باسمي- أن يأتي إلى هنا اليوم إن استطاع ذلك، اليوم بدلاً من غد. قل له إن الأمر عاجل.



الفصل السابع

-١-

عندما أصبحا خارج باب جفرسُن قال كبير المفتشين هاربر: حسناً يا سيدي، لقد حصلنا على دافع، بغض النظر عن قيمته.

أجابه ميلتشيت: خمسون ألف جنيه؟

- نعم يا سيدي، وقد ارتُكبت جرائم قتل لمبالغ تقل كثيراً عن هذا المبلغ.

- نعم، ولكن...

أبقى الكولونيل ميلتشيت جملته غير مكتملة، ولكن هاربر فهم مراده وقال: إنك لا ترى ذلك محتمَلاً في هذه القضية، أليس كذلك؟ أنا أيضاً لا أراه محتمَلاً في هذا الإطار، ولكن لا بدّ من دراسة هذا الاحتمال على كل حال.

- آه، طبعاً.

مضى هاربر قائلاً: إذا كان لدى السيد غاسكيل والسيدة

جفرسُن ما يكفيهما من المال -كما قال السيد جفرسن- ويتوقعان الحصول على دخل كبير فلا أحسب أن من المحتمل أن يُقْدِما على جريمة قتل وحشية.

- هذا صحيح. علينا التحري عن موقفهما المالي بالطبع. لا يمكنني القول إنني أرتاح كثيراً لمظهر غاسكيل، إنه يبدو رجلاً ذكياً ضعيف الوازع، ولكن هذا لا يعني الحكم عليه بأنه قاتل.

- آه، نعم يا سيدي. وكما قلت، لا أحسب أن من المحتمل أن يكون القاتل أياً منهما، ومما قالته جوزي لا أرى كيف يمكن أن يكون هذا الاحتمال ممكناً، فقد كان الاثنان يلعبان البريدج من الساعة الحادية عشرة إلاّ ثلثاً وحتى منتصف الليل. لا، برأيي لا بد من وجود احتمال مرجَّح أكثر من هذا.

- أتعني وجود صديق لروبي كين؟

- بالضبط. لعله كان شاباً متذمراً ساخطاً، ولعله لم يكن في كامل قواه العقلية. وأحسب أنه قد يكون شخصاً عرَفته قبل أن تأتي إلى هنا، فلو أنه علم بخطة التبنّي هذه فربما كان ذلك بمثابة وضع نهاية للأمور، فقد رأى نفسه يخسر الفتاة ورآها تنتقل إلى مجال آخر في الحياة مختلف تماماً، فأعماه الغضب وأفقده رشده، ولذلك دفعها إلى الخروج للقائه ليلة أمس، ثم تشاجر معها بشأن الموضوع وفقد صوابه فقتلها.

- وكيف حدث أن جاءت إلى مكتبة بانتري؟

- هذا ممكن. لنقل إنهما كانا وقتها في الخارج، في سيارته، وقد استعاد رشده فأدرك حقيقة ما فعله، وكانت

أول فكرة تخطر له هي كيفية التخلص من الجثة. لنقل إنهما كانا أمام بوابة بيت ضخم وقتها، وخطرت له فكرة مفادها أنها إن وُجدت داخل ذلك البيت فإن الضجة والبلبلة ستتركز حول البيت وساكنيه وتجعله مرتاحاً خارج الموضوع. وهي فتاة صغيرة خفيفة الوزن ويمكنه حملها بسهولة، ولديه كمّاشة في سيارته. وهكذا فتح إحدى النوافذ بالقوة وطرحها على السجادة أمام الموقد، وبما أن القضية قضية خنق فليست في السيارة دماء أو فوضى تكشف أمره. أفهمت ما أعنيه يا سيدي؟

- نعم يا هاربر، هذا كله ممكن. ولكن ما يزال علينا شيء واحد ينبغي عمله.

ثم قال بالفرنسية مغيّراً المثل الفرنسي الشائع: «ابحث عن الرجل».

- ماذا؟ آه، هذا جيد يا سيدي.

كان كبير المفتشين هاربر من اللباقة بحيث أبدى إعجابه بمزحة رئيسه، رغم أنه لم يكد يفهم الكلمات بسبب لكنة الكولونيل ميلتشيت الفرنسية الممتازة جداً!

-٢-

- آه، هل... هل... هل أستطيع الحديث معكما للحظة؟

كان جورج بارتليت هو الذي اعترض الرجلين ليحدثهما على هذا النحو. لم يكن الكولونيل ميلتشيت يُلقي بالاً للسيد

بارتليت، بل كان متلهفاً لأن يرى كيف مضى المفتش سلاك في تفتيشه لغرفة الفتاة وتحقيقه مع خادمة الغرف، ولذلك صرخ قائلاً لبارتليت بحدة: حسناً، ما الأمر؟

تراجع الشاب بارتليت خطوة أو خطوتين وهو يغلق فمه ويفتحه كأنه سمكة في الماء، ثم قال: الحقيقة... قد لا يكون الأمر مهماً... رغم أن عليّ أن أخبركم. الحقيقة أنني لا أستطيع العثور على سيارتي.

- ماذا تعني بقولك إنك لا تستطيع العثور على سيارتك؟

شرح السيد بارتليت وهو يتلعثم كثيراً بأنه يعني أنه لم يستطع العثور على سيارته، فقال له كبير المفتشين هاربر: أتعني أنها سُرقت؟

التفت جورج بامتنان إلى الصوت الأكثر هدوءاً وقال: هذا هو الأمر. أعني أن المرء لا يستطيع الجزم، أليس كذلك؟ أعني أن من الممكن أن يكون أحدهم قد خرج بها على عجل دون أن يقصد أذى... إن كنت تفهمني.

- متى رأيتَها آخر مرة يا سيد بارتليت؟

- كنتُ أحاول تذكر ذلك. غريب كم يصعب على المرء أن يتذكر شيئاً، أليس كذلك؟

قال له الكولونيل ميلتشيت ببرود: ليس بالنسبة لذي الذكاء العادي فيما أظن. فهمتُ أنك قلت قبل قليل إنها كانت في ساحة الفندق ليلة أمس...

كانت لدى السيد بارتليت الجرأة لمقاطعة ميلتشيت قائلاً: هذا هو السؤال بالضبط... هل كانت هناك؟

- ماذا تعني بقولك «هل كانت هناك»؟ أنت الذي قلت إنها كانت هناك.

- الحقيقة... أعني أنني ظننتُها كانت هناك. أعني أنني لم أخرج وأنظر، هل فهمتني؟

تنهد الكولونيل ميلتشيت، واستجمع كل صبره وقال: دعنا نوضّح هذا الأمر تماماً. متى كانت آخر مرة رأيتَ فيها سيارتك فعلياً؟ من أي طراز هي بالمناسبة؟

- من طراز مينون ١٤.

- ومتى رأيتها آخر مرة؟

أخذت حنجرة جورج بارتليت البارزة تصعد وتنزل ارتباكاً وقال: كنت أحاول تذكّر ذلك. كانت معي قبل الغداء بالأمس، وكنت أنوي الذهاب بها في جولة بعد الظهر. ولكن حدث أنني نمت وقتها... أنت تعرف كيف تجري مثل هذه الأمور. وبعد ذلك، بعد تناول الشاي عصراً، اشتركت في لعبة تنس، ثم استحممتُ بعد ذلك.

- وكانت السيارة وقتها في ساحة الفندق؟

- أظن ذلك... أعني أن ذلك كان هو المكان الذي وضعتُها فيه. فكرتُ في اصطحاب شخص ما في جولة، أعني بعد العشاء. ولكني لم أكن محظوظاً في ذلك المساء. لم أفعل

شيئاً ولم أخرج بالسيارة في نهاية الأمر.

قال هاربر: ولكن حسب معلوماتك كانت السيارة ما تزال في الساحة، أليس كذلك؟

- هذا طبيعي. أعني أنني وضعتُها هناك... ماذا؟

- أكنتَ ستلاحظ الأمر لو أنها لم تكن هناك؟

هز السيد بارتليت رأسه بالنفي وقال: لا أظن ذلك، فكثير من السيارات تدخل وتخرج، وكثير منها من نوع سيارتي نفسه.

أومأ كبير المفتشين هاربر برأسه. كان قد ألقى لتوه نظرة عابرة من النافذة، وكان هناك -في تلك اللحظة- ما لا يقل عن ثماني سيارات من نوع مينون ١٤ في الساحة. لقد كانت سيارة الموسم الرخيصة.

سأل الكولونيل ميلتشيت: ألم تعتد إدخال سيارتك إلى موقف الفندق ليلاً؟

- لا أزعج نفسي بذلك عادة؛ فالطقس جميل كما تعلم. إن وضع السيارة في الموقف مسألة مزعجة تماماً.

قال كبير المفتشين وهو ينظر إلى الكولونيل ميلتشيت: سأنضم إليك في الطابق العلوي يا سيدي. سوف أعثر على الرقيب هيغينز الذي يمكنه تدوين أقوال السيد بارتليت.

- حسناً يا هاربر.

تمتم السيد بارتليت مكتئباً: رأيتُ أن عليّ أن أخبركم بذلك، فقد يكون مهمّاً.

-٣-

كان السيد بريسكوت قد جهّز راقصته الإضافية بالطعام والسكن، وكائناً ما كان حال الطعام فإن السكن كان من أسوأ ما هو موجود في الفندق.

كانت جوزفين تيرنر وروبي كين قد شغلتا غرفتين عند نهاية ممر ضيق معتم، وكانت الغرفتان صغيرتين تُطلان شمالاً على منحدر صخري يستند إليه الفندق من الخلف، وقد فُرشتا بقطع متفرقة مختلفة من بقايا أثاث الأجنحة الأخرى. تلك البقايا التي كانت يوماً ما -قبل نحو ثلاثين سنة- تمثّل الترف والفخامة في أفضل الأجنحة. أما الآن، وقد جرى تحديث الفندق وتجهيز الغرف بخزائن مبنية في أصول الجدران، فقد تمت إحالة هذه الخزائن الفكتورية الضخمة المصنوعة من خشب البلوط إلى تلك الغرف التي يقطنها موظّفو الفندق المقيمون، أو كانت تُعطى للنزلاء في أوج الموسم عندما تكون بقية غرف الفندق كلها مشغولة.

وكما لاحظ الكولونيل ميلتشيت على الفور، فإن موقع غرفة روبي كان مثالياً لمغادرة الفندق دون أن ينتبه لذلك أحد، وكان مؤسفاً تماماً فيما يتعلق بإلقاء ضوء على ظروف تلك المغادرة.

ففي نهاية الممر كان ثمة دَرَج صغير يُفضي نزولاً إلى ممر آخر في الطابق الأرضي لا يقل عتمة وغموضاً عن الأول، حيث يوجد باب زجاجي يُفضي إلى ممشى جانبي خارج الفندق، وهو ممشى لا يطرقه أحد ولا إطلالة له على شيء. ويمكن للمرء الذهاب من هناك إلى الشرفة الرئيسية في المقدمة، أو ينزل في ممشى مُلْتَوٍ ليصل إلى زقاق يتصل أخيراً بالطريق الصخري بعد مسافة غير طويلة. وبما أن رصف الزقاق كان سيئاً فإنه لم يكن يُستخدَم إلاّ نادراً.

وقد كان المفتش سلاك منشغلاً في حث خادمات الغرف على الإسراع وتفتيش غرفة روبي بحثاً عن أدلة، وكان محظوظاً بحيث وجد الغرفة تماماً كما تُرِكت ليلة أمس.

لم تكن روبي كين معتادة على الاستيقاظ باكراً. وقد اكتشف سلاك بأن جدول حياتها المعتاد كان يقضي بأن تنام حتى الساعة العاشرة أو العاشرة والنصف، ثم تقرع الجرس طلباً للإفطار. وبما أن كونوي جفرسن كان قد بدأ يُظهر مخاوفه لمدير الفندق في وقت مبكر جداً، فقد تولى رجال الشرطة زمام الأمور قبل أن تلمس خادمات الغرف شيئاً في الغرفة. أما الغرف الأخرى هناك فلم تكن تُفتَح وتُنظَّف في مثل هذا الوقت من السنة إلاّ مرة واحدة في الأسبوع.

وقد علّق سلاك على ذلك بتجهم قائلاً: وهذا كله لمصلحتنا؛ فهو يعني أنه إن كان هنا ما يمكن العثور عليه فسنعثر عليه.

كان شرطة غلينشاير قد فتشوا الغرفة بحثاً عن بصمات

أصابع، ولكن لم تكن فيها أية بصمات لا تفسير لها. عُثر على بصمات روبي نفسها، وبصمات جوزي، وبصمات اثنتين من خادمات الغرف أحداهما تعمل في طاقم الصباح وأخرى في طاقم المساء. كما كانت هناك أيضاً بصمتان لريموند ستار، ولكنهما كانت مُبرَّرتين بقصته التي رواها عن صعوده مع جوزي للبحث عن روبي عندما لم تظهر لتأدية رقصتها الاستعراضية عند منتصف الليل.

كانت في الغرفة كومة من الرسائل والأوراق المختلفة محشورة في خانات المكتب الضخم الموجود في الزاوية. وكان سلاك قد رتّب تلك الأوراق بحرص، ولكنه لم يجد فيها ما يمكن أن يوحي بشيء: فواتير، وإيصالات، وبرامج مسرح، وبقايا بطاقات سينما، وقصاصات من صحف، ونصائح تجميلية من المجلات... ومن بين الرسائل كانت بعض الرسائل الواردة من ليلي، التي يبدو أنها كانت صديقة لروبي من فرقة الرقص المسماة باليه دو دونس، وكانت تروي لها فيها العديد من الشؤون والقيل والقال، قائلة مثلاً: "لقد افتقدوك يا روبي كثيراً. والسيد فينديسون يسأل عنك باستمرار، وهو منزعج تماماً، وبارني يسأل عنك بين الحين والآخر، والأمور تجري كعادتها إلى حد بعيد، وما زال العجوز غراوزر بخيلاً كعهده معنا معشر الفتيات، وقد وبّخ آدا مؤخراً...".

وقد حرص سلاك على تدوين كل الأسماء المذكورة، فهو لا بد أن يقوم ببعض التحريات ومن الممكن أن تظهر بعض المعلومات المفيدة. وقد وافقه الكولونيل ميلتشيت على ذلك،

وكذلك كبير المفتشين هاربر الذي انضمّ إليهما. وفيما عدا ذلك لم يكن في الغرفة إلاّ القليل مما يمكن اعتباره معلومات.

وفوق كرسي في وسط الغرفة كان ثوب الرقص القرمزي الذي ارتدته روبي في وقت مبكر من ذلك المساء، مع زوج من الأحذية ذات الكعب العالي تم إلقاؤهما على الأرض بلا اهتمام. وكان باب الخزانة مفتوحاً فبدت منه تشكيلة من ملابس السهرة الفاقعة بعض الشيء وصفٌّ من الأحذية أسفل منها، وكانت في سلة الملابس بعض الملابس المتّسخة، وفي سلة المهملات مناديل متسخة لتنظيف الوجه، وقطع من القطن اتسخت بأحمر الشفاه وأحمر الأظافر، وبعض قصاصات الأظافر... والحقيقة أنه لم يكن هناك شيء خارج المألوف. بدت الحقائق واضحة لمن يريد فهمها؛ فقد صعدت روبي إلى غرفتها في الطابق العلوي كما يبدو، فغيّرت ملابسها ثم سارعت إلى الخروج ثانية... إلى أين؟

إن جوزفين تيرنر -التي يُفترض أن تعرف الكثير عن حياة روبي وأصدقائها- بدت غير قادرة على المساعدة. ولكن المفتش سلاك أشار إلى أن ذلك قد يكون طبيعياً إذ قال: إن كان ما أخبرتَني به صحيحاً يا سيدي (أعني قضية التبنّي تلك) فإن من شأن جوزي أن تكون متحمسة لدفع روبي لقطع علاقتها بأي أصدقاء قدامى ربما كانت تعرفهم ممن يمكن أن يُفسدوا الطبخة إذا صحّ التعبير. إن الأمر كما أراه هو أن هذا السيد المُقعد قد غدا مبهوراً بكون روبي كين طفلة عذبة بريئة ساذجة. والآن لنفترض أن لدى روبي صديقاً صعب المراس...

إن ذلك ما كان ليروق لهذا الصديق القوي، ولذلك يكون من شأن روبي أن تُبقي الأمر سراً. إن جوزي لا تعرف الكثير عن الفتاة على كل حال، ليس عن أصدقائها وتفصيلات حياتها، ولكنها ما كانت لتتحمل أمراً واحداً... وهو إفساد روبي للأمر كله باستمرارها مع شاب كريه شقي. ولذلك يكون من المنطقي أن تقوم روبي (التي أرى أنها كانت فتاة ماكرة صغيرة!) بإبقاء علاقتها مع أي صديق قديم سراً عميقاً. ما كانت لتخبر جوزي بشيء عن الموضوع وإلاّ لقالت جوزي: "لا، لن تستمري في ذلك يا فتاتي". ولكنك تعرف طبيعة البنات، ولا سيما الصغيرات منهن، فهن مستعدات دوماً لجعل أنفسهن أضحوكة والتعلق بفتى شقي. ولعل روبي أرادت رؤية ذلك الصديق، فجاء إلى هنا وطار عقله من الأمر كله فدقَّ عنق الفتاة.

قال الكولونيل ميلتشيت وهو يخفي اشمئزازه المعتاد لطريقة سلاك الكريهة في التعبير عن آرائه: ربما كنت على حق يا سلاك. ولو كان الأمر كذلك فينبغي لنا أن نكتشف هوية ذلك الصديق الشقي بسهولة كبيرة.

قال سلاك بثقته المعتادة بنفسه: اترك ذلك لي يا سيدي. سأصل إلى تلك الفتاة ليلي في باليه دو دونس وأعصرها تماماً حتى لا أترك معها شيئاً من المعلومات. سنصل إلى الحقيقة قريباً.

تساءل الكولونيل ميلتشيت في نفسه إن كان سيُقدَّر لهم أن يصلوا فعلاً إلى الحقيقة. لقد كانت حيوية سلاك ونشاطه تُشعره دوماً بالتعب!

قال سلاك: يوجد شخص آخر ربما أمكنك أن تحصل منه على شيء يا سيدي، وهو مدرّب التنس الذي يحترف الرقص في الفندق. لا بد أنه يعرف عنها الكثير، ربما أكثر مما تعرفه جوزي. من المحتمل تماماً أن تكون الفتاة قد أرخت لسانها معه قليلاً.

- لقد سبق لي أن ناقشتُ هذه النقطة مع كبير المفتشين هاربر.

- حسناً يا سيدي. لقد عصرتُ خادمات الغرف تماماً، وهنّ لا يعرفن شيئاً. إنهن ينظرن بازدراء إلى هاتين الفتاتين كما استطعتُ أن أفهم، وهنّ يتلكأن في خدمتهما بقدر استطاعتهن! كانت إحدى خادمات الغرف هنا آخر مرة في السابعة من مساء أمس حيث رتبت الفراش وأسدلت الستائر ونظفت الغرفة قليلاً. وهناك حمام مجاور إن كنتَ تحب رؤيته؟

كان الحمام واقعاً بين غرفة روبي والغرفة الأكبر قليلاً التي تشغلها جوزي، وكان منظره موحياً جداً. تعجّب الكولونيل ميلتشيت صامتاً من هذا القدر الكبير من مُساعِدات الجمال التي يمكن للمرأة استخدامها... صفوف من زجاجات المراهم، مرهم للوجه، ومرهم للتنظيف، ومرهم للتلميع، ومرهم لتغذية البشرة! وعُلَب من ألوان مختلفة من المساحيق، وكومة غير مرتَّبة من كل شكل من أشكال أحمر الشفاه، ومرطبات الشعر، ومُستحضرات تفتيح البشرة، وأسود للرموش، وماسكرا، وأزرق لما تحت العينين، وما لا يقل عن اثني عشر لوناً مختلفاً من أصباغ الأظافر، ومناديل للوجه، وقطع من القطن، وكُرات

ناعمة لوضع المساحيق على الوجه، وزجاجات من المحاليل، ومُليّنات للبشرة، وغير ذلك!

تمتم الكولونيل ميلتشيت قائلاً: أتريد القول إن النساء يستخدمن كل هذه الأمور؟

قام المفتش سلاك -الذي يعرف دوماً كل شيء- بتنويره قائلاً: في الحياة الخاصة، إذا صحّ التعبير يا سيدي، تلتزم المرأة بلون واحد أو لونين محددين، أحدهما للسهرة والآخر للنهار. إنهن يعرفن ما يناسبهن ويلتزمن به. ولكن هؤلاء الفتيات المحترفات مضطرات لإحداث شيء من التغيير إذا صح التعبير. إنهن يقدّمن رقصات استعراضية، وهي تختلف من ليلة إلى أخرى، فمرة رقصة التانغو الإسبانية ومرة أخرى رقصة فكتورية تقليدية، ثم الرقص العادي السائد في الحفلات، وبالطبع فإن المَكياج يختلف كثيراً بين رقصة وأخرى.

- يا إلهي! لا عجب أن أولئك الناس الذين يصنعون هذه المراهم والمستحضرات يجنون ثروات طائلة.

- إنه المال السهل، هذه هي الحقيقة؛ أسهل طريقة للحصول على المال. وما عليهم إلاّ القيام ببعض الدعاية لمنتجاتهم بالطبع.

ابتعد الكولونيل ميلتشيت بذهنه بعيداً عن المشكلة الأزلية لزينة النساء، وقال لهاربر الذي انضم إليهما لتوّه: ما يزال هناك هذا الرجل الراقص. أتجعله مهمتك يا هاربر؟

- نعم، أظن ذلك يا سيدي.

وفيما هم ينزلون إلى الطابق الأرضي سأل هاربر: ما رأيك بقصة السيد بارتليت يا سيدي؟

- قصته بشأن سيارته؟ أظن أن ذلك الشاب يحتاج إلى مراقبة يا هاربر. إنها قصة مريبة، فماذا لو كان قد أخرج روبي كين في سيارته ليلة أمس في نهاية الأمر؟

-٤-

كان أسلوب كبير المفتشين هاربر بطيئاً وحيادياً تماماً. إن هذه القضايا التي تُضطر فيها شرطة مقاطعتين مختلفتين إلى التعاون كانت دوماً قضايا صعبة. كان يحب الكولونيل ميلتشيت ويعتبره رئيس شرطة قديراً، ولكنه كان -مع ذلك- سعيداً بإجراء هذه المقابلة بمفرده. وكان شعار كبير المفتشين هاربر هو عدم القيام بالكثير فوراً وفي المرة الأولى، بل مجرد القيام بتحقيق روتيني محض لأول مرة، فهذا يجعل الأشخاص الذين يحقق المرء معهم في حالة ارتياح ويحضّرهم مِزاجياً حتى يصبحوا أقلّ احتراساً في المقابلة التالية.

كان ريموند ستار رجلاً وسيماً طويلاً ذا أسنان شديدة البياض ووجه برونزي غامق، وكان أسمر البشرة بهيّ الطلعة ذا سَمتٍ وَدود، وهو محبوب جداً في الفندق. قال: أخشى أن لا أكونَ قادراً على مساعدتك كثيراً يا سيدي. لقد كنتُ أعرف روبي حق المعرفة بالطبع، فقد جاءت إلى هنا منذ أكثر من شهر وكنا نتمرّن على رقصاتنا معاً، ولكن ليس لديّ حقاً الكثير مما

يُقال. لقد كانت فتاة محبوبة تماماً وسخيفة بعض الشيء.

- إن صداقاتها هي ما نحرص على معرفته، صداقاتها مع الرجال.

- هذا ما أظنه، ولكن الحقيقة أنني لا أعرف شيئاً. كان بعض الشبان يرافقونها في الفندق، ولكن لم يوجد شيء خاص، فقد كانت مُحتكَرة بشكل دائم تقريباً من قِبَل عائلة جفرسُن.

- نعم، عائلة جفرسن.

سكت هاربر متأملاً، ثم رمى الشاب بنظرة حادة وقال: ماذا كان رأيك بهذا الأمر يا سيد ستار؟

قال ريموند ستار ببرود: أي أمر؟

- هل عرفت أن السيد جفرسن كان ينوي تبنّي روبي كين قانونياً؟

بدا أن الخبر جديد على ستار، فقد زمّ شفتيه وصفر ثم قال: يا للشيطانة الصغيرة الذكية! حسناً، ألا يُقال إنه ما من مغفل كالمغفل العجوز؟

- أهكذا ترى الأمر؟

- وماذا يستطيع المرء أن يقول غير ذلك؟ إن كان العجوز يريد تبنّي شخص ما فلماذا لم يَخْتَرْ فتاة من طبقته؟

- ألم تذكر روبي هذا الأمر لك قط؟

- لم تذكره مطلقاً. لقد كنت أعرف أنها تشعر بنشوة من شيء ما، ولكني لم أعرف ما هو.

- وجوزي؟

- آه، أحسب أن جوزي كانت تعلم ما الذي يحدث دون ريب، ولعلها هي التي خططت للأمر كله. جوزي ليست بالمغفلة، فلديها عقل في رأسها.

أومأ هاربر برأسه. لقد كانت جوزي هي التي أرسلت في طلب روبي، وجوزي هي التي شجّعت تلك العلاقة الحميمة بلا ريب، فلا عجب أن تنزعج عندما لم تظهر روبي لأداء رقصتها في تلك الليلة وبدأ كونوي جفرسن يشعر بالذعر. لقد كانت ترى خُططها تتهاوى.

سأل هاربر: هل تظن أن بوسع روبي أن تكتم سراً؟

- يمكنها أن تكتم جيداً، وهي لم تكن تتحدث كثيراً عن شؤونها الخاصة.

- هل سبق لها أن قالت شيئاً، أي شيء، عن صديق لها، أو شخص من حياتها السابقة سيأتي لرؤيتها هنا أو كانت لها مصاعب معه؟ أنت تعرف ما الذي أعنيه.

- نعم، ولكن بقدر ما أعرف لم يكن ثمة شخص من هذا النوع، على الأقل مما قالته لي.

شكراً لك يا سيد ستار. هل لك الآن أن تقول لي بالضبط، وبكلماتك أنت، ما الذي حصل ليلة أمس؟

- بالتأكيد. قمتُ أنا وروبي بتأدية رقصة الساعة العاشرة والنصف معاً...

- هل لاحظت وقتها أية علامات على وجود شيء غير طبيعي لديها؟

فكر ريموند ثم قال: لا أظن. ولم ألاحظ ما حصل بعد ذلك، فقد كان لديّ شركائي الذين يجب أن أعتني بهم. ولكنني أذكر أنني لاحظتُ عدم وجودها في قاعة الرقص، وعند منتصف الليل لم تظهر، وقد انزعجتُ كثيراً لذلك وذهبت إلى جوزي لكنها لم تعرف مكان روبي، وأظنها صُدمت قليلاً، وقد لاحظتها وهي ترمي السيد جفرسن بنظرة سريعة قلقة. ثم أقنعتُ الفرقة الموسيقية بأن تعزف مقطوعة أخرى وذهبت إلى المكتب وطلبت منهم الاتصال بغرفة روبي، ولكنهم لم يحصلوا على جواب، ومن ثَمّ عدتُ إلى جوزي، وقد اقترحَتْ بأن روبي ربما كانت نائمة في غرفتها هي! كان اقتراحاً غبياً حقاً، ولكن المقصود به كان تهدئة السيد جفرسن بالطبع. ثم قامت جوزي وقالت إننا سنصعد إليها معاً.

- نعم يا سيد ستار. وماذا قالت جوزي عندما صارت وحيدة معك؟

- بدت غاضبة جداً كما أذكر، وقالت: "تباً لها من مغفلة صغيرة. لا يمكنها أن تفعل مثل هذا الأمر، فهو سوف يدمّر كل فُرَصِها. مع من هي، هل تعرف؟". قلتُ لها إنني لا أعرف شيئاً وإن آخر ما رأيتُه منها هو أنها كانت ترقص مع الشاب بارتليت. قالت جوزي: ليست معه الآن. ما الذي تعتزم فعله؟ أتراها مع

رجل الأفلام ذاك؟

قال هاربر بحدة: رجل الأفلام؟ من يكون هذا؟

- لا أعرف اسمه، فهو لم يُقِم في الفندق أصلاً. رجل ذو شعر أسود ومظهر مسرحي. أظن أن له علاقة ما بصناعة السينما... أو هذا ما قاله لروبي. جاء إلى هنا لتناول العشاء مرة أو مرتين ورقص مع روبي بعد ذلك، ولكن لا أظنها تعرفه معرفة جيدة، ولذلك دُهشتُ عندما ذكرَته جوزي. قلتُ لها إنني لا أظنه كان في الفندق الليلة، فقالت جوزي: "حسناً، لا بد أنها خرجت مع أحد. ما الذي سأقوله الآن لعائلة جفرسن بربّك؟" قلت:"وماذا يهم عائلة جفرسن من هذا الأمر؟"، فقالت جوزي إنه يهمهم بالفعل، وقالت أيضاً إنها لن تغفر لروبي أبداً إن هي ذهبت وأفسدت الأمور.

كنا قد وصلنا إلى غرفة روبي وقتها. ولم تكن هناك بالطبع، ولكن بدا أنها كانت هناك من قبل لأن الثوب الذي كانت ترتديه كان مُلقى على أحد الكراسي. بحثَت جوزي في الخزانة وقالت إنها تظن أن روبي قد ارتدت ثوبها الأبيض القديم، وكان الطبيعي أن ترتدي ثوباً مخملياً أسود لرقصتنا الإسبانية! وعندها كان الغضب قد استبدّ بي للطريقة التي خذلَتني فيها روبي، وقد بذلت جوزي كل ما في وسعها لتهدئتي وقالت إنها سترقص بنفسها بحيث لا يلاحقنا العجوز بريسكوت جميعاً. ثم ذهبَت فبدّلت ملابسها، وبعد ذلك رقصنا رقصة التانغو... وهي رقصة ذات أسلوب مبهرَج ومُبالَغ فيه ولكنها أخفّ وطأة على الكاحلين. وقد كانت جوزي جريئة جداً في الإقدام هذا

الأمر لأنه آلمها، وكان بوسعي أن أرى ذلك بوضوح. وبعد ذلك طلبت مني أن أساعدها في تهدئة عائلة جفرسن قائلة إن ذلك مهم، فقمت بما استطعت القيام به.

أومأ كبير المفتشين هاربر برأسه وقال: شكراً لك يا سيد ستار.

ثم فكر قائلاً لنفسه: لقد كان ذلك مهماً بالتأكيد، ففيه خمسون ألف جنيه!

ثم راقبَ ريموند ستار وهو يبتعد بخطى موزونة، حيث نزل دَرَج المصطبة الخارجية وأخذ في طريقه حقيبة لكرات التنس ومضرباً، وقد انضمّت إليه السيدة جفرسن وهي تحمل أيضاً مضرباً، ومضى الاثنان نحو ملعب التنس.

- اعذرني يا سيدي.

كان ذلك صوت الرقيب هيغينز الذي جاء يلهث قليلاً ووقف بجانب هاربر.

جفل كبير المفتشين وانقطعت سلسلة أفكاره، وقال الرقيب: لقد وصلتك للتو رسالة من المركز، فقد ذكر أحد العمال هذا الصباح أنه رأى وهجاً كأنه وهج نار، وقبل نصف ساعة عثروا على سيارة محروقة في مقلع للحجارة، وهو مقلع فين على بعد نحو ميلين من هنا، وفي داخل السيارة آثار لجثة متفحمة.

احمرّت القسمات الثقيلة في وجه هاربر وقال: ماذا حدث

لغلينشاير؟ أهو وباء عنف؟ لا تقل لي إن مذابح ستجري هنا! هل استطاعوا الحصول على رقم السيارة؟

- لا يا سيدي، ولكننا سنستطيع التعرف عليها طبعاً من رقم المحرك. يظنون أنها من طراز مينون ١٤.

* * *

الفصل الثامن

-١-

لدى مرور السير هنري كليذرنغ خلال بهو فندق ماجستيك لم يكد ينظر إلى من يجلسون فيه، فقد كان عقله مشغولاً. ولكن رغم ذلك، وكما تجري الحياة عادة، فقد انطبع شيء لديه في اللاشعور، وسوف ينتظر هذا الشيء مجيء وقته بصبر.

كان السير هنري كليذرنغ يتساءل وهو يصعد الدرج عن السبب وراء هذه العجلة المفاجئة في رسالة صديقه، فلم يكن كونوي جفرسن من ذلك النوع الذي يرسل نداءات عاجلة لأحد! وقرر السير هنري كليذرنغ بأن شيئاً خارجاً تماماً عن المألوف قد حدث دون ريب.

ولم يُضِع جفرسُن أي وقت في اللف والدوران حول الموضوع، بل قال على الفور: يسعدني مجيئك. اجلس يا رجل. أظنك لم تسمع شيئاً، أليس كذلك؟ ألم يظهر شيء في الصحف بعد؟

- ما القضية؟

- القضية قضية قتل، وأنا مَعْنيّ بها، وكذلك أصدقاؤك عائلة بانتري.

- آرثر ودولي بانتري؟

بدا السير هنري كليذرنغ غيرَ مصدّق.

- نعم، فقد عُثر على الجثة في بيتهما.

وبوضوح واقتضاب استعرض كونوي جفرسن الحقائق، وأصغى السير هنري دون مقاطعة. كان الرجلان كلاهما معتادَين على التركيز على جوهر القضايا، فالسير هنري اشتُهر -خلال عمله كمفوض لشرطة العاصمة- بفهمه السريع لأساس كل قضية تُطرَح عليه. وعندما أكمل صاحبه سرده علّق قائلاً: إنها قضية غريبة جداً. وما دخل عائلة بانتري بالأمر برأيك؟

- هذا هو ما يقلقني، فالحقيقة يا هنري أن الأمر يبدو لي وكأن معرفتي بهما قد تكون مرتبطة على نحو ما بهذه القضية، فهذه هي الصلة الوحيدة التي استطعتُ العثور عليها. لقد فهمت أن أياً من الاثنين لم يسبق له أن رأى الفتاة من قبل، هذا ما يقولانه ولا أرى سبباً لتكذيبهما، فمن المستبعد جداً أن يكونا على معرفة بها. ثم أليس من الممكن أن تكون قد استُدرجت بعيداً ثم وُضعت جثتها عن عمد في بيت أصدقاء لي؟

- أظن أن هذا مُستبعَد جداً.

ألحّ صاحبه قائلاً: ولكنه ممكن مع ذلك.

- نعم، ممكن ولكنه غير مُرجَّح. ما الذي تريد مني فعله؟

قال كونوي جفرسُن بمرارة: أنا مُقعَد، وأنا أواري هذه الحقيقة وأرفض مواجهتها، ولكني أدركت أبعادها تماماً الآن. لا يمكنني أن أتجول كما أحب فأطرح أسئلة وأنظر في الأمور. إنني مضطر إلى البقاء هنا خانعاً ممتناً لِفُتات المعلومات التي يتلطف بها عليّ رجالُ الشرطة. وبالمناسبة، هل تعرف ميلتشيت رئيس شرطة ردفوردشاير؟

- نعم، لقد قابلتُه.

تحرك شيء في عقل السير هنري... وجهٌ وجسم تمت ملاحظتُه لاشعورياً وهو يعبر البهو، عجوز ذات ظهر مستقيم كان وجهها مألوفاً، وقد ارتبطت ذكراها بآخر مرة شاهد فيها ميلتشيت. قال: أتعني أنك تريد مني أن أكون رجل تحرّ هاوياً؟ هذا ليس من اختصاصي.

- أنت لستَ هاوياً، هذه هي الحقيقة.

- كما أنني لم أعد محترفاً. أنا على قائمة المتقاعدين الآن.

قال جفرسن: وهذا يُسهّل الأمور.

- أتعني أنني لو كنتُ في شرطة سكوتلنديارد لما استطعتُ التدخل؟ هذا صحيح تماماً.

- إن خبرتك ووضعك الحالي يؤهّلانك للاهتمام بالقضية، وأي تعاون تُبديه سيكون موقع ترحيب.

قال كليذرنغ ببطء: أتفق معك على أن العُرف يسمح

بذلك. ولكن ما الذي تريده حقاً يا كونوي؟ أن تعثر على من قتل هذه الفتاة؟

- نعم، ولا شيء غير ذلك.

- أليست لديك أنت فكرة عنه؟

- أبداً.

قال السير هنري ببطء: لعلك لا تصدّقني، ولكن خبيرة في حل الألغاز تجلس تحتنا في بهو الفندق في هذه اللحظة، وهي أفضل مني في هذا الأمر، ويُرجَّح غالباً أن تكون لديها بعض المعلومات السرّية عن التفصيلات المحلية.

- ما الذي تتحدث عنه؟

- تحت في بهو الفندق، عند العمود الثالث إلى اليسار، تجلس سيدة عجوز عانس ذات وجه عذب هادئ، وهي ذات عقل قد سبَرَ أغوار الشرور البشرية واعتبَرَها جميعاً مسألة طبيعية لا تثير الدهشة. اسمها الآنسة ماربل، وهي من قرية سينت ميري ميد التي تبعد عن غوسينغتُن نحو ميل فقط. إنها صديقة لأسرة بانتري، وعندما يكون الأمر أمر الجرائم فهي حقاً الخبيرة يا كونوي.

حدق جفرسن إليه وقد تقطب حاجباه الكثيفان، ثم قال مُثقلاً: لعلك تمزح؟

- لا، لا أمزح. لقد تكلمتَ عن ميلتشيت لتوّك، وفي آخر مرة رأيتُ فيها ميلتشيت كانت هناك مأساة في القرية. فتاة

يُفترَض أنها أغرقت نفسها، وقد كان الشرطة مُحقّين إذ ارتابوا في أن القضية لم تكن انتحاراً بل جريمة قتل. وقد ظنوا أنهم يعرفون من الذي ارتكب الجريمة، ثم جاءت إليّ الآنسة العجوز ماربل متردّدة تقول إنها تخشى أن يشنقوا شخصاً بريئاً. لم يكن لديها أي دليل ولكنها عرفت من ارتكب الجريمة. وقد سلّمتني ورقة صغيرة كتبت فيها أحد الأسماء، وكانت مُحقة -والله- يا جفرسُن!

نزل حاجبا كونوي جفرسُن أكثر من أي وقت مضى، ثم دمدم مُشكّكاً غير مقتنع: أحسب ذلك غريزة الأنثى.

- لا، إنها لا تسميها كذلك، بل تدَّعي المعرفة العميقة بالنفس البشرية كما تسمّيها.

- وماذا يعني هذا؟

- حسناً يا جفرسن، إننا نستخدم الطريقة نفسها في عمل الشرطة. تحدث لدينا عملية سطو ونعرف عادة معرفة شبه يقينية من الذي ارتكبها من بين اللصوص أرباب السوابق لأننا نعرف أن اللص الفلاني يعمل بأسلوب محدد مُعيَّن، وهكذا. إن لدى الآنسة ماربل سلسلة مثيرة للاهتمام (ولو كانت سخيفة أحياناً) من أمثلة من حياة القرية تستند إليها وتقيس عليها.

قال جفرسُن مشككاً: وماذا عساها تعرف عن فتاة نشأت في وسط مسرحي وربما لم تَرَ قرية في كل حياتها؟

قال السير هنري كليذرنغ بحزم: أظن أنها قد تملك بعض الأفكار.

-٢-

احمرّ وجه الآنسة ماربل سروراً عندما جاءها السير هنري، وقالت: آه، سير هنري، إنه لمن حُسن الطالع حقاً أن ألتقي بك هنا.

كان السير هنري شهماً في تعامله مع النساء. قال: بل إنه لسرور بالغ لي أنا.

تمتمت الآنسة ماربل وقد احمرّ وجهها: هذا لطف بالغ منك.

- هل تُقيمين هنا؟

- الحقيقة... أننا نقيم هنا.

- نقيم هنا؟

- السيدة بانتري هنا أيضاً.

ثم نظرت إليه بحدّة وقالت: هل سمعتَ بالأمر؟ نعم، بوسعي أن أرى أنك سمعت به. إنه فظيع، أليس كذلك؟

- ما الذي تفعله دولي بانتري هنا؟ هل زوجها هنا أيضاً؟

- لا. من الطبيعي أن ردود أفعالهما كانت مختلفة تماماً إزاء هذا الأمر، فالمسكين الكولونيل بانتري يكتفي بإغلاق مكتبه عليه أو يذهب إلى إحدى المزارع عندما يحدث أي شيء كهذا، كالسلاحف التي تُدخِل رؤوسها في قواقعها وتأمُل أن لا ينتبه إليها أحد. أما دولي فهي مختلفة تماماً بالطبع.

قال السير هنري الذي يعرف صديقته القديمة تمام المعرفة: الحقيقة أن دولي تكاد تستمتع بهذا الأمر، أليس كذلك؟

- حسناً... نعم، المسكينة.

- وقد أحضرَتكِ إلى هنا لتُخرجي لها الأرانب من القبّعة، أليس كذلك؟

قالت الآنسة ماربل برباطة جأش: لقد رأت دولي أن تغيير المشهد سيكون أمراً جيداً، ولم تحب أن تأتي بمفردها.

ثم التقت عيناها بعينيه فرَمَشا قليلاً وقالت: ولكن طريقتك في وصف الأمر صحيحة. وهو أمر مُحرج تماماً بالنسبة لي، لأنني غير ذات فائدة أبداً بالطبع.

- أليست لديك أية أفكار؟ أو أية أمثلة موازية من حياة القرية؟

- إنني لا أعرف الكثير عن القضية بعد.

- أظن أن بوسعي معالجة ذلك، سوف أُطلعك على الحقائق يا آنسة ماربل.

ثم سرد عليها باختصار سير الأحداث، وأصغت الآنسة ماربل باهتمام شديد ثم قالت: يا للسيد جفرسُن المسكين، ويا لها من قصة حزينة! هذه الحوادث الفظيعة التي تقع... تركته الحادثة على قيد الحياة مُقعَداً. يبدو هذا أقسى مما لو أنه قُتل فعلاً.

- نعم، بالفعل. ولذلك فإن كل أصدقائه معجبون به

للطريقة الحازمة التي أخذ بها نفسه، قاهراً الألم والأسى والإعاقة الجسدية.

- نعم، هذا رائع.

الأمر الوحيد الذي لا أستطيع فهمه هو هذا الدفق المفاجئ من المحبة تجاه هذه الفتاة. ربما كانت لديها طبعاً بعض الخصال المتميزة.

قالت الآنسة ماربل بهدوء: أو لعلها لا تملك مثل هذه الخصال.

- ألا تظنين أنها تملكها؟

- لا أحسب أن لخصالها علاقة بالموضوع.

- ولكن اعلمي أنه ليس عجوزاً سيئاً.

احمرّ وجه الآنسة ماربل وقالت: آه، لا، لا! لم أكن أُلمّح إلى شيء من ذلك أبداً. ما كنتُ أحاول قوله (وأعرف أنني عبّرتُ عنه بشكل سيّئ جداً) هو أنه كان يبحث فقط عن فتاة لطيفة ذكية تأخذ مكان ابنته الميتة، وعندها رأت هذه الفتاة فرصتها لعبت لعبتها إلى النهاية! أعرف أن ذلك قد يبدو كلاماً فجّاً يفتقر إلى الذوق، ولكني رأيتُ قضايا كثيرة من هذا النوع. منها الخادمة الشابة في بيت السيد هاربوتل مثلاً، فتاة عادية جداً ولكنها هادئة ذات تهذيب، وقد ذهبت أخته إلى بلدة أخرى لتقوم على تمريض قريب لهما يحتضر، وعندما عادت وجدت الفتاة شامخة بأنفها تماماً تجلس في غرفة الجلوس وتتحدث

دون أن ترتدي غطاء الرأس والصدرية مما يلبسه الخدم عادة. وقد تحدثت معها الآنسة هاربوتل بحدة بالغة فتواقحت الفتاة، ثم تدخل السيد العجوز هاربوتل ليترك أخته مصعوقة، إذ قال إنه يرى أنها قد رتبت له شؤون البيت لفترة طويلة كافية وأنه يريد القيام بترتيبات أخرى. وقد أحدث ذلك فضيحة مدوّية في القرية، واضطُرت الآنسة هاربوتل إلى الذهاب والعيش بالأجرة في إيستبورن عيشة غير مريحة إطلاقاً. وقد تكلم الناس بالطبع، ولكني لا أحسب أن الأمر كان ينطوي على أية علاقة حميمة... كانت خلاصة الأمر -ببساطة- أن العجوز وجد أنه يلاقي من الراحة والسعادة مع فتاة شابة مرحة لا تفتأ تخبره عن مدى ذكائه وروعته أكثر بكثير مما يلاقيه مع أخته التي لا تفتأ تشير إلى أخطائه، حتى وإن كانت بالفعل مديرة تجيد الاقتصاد والتدبير.

ساد الصمت للحظات، ثم مضت الآنسة ماربل قائلة: وهناك السيد بادجر الذي يشغل دكان الصيدلي، فقد أثار لغطاً لا ينتهي بشأن الشابة التي تعمل في قسم مواد التجميل في الصيدلية. وقد قال لزوجته إن عليهما أن يعتبراها بمثابة ابنة لهما ويدعواها إلى العيش معهما في البيت، ولكن السيدة بادجر لم تنظر إلى الأمر على هذا النحو قط.

قال السير هنري: لو أنها كانت فقط فتاة من طبقة مماثلة لطبقته أو ابنة صديق له...

قاطعته الآنسة ماربل قائلة: لم يكن من شأن ذلك أن يكون مُقنعاً بنفس الدرجة من وجهة نظره، فالأمر أشبه بقصة الملك

والفتاة الفقيرة التي يقرؤها الأطفال. إذا ما كنتَ حقاً عجوزاً وحيداً مُتعَباً، وإذا ما كانت عائلتك تُهملك إلى حد ما... فعندها سيكون من المثير أكثر أن تُصادق فتاة يمكن أن تسحرها بعظمتك (وهو تعبير مُبالَغ فيه قليلاً، ولكن أرجو أن تفهم ما أعنيه). إن ذلك يجعلك تشعر بأنك رجل مهم، بل ملك شديد العطف والشهامة! ومن المرجَّح أن الفتاة التي تتلقى مثل هذه الرعاية سوف تنبهر، وهذا بالطبع سيمنحك شعوراً سعيداً.

توقفت قليلاً ثم قالت: لقد اشترى السيد بادجر للفتاة في محله بعض الهدايا الثمينة حقاً، عقد من الألماس وجهاز راديو وغراموفون باهظ الثمن. وقد سحب الكثير من مدّخراته لشراء ذلك. ولكن السيدة بادجر -التي كانت أدهى بكثير من الآنسة المسكينة هاربوتل (والزواج يساعد طبعاً في مثل هذه الأمور)- تجشمت عناء اكتشاف بعض الأمور، وعندما عرف السيد بادجر أن الفتاة كانت على علاقة بشاب سيّئ جداً يقضي وقته في سباقات الخيل، وأنها قد رهنت العقد وأعطته المال للمراهنة... عندها نفر من الفتاة تماماً وانتهت القضية بهدوء وأمان. وقد أهدى زوجته في عيد الميلاد التالي خاتماً من الألماس.

التقت عيناها المريحتان الذكيتان بعينَي السير هنري، وقد تساءل إن كانت قد قصدت التلميح فيما قالته. قال: هل تُلمّحين إلى أن موقف صاحبي نحو هذه الفتاة كان سيختلف لو كان في حياتها شاب ما؟

- لعله كان سيختلف، وربما رغب هو نفسه -بعد عام

أو عامين- في الترتيب لتزويجها... مع أن المرجَّح هو أن لا يُقدم على ذلك، فالرجال عادة أنانيون بعض الشيء. ولكني على يقين من أن روبي كين كانت ستحرص كل الحرص على الكتمان لو كان لها صديق شاب.

- ولعل الشاب يغضب لذلك؟

- هذا هو الأرجح. لقد لفت انتباهي أن قريبتها (الشابة التي كانت في غوسينغتُن صباح اليوم) بدت بالتأكيد غاضبة من الفتاة القتيلة، وما أخبرتَني به يُفسّر السبب، فلا شك أنها كانت تتطلع إلى الاستفادة من هذه القضية.

- أتحسبينها شخصية شريرة لا قلب لها؟

- ربما كان هذا الحكم أقسى مما تستحقه، فالمسكينة مضطرة إلى كسب عيشها، ولا يمكنك أن تتوقع منها أن تهيم في عالم المثاليات لمجرد أن رجلاً وامرأة غنيّين (كما وصفتَ لي السيد غاسكيل والسيدة جفرسُن) سوف يُحرَمان من مبلغ ضخم آخر ليس لهما فيه حق أخلاقي بالفعل. أحسب أن الآنسة تيرنر كانت شابة واقعية طَموحة ذات مزاج طيب وقدر كبير من إرادة التمتع بالحياة.

ثم أضافت بتأمل: إنها تشبه قليلاً جيسي غولدن، ابنة الخباز.

- وما شأن هذه؟

- تدربت لتصبح مربية أطفال، ثم تزوجت ابن العائلة التي

تعمل عندها، وكان عائداً من الهند في إجازة. وأحسب أنها أصبحت زوجة جيدة له.

نفض السر هنري عن نفسه هذه القضايا الجانبية المثيرة وقال: أتظنين أن هناك أي سبب يجعل صديقي كونوي جفرسن يُصاب فجأة بمثل هذه العقدة؟

- ربما كان هناك سبب.

- كيف؟

قالت الآنسة ماربل وهي تتردد قليلاً: لعلي أظن... وهذا مجرد اقتراح بالطبع... أن صهره وكنّته ربما كانا يخططان للزواج ثانية.

- ولكن من المؤكد أنه لا يستطيع الاعتراض على ذلك؟

- آه، لا، ليس الاعتراض. ولكن يجب أن تنظر إلى الأمر من منظوره هو؛ لقد تعرض إلى صدمة وخسارة فظيعة... وكذلك هما. وقد عاش المترمّلون الثلاثة معاً، وكانت الصلة التي تجمعهم هي الخسارة التي تعرضوا لها جميعاً. ولكن الزمن هو أكبر شافٍ للجراح كما كانت أمي العزيزة تقول. إن السيد غاسكيل والسيدة جفرسن شابان، ولعلهما بدآ -دون أن يدركا بذلك شخصياً- بالشعور بالتململ وبالسخط من الروابط التي تشدّهما إلى أحزان الماضي. وهكذا، وبمثل هذا الشعور، ربما بدأ السيد جفرسن يشعر بنقص مفاجئ في التعاطف، دون أن يعرف لذلك سبباً. الأمر يجري على هذا النحو عادة. وما أسهل ما يشعر الرجال بالإهمال والهجر؛ شعر السيد هاربوتل بذلك

نتيجة سفر أخته، وفي حالة عائلة بادجر كان السبب اهتمام السيدة بادجر بالنشاط الاجتماعي وخروجها المتكرر من البيت لحضور المناسبات المختلفة.

قال السير هنري باكتئاب: لا بد لي من القول إنني أكره الطريقة التي تقلّلين فيها من شأننا جميعاً إذ تحشريننا كلنا في «قاسم عام مُشترَك».

هزّت الآنسة ماربل رأسها بحزن وقالت: إن الطبيعة البشرية متماثلة إلى درجة كبيرة في كل مكان يا سير هنري.

قال بازدراء: السيد هاربوتل، والسيد بادجر، والمسكين كونوي! إنني أكره دسّ الاعتبارات الشخصية في مثل هذه الأمور، ولكن هل لديك في قريتك مثال يشبه خادمك المتواضع الجالس أمامك؟

- بالطبع، هناك بريغز.

- ومن هو بريغز؟

- لقد كان كبير البستانيين في قصر أولد هول، وكان أفضل بستاني عمل لديهم دون منازع. كان يعرف بالضبط متى يتباطأ البستانيون العاملون تحت إمرته، وكان ذلك غريباً جداً! وقد تدبر الأمر باستخدام ثلاثة بستانيين فقط، لكنه جعل الحديقة أحسن حالاً مما كانت عليه عندما كان بستانيّوها ستة. وهو متقاعد الآن.

- مثلي أنا.

- ولكنه ما زال يقوم ببعض الأعمال المتفرقة إن هو أحب الناس الذين يطلبونه.

- آه، وأيضاً مثلي. هذا ما أفعله أنا الآن... أعمال متفرقة لمساعدة صديق قديم.

- بل صديقين قديمين.

- صديقين؟

بدا السير هنري حائراً قليلاً، فقالت الآنسة ماربل: أحسب أنك قصدتَ السيد جفرسُن. ولكني لم أكن أفكر فيه. بل كنتُ أفكر بالكولونيل بانتري وزوجته.

- نعم، نعم؛ فهمت.

ثم سألها بحدّة: ألذلك أشرتِ إلى دولي بانتري بوصف «المسكينة» في بداية حديثنا؟

- نعم؛ إنها لم تبدأ بعدُ في إدراك الأمور. أنا أعرف ذلك لأن لديّ خبرة أكثر. يبدو لي -يا سير هنري- أن هناك احتمالاً كبيراً بأن تكون هذه الجريمة من النوع الذي لا يُعثَر له على حل، مثل جرائم القتل التي حدثت في برايتون. ولو كان الأمر كذلك فسوف يكون كارثة بالنسبة لعائلة بانتري. إن الكولونيل بانتري -شأنه في ذلك شأن جميع العسكريين المتقاعدين تقريباً- رجل حسّاس حقاً بشكل غير طبيعي، وردود أفعاله سريعة جداً إزاء الرأي العام. لن ينتبه إلى الأمر لبعض الوقت، وبعد ذلك سيبدأ في إدراك حجم محنته. إشارة مُهينة من هنا،

وانقلاب صديق هناك، ودعوات تُرفَض، وأعذار تُختلَق... وعندها سيدرك الوضع شيئاً فشيئاً وسوف ينكفئ إلى قوقعته ويغدو شديد الحزن والبؤس.

- دعيني أتأكد من أنني فهمتك بشكل صحيح يا آنسة ماربل. أتعنين أن الناس سيظنون أن له علاقة بالقضية لمجرد أن الجثة قد عُثر عليها في بيته؟

- طبعاً سيظنون ذلك! ما من شك في أنهم يقولون ذلك الآن أصلاً، وسوف يقولون ذلك أكثر فأكثر، وسوف يُعرض الناس عن عائلة بانتري ويتجنبونهم. لذلك يجب أن تُكتشف الحقيقة، ولذلك قبلتُ المجيء إلى هنا مع السيدة بانتري. إن الاتهام الواضح الصريح أمر مختلف ويسهل على الجندي تماماً أن يواجهه، إذ يكون ساخطاً ولديه فرصة للقتال، أما مسألة الهمس هذه فسوف تدمره... بل سوف تدمرهما معاً. ولذلك ترى -يا سير هنري- أن علينا أن نكشف الحقيقة.

- هل لديك أية أفكار تفسر وجود الجثة في هذا البيت؟ لا بد من وجود تفسير لذلك أو صلة ما.

- آه، طبعاً.

- لقد شوهدت الفتاة آخر مرة هنا في نحو الحادية عشرة إلاّ ثلثاً، وعند منتصف الليل كانت ميتة كما يؤكد الدليل الطبي. إن منزل غوسينغتُن يبعد عن هنا نحو ثمانية عشر ميلاً، منها ستة عشر ميلاً يكون فيها الطريق جيداً حتى يفارق المرء الطريق الرئيسي، ويمكن لسيارة قوية أن تقطع المسافة في أقل من

نصف ساعة، بل يمكن لأية سيارة عملياً أن تقطعها في خمس وثلاثين دقيقة على الأكثر. ولكني لا أعرف لماذا يعمد أحدٌ إما إلى قتلها هنا وأخذ جثتها إلى غوسينغتُن أو إلى أخذها إلى غوسينغتُن وخنقها هناك.

- إنك لا تعرف ذلك بالطبع، لأن هذا لم يحدث.

- أتعنين أنها قُتلت على يد رجل أخذها في السيارة ثم قرر لاحقاً أن يدفع بها إلى أقرب منزل يراه في المنطقة؟

- لا أعني شيئاً من ذلك، بل أظن أن خُطة مُتأنّية دقيقة تماماً قد وُضعت، وما حدث هو أن الخطة أخفقت.

حدق السير هنري إليها وقال: ولماذا أخفقت الخطة؟

قالت الآنسة ماربل وكأنها تعتذر: إن مثل هذه الأمور الغريبة تحدث، أليس كذلك؟ ولو قلتُ إن هذه الخطة تحديداً قد فشلت لأن البشر هم أكثر حساسية وضعفاً مما يحسب الجميع فسوف يبدو هذا معقولاً، أليس كذلك؟ ولكن هذا ما أراه و...

توقفت وقالت: ها هي السيدة بانتري.

* * *

الفصل التاسع

كانت السيدة بانتري تمشي مع أديليد جفرسُن، ثم جاءت إلى السير هنري وهتفت: أنت؟

قال بحرارة: نعم، بنفسي. لا يمكنني أن أصف لك مدى ألمي لهذا الأمر كله يا سيدة «ب».

قالت السيدة بانتري بشكل آلي: لا تدعُني باسم «ب»! إن آرثر ليس هنا، فقد أخذ الأمر كله بشكل جِدّي تماماً. لقد جئتُ أنا والآنسة ماربل إلى هنا للتحري. هل تعرف السيدة جفرسن؟

- نعم، بالطبع.

صافحها، وقالت أديليد جفرسُن: هل رأيتَ حماي؟

- نعم، رأيتُه.

- يسعدني ذلك. إننا قلقون عليه، فقد كانت تلك صدمة كبيرة له.

قالت السيدة بانتري: دعونا نخرج إلى الشرفة الأمامية

فنشرب شيئاً ونتحدث عن الأمر كله.

خرج الأربعة جميعاً وانضموا إلى مارك غاسكيل الذي كان قد جلس وحيداً عند نهاية الشرفة. وبعد بعض الملاحظات المتفرقة ووصول الشاي دخلت السيدة بانتري مباشرة في الموضوع بحماستها المعتادة للفعل المباشر. قالت: يمكننا الحديث في الموضوع، أليس كذلك؟ أعني أننا جميعاً أصدقاء قدامى... باستثناء الآنسة ماربل، وهي تعرف كل شيء عن الجرائم وتريد تقديم المساعدة.

نظر مارك غاسكيل إلى الآنسة ماربل بشيء من الحيرة، ثم قال بارتياب: هل... هل تكتبين قصصاً بوليسية؟

كان يعرف أن مَن يكتبون القصص البوليسية هم أناس لا يتوقع المرء منهم ذلك أبداً. وقد بدت الآنسة ماربل -بثياب العنوسة القديمة التي ترتديها- أبعد ما تكون عن ذلك. قالت: آه، لا، لست ذكية بما يكفي لهذا الأمر.

قالت السيدة بانتري بنفاد صبر: إنها مدهشة. لا يمكنني شرح ذلك الآن، ولكنها مدهشة. والآن يا أديليد، أريد معرفة كل شيء عن هذه القضية. كيف كان حال تلك الفتاة؟

- حسناً...

توقفت السيدة جفرسن قليلاً ونظرت إلى مارك، ثم ضحكت نصف ضحكة وقالت: إنك مُباشرة جداً في حديثك.

- هل أحببتِها؟

- لا، لم أُحبّها بالطبع.

قالت السيدة بانتري وهي تنقل سؤالها إلى مارك غاسكيل: كيف كان حالها حقاً؟

أجاب مارك بتأنٍّ: مُتكسِّبة عادية تسعى وراء المال. إنها تحفظ درسها جيداً، وقد أوقعت جِف في صنارتها تماماً.

كان مارك غاسكيل والسيدة جفرسُن يدعوان حماهما باسم «جِف». وفكر السير هنري قائلاً لنفسه وهو ينظر إلى مارك باستهجان: رجل طائش مهذار؛ ما كان ينبغي له أن يكون بهذه الصراحة.

وقد كان دوماً يبدي استهجاناً إزاء مارك غاسكيل. إن للرجل سحراً ولكنه غير موثوق به ولا يُعتمَد عليه. إنه يتكلم كثيراً ويُظهر التبجح أحياناً... ورأى السير هنري أنه يجب أن لا يكون موضع ثقة كبيرة، بل لقد كان السير هنري يتساءل أحياناً إن كان كونوي يرى الرأي نفسه أيضاً.

سألت السيدة بانتري: ولكن ألم تستطيعوا فعل شيء بشأن هذا الأمر؟

قال مارك ببرود: كان بوسعنا أن نفعل... لو أدركنا ذلك وقتها.

ثم ألقى نظرة سريعة على أديليد التي احمرّ وجهها قليلاً، وكان في تلك النظرة شيء من التأنيب.

قالت أديليد: يرى مارك أنه كان يتوجب عليّ أن أرى

التطورات المحتمَلة.

قال مارك: لقد أكثرتِ من ترك العجوز بمفرده يا أديليد... دروس التنس وما إلى ذلك.

قالت أديليد بشيء من الاعتذار: لقد كنت مضطرة إلى إجراء بعض التمارين. وعلى أية حال فإنني لم أحلم...

قاطعها مارك قائلاً: نعم، لا أحد منا حلم بذلك، فقد كان جِف دوماً رجلاً عاقلاً مُتّزن التفكير.

أدلت الآنسة ماربل بدلوها في الحديث فقالت وهي تُشير إلى الجنس الآخر وكأنها تشير إلى فصيلة من الحيوانات البرية: إن الرجال ليسوا غالباً على ذلك القدر من الاتزان الذي يبدو عليهم.

قال مارك: أظنك على حق. ولكننا لم ندرك ذلك مع الأسف يا آنسة ماربل، بل تعجبنا وتساءلنا عمّا يراه العجوز في تلك المحتالة المتبرّجة التي لا طعم ولا لون لها. ظننّا أنْ لا ضرر فيها. هَه، لا ضرر فيها؟ أود لو أنني دَقَقتُ عنقها!

قالت أديليد: مارك، يجب حقاً أن تنتبه لما تقوله.

ابتسم لها بودّ وقال: أحسب أن عليّ أن أنتبه فعلاً، وإلاّ لظن الناس أنني قد دَقَقتُ عنقها بالفعل. وعلى أية حال فأنا أحسب أنني في دائرة الشبهة أصلاً، فلئن كان لأناس مصلحةٌ في رؤية تلك الفتاة ميتة لكنتُ أنا وأديليد أول هؤلاء الناس.

صاحت السيدة جفرسن نصف ضاحكة ونصف غاضبة:

مارك، لا ينبغي أن تقول ذلك!

أجابها مارك غاسكيل مُهدّئاً: حسناً، حسناً، ولكنني أحب فعلاً قول ما في صدري. لقد كان العجوز المحترم يعتزم تحويل خمسين ألف جنيه إلى تلك المحتالة الغبية البلهاء.

- مارك، لا ينبغي لك أن تقول ذلك... إنها ميتة!

- نعم، إنها ميتة، تلك الشيطانة المسكينة. ولماذا لا ينبغي لها -على أية حال- أن تستخدم الأسلحة التي منحتها لها أنوثتها؟ من أنا حتى أحكم على ذلك؟ لقد قمتُ شخصياً بالعديد من التصرفات القذرة في حياتي. لا، لنقل إن روبي كان لها الحق في التخطيط والتآمر، فيما كنا نحن سُذّجاً إذ لم نلاحظ لعبتها من قبل.

قال السير هنري: ماذا قلتما عندما أخبركما كونوي بأنه يعتزم تبني الفتاة؟

مدَّ مارك يديه على اتساعهما وقال: وماذا يمكننا أن نقول؟ لقد حافظت أديليد، وهي دوماً الليدي المهذبة الصغيرة، على سيطرتها على نفسها بشكل يثير الإعجاب. تجلدت وقابلت الأمر بابتسامة، وقد سعيتُ لأحذو حذوها.

قالت السيدة بانتري: كان من شأني أنا أن أثير ضجة كبرى!

قال مارك: حسناً، إذا ما أردنا الحديث بصراحة فلا حقّ لنا في إثارة ضجة؛ فالمال مال جف، ولم نكن نحن من دمه

ولحمه. لقد كان دوماً شديد الطيبة معنا. لم يكن أمامنا ما نفعله سوى الصبر والعض على النواجذ.

ثم أضاف متأملاً: ولكننا لم نُحبّ روبي تلك.

قالت أديليد: لو أنها كانت فقط من نوع آخر من الفتيات. إن لدى جِف حفيدَين اثنين كما تعلمون، ولو تعلق بواحد منهما لكان من شأن المرء أن يفهم ذلك.

ثم أضافت بمسحة سخط خفيفة: وقد بدا جِف دوماً مغرماً جداً ببيتر.

قالت السيدة بانتري: بالطبع. كنتُ أعرف أن بيتر هو ابنك من زوجك الأول، ولكني نسيت ذلك تماماً، إذ يُنظَر إليه دوماً على أنه حفيد السيد جفرسن.

قالت أديليد: وأنا نسيت ذلك أيضاً!

كان في صوتها نبرة جعلت الآنسة ماربل تستدير في كرسيها لتنظر إليها.

قال مارك: لقد كانت الغلطة غلطة جوزي، فهي التي أحضرتها إلى هنا.

قالت أديليد: آه، ولكني لا أظنك تعتبر ذلك متعمَّداً بالتأكيد، أليس كذلك؟ لقد كنتَ دوماً تجدها لطيفة.

- نعم، لقد رأيت فيها فتاة طيبة مُسلّية.

- لقد كان إحضارها الفتاة إلى هنا محض صدفة.

- إن لجوزي عقلاً ذكياً في رأسها يا فتاتي.

- نعم، ولكن لا يمكن أن تكون قد تنبأت...

قاطعها مارك قائلاً: نعم، لا يمكن أن تكون تنبأت، أعترف بذلك. إنني لا أتهمها حقاً بالتخطيط للأمر كله، ولكني لا أشك في أنها عرفت اتجاه الرياح قبل فترة طويلة من معرفتنا نحن وبقيت متكتمة على الموضوع تماماً.

قالت أديليد وهي تتنهد: أحسب أن المرء لا يستطيع لومها على ذلك.

- آه، إننا لا نستطيع لوم أحد على أي شيء!

سألت السيدة بانتري: أكانت روبي جميلة؟

حدق مارك إليها وقال: ظننتُ أنك رأيتِ...

سارعت السيدة بانتري إلى القول: آه، نعم، لقد رأيتها... رأيت جثتها. ولكنها كانت مخنوقة كما تعلم، ولا يستطيع المرء الجزم...

ثم ارتعدت فقال مارك متأمّلاً: لا أظنها كانت جميلة أبداً في الواقع، وما كانت لتبدو كذلك بالتأكيد لولا المكياج. وجه نحيل صغير كوجه ابن عرس، رغم أنه ليس نحيلاً جداً، وأسنان تكاد تدخل في حنجرتها! وأنف ليس فيه ما يميزه...

قالت السيدة بانتري: يبدو ذلك منفّراً.

- آه، لا، لم تكن مُنفّرة، فقد استطاعت بالمَكياج -كما قلت- أن تُعطي انطباعاً لا بأس به بالجمال، ألا تظنين ذلك يا أديليد؟

- نعم، إلى حد ما، وكانت لها عينان زرقاوان جميلتان.

- ونظرة بريئة طفولية، والرموش التي أُثقِلت بالكُحل تُظهر زرقة العينين واضحة، وكان شعرها مصبوغاً بالطبع. وعندما فكرت في الأمر وجدت أن من الصحيح أنها -بألوانها الاصطناعية على الأقل- تحمل شبهاً ظاهرياً بروزاموند... زوجتي. وأحسب أن هذا هو ما جذب انتباه العجوز إليها.

ثم تنهد وقال: إنه لأمر مؤسف، والأمر الفظيع هو أننا -أنا وأديليد- لا نملك إلاّ أن نشعر بالفرح حقاً لموتها!

ثم هدّأ إشارة احتجاج من أديليد قائلاً: لا فائدة يا أديليد؛ أعرف ما تشعرين به، وأنا أشعر بالشعور نفسه. لستُ بصدد التظاهر والادعاء! ولكنني قلق حقاً إلى أبعد الحدود على جِف وموقفه من الأمر كله. لقد أثّر الأمر فيه تأثيراً شديداً. إنني...

ثم توقف، وحدّق إلى الباب الذي يُفضي من البهو إلى الشرفة حيث يجلسون وقال: انظروا مَنْ هنا. يا لكِ من امرأة عديمة الوازع يا أديليد!

التفتت السيدة جفرسُن، وهتفت وهي تنهض وقد احمرّ وجهها قليلاً، ثم مشت بسرعة على طول الشرفة إلى رجل طويل القامة في منتصف عمره ذي وجه أسمر نحيل، وكان ينظر حوله بتردّد.

قالت السيدة بانتري: أليس هذا هوغو ماكلين؟

قال مارك غاسكيل: إنه هوغو ماكلين بالفعل.

تمتمت السيدة بانتري: يبدو أنه شديد الإخلاص.

قال مارك: إن له إخلاصاً كإخلاص الكلب، وليس على أديليد إلاّ أن تُصفِّر حتى يأتيها هوغو يسعى من أية زاوية من زوايا الأرض. إنها تأمل دائماً أن تتزوج به في يوم من الأيام... وأحسب أنها ستفعل.

نظرت الآنسة ماربل متهلّلة الوجه إليهما وقالت: فهمت... قصة حب؟

أكد لها مارك ذلك قائلاً: قصة حب من النوع الأصيل القديم، وهي مستمرة منذ سنوات طويلة. إن أديليد من هذا النوع من النساء.

ثم أضاف متأملاً: أحسب أن أديليد اتصلت به هاتفياً صباح اليوم، رغم أنها لم تخبرني بذلك.

جاء الخادم إدوارد بهدوء فانحنى على مارك قائلاً: عفواً يا سيدي، يود السيد جفرسُن منك أن تصعد إليه.

نهض مارك قائلاً: سآتي على الفور.

ثم أومأ لهم برأسه وقال وهو يغادر: أراكم لاحقاً.

انحنى السير هنري إلى الأمام باتجاه الآنسة ماربل وقال: حسناً، ما رأيك بالمستفيدين الرئيسيين من الجريمة؟

قالت الآنسة ماربل متأملة وهي تنظر إلى أديليد التي وقفت تتحدث مع صديقها القديم: أحسب أنها كانت أمّاً شديدة الإخلاص.

قالت السيدة بانتري: آه، إنها كذلك بالفعل؛ إنها متعلقة بابنها بيتر تعلقاً شديداً.

قالت الآنسة ماربل: إنها من ذلك النوع من النساء اللاتي يحبّهن الجميع، امرأة من شأنها أن تستمر في الزواج مرة تلو المرة. لا أعني بذلك أنها امرأة متقلّبة تحب تغيير الرجال... ذلك أمر مختلف تماماً.

قال السير هنري: أعرف ما تعنينه.

قالت السيدة بانتري: لعل ما تقصدانه هو أنها امرأة تجيد الإصغاء.

ضحك السير هنري وقال: ومارك غاسكيل؟

قال الآنسة ماربل: آه، إنه حاذق.

- هل من مثال له من حياة القرية من فضلك؟

- السيد كارغيل، البنّاء؛ فقد كان يحتال لإقناع الناس بأن يُجروا على بيوتهم تصليحات لم يكونوا يحلمون بها... ولا تَسَلْ كم كان يتقاضى منهم مقابلها! ولكنه كان بوسعه دوماً أن يُفسّر فواتيره بشكل مقنع مقبول. كان حاذقاً، وقد تزوج المال... كما تزوجه السيد غاسكيل إن كان ما فهمته صحيحاً.

- أنت لا تحبينه.

- بل أحبه، ومن شأن معظم النساء أن يُحببنه، ولكنه لا يستطيع خداعي. إني أراه شخصاً جذاباً، ولكن لعله كان غير حكيم إلى حد ما بالتكلم كثيراً كما فعل.

- غير حكيم هو التعبير الصحيح. سيضع مارك نفسه في ورطة إن لم يحذر.

صعد الدرجات المفضية إلى الشرفة شابٌ طويل أسمر، وتوقف للحظات وهو يراقب أديليد جفرسن وهوغو ماكلين، فقال السير هنري بلطف: وذلك هو السيد «س» الذي يمكن أن نصفه كطرف ذي مصلحة. إنه مُدرّب التنس ومُحترف الرقص... ريموند ستار، شريك روبي كين في الرقص.

نظرت إليه الآنسة ماربل باهتمام وقالت: إنه جميل الطلعة تماماً، أليس كذلك؟

- أظن ذلك.

قالت السيدة بانتري: لا تكن سخيفاً يا سير هنري، فليس في الأمر ظنون. إنه وسيم بالفعل.

تمتمت الآنسة ماربل: أظن أن السيدة جفرسن قالت إنها تتلقى دروساً في التنس؟

- هل تعنين بذلك شيئاً يا جين، أم لا تعنين شيئاً؟

لم يُتَح للآنسة ماربل الوقت للإجابة على هذا السؤال المباشر، فقد جاء الصغير بيتر كارمودي وانضم إليهم، ثم خاطب السير هنري قائلاً: هل أنت رجلُ تحرٍّ أيضاً؟ لقد رأيتك تتحدث مع كبير المفتشين... ذلك السمين. إنه كبير مفتشين، أليس كذلك؟

- صحيح تماماً يا بني.

- وقد أخبرني أحدهم أنك كنتَ شرطياً بالغ الأهمية في لندن... رئيس سكوتلنديارد أو ما شابه ذلك؟

- إن رئيس سكوتلنديارد يكون عادة فاشلاً تماماً في الروايات، أليس كذلك؟

قال الفتى الصغير: آه، ليس في أيامنا هذه. لقد أصبح التندر على الشرطة موضة قديمة جداً. هل عرفتَ من ارتكب الجريمة؟

- ليس بعد.

سألته السيدة بانتري: هل تستمتع بهذا الأمر يا بيتر؟

- نعم، إنني أستمتع به بعض الشيء، فهو يُشكّل تغييراً. لقد كنتُ أبحث لأرى إن كان بوسعي العثور على أية دلائل أو قرائن، ولكني لم أكن محظوظاً في ذلك، رغم أنني حصلتُ على تذكار. هل تودّون رؤيته؟ تخيلوا أن أمي أرادت مني رميه بعيداً. أظن فعلاً أن والدَي المرء يكونان مزعجَين جداً في بعض الأحيان.

ثم أخرج من جيبه علبة ثقاب صغيرة وفتحها ليُخرج محتوياتها الثمينة قائلاً: أترون؟ إنها قُلامة ظفر. قُلامة ظفرها! سوف أسميها «قلامة ظفر القتيلة» وآخذها معي إلى المدرسة. ألا ترون أنها تذكار جيد؟

سألته الآنسة ماربل: من أين حصلتَ عليها؟

- لقد كان في ذلك شيء من الحظ في الواقع، لأنني

بالطبع لم أكن أعرف وقتها أنها ستُقتل. كان ذلك قبل العشاء ليلة أمس، فقد عَلِقَ ظفر روبي بشال جوزي فانكسر، فقصَّته أمي وأعطته لي طالبة مني إلقاءه في سلة المهملات. وكنتُ أنوي رميه بالفعل، لكنني وضعتُه في جيبي بدل ذلك، وصباح اليوم تذكرت، وبحثت لأرى إن كان باقياً هناك فوجدتُه، وها هو الآن معي كتذكار.

قالت السيدة بانتري: إنه أمر مُقرف.

قال بيتر بأدب: آه، هل ترينه كذلك؟

سأله السير هنري: وهل لديك أية تذكارات أخرى؟

- لا أدري... لديّ شيء قد يكون تذكاراً.

- فسِّر ما تقصده أيها الشاب.

نظر إليه بيتر مفكراً، ثم أخرج مُغلَّفاً وأخرج من داخله قطعة من مادة ربط بنّية، وقال مُفسّراً: إنها قطعة من رباط حذاء ذلك الشاب جورج بارتليت. رأيت حذاءه خارج الباب هذا الصباح فأخذت قطعة صغيرة من رباطه تحسُّباً.

- تحسّباً لماذا؟

- قد يكون هو القاتل بالطبع؛ فقد كان آخر شخص يراها، وهذا مدعاة لشكوك فظيعة دوماً كما تعلمون. حسناً، ألا ترون أن موعد العشاء أخذ يقترب؟ أكاد أموت جوعاً. يبدو الوقتُ طويلاً دوماً بين تناول الشاي ووجبة العشاء. آه، ها هو العم هوغو. لم أعرف أن أمي دَعَته للحضور إلى هنا. أحسب

أنها أرسلت تستدعيه، فهذا ما تفعله دوماً عدما تكون في ورطة. وها هي جوزي قادمة. مرحباً جوزي!

تقدمت جوزفين تيرنر على الشرفة، ثم توقفت وبدت وكأنها قد جفلت قليلاً لرؤية السيدة بانتري والآنسة ماربل.

قالت السيدة بانتري بمرح: كيف حالك يا آنسة تيرنر. لقد جئنا لممارسة بعض التحري.

ألقت جوزي حولها نظرة من يشعر بالذنب، ثم قالت وهي تخفض صوتها: إن الأمر فظيع، لكن لا أحد يعلم به بعد... أعني أنه لم يُنشَر في الصحف حتى الآن. أحسب أن الجميع سيُمطرونني بالأسئلة، وهذا أمر مُحرج جداً. لا أدري ما الذي يجب قوله.

ثم ذهبت نظرتها -بشيء من الكآبة- نحو الآنسة ماربل التي قالت: نعم، أخشى أن يكون الموقف صعباً جداً بالنسبة لك.

تحمست جوزي لهذا التعاطف وقالت: الحقيقة أن السيد بريسكوت قال لي: "لا تتكلمي عن الموضوع". وأنا لا أرى بأساً في ذلك، ولكن من المؤكد أن يسألني الجميع عنه. والمرء لا يستطيع الإساءة إلى الناس بتجاهلهم، أليس كذلك؟ قال السيد بريسكوت إنه يأمل بأن أستطيع الاستمرار كالمعتاد... وقد تصرّف بفظاظة في هذا الأمر، ولذلك فإنني سأحاول طبعاً بذل كل جهدي. كما أنني لا أفهم لماذا أُلام أنا على الأمر كله.

قال السير هنري: هل تمانعين في أن أطرح عليك سؤالاً

صريحاً يا آنسة تيرنر؟

قالت جوزي بشيء من الزيف: آه، اسألني ما بدا لك.

- هل أحسست بأي تنافر بينك وبين السيدة جفرسُن والسيد غاسكيل بشأن هذا الأمر كله؟

- أتعني جريمة القتل؟

- لا؛ لا أعني الجريمة.

وقفت جوزي وهي تلوي أصابع يديها ثم قالت بشيء من النكد: حسناً، لقد كان شيء من ذلك ولم يكن... إن كنتَ تفهمني. إن أياً منهما لم يقل شيئاً، ولكني أظن أنهما يلقيان باللوم عليّ أنا في هذا الأمر، أعني في تعلق السيد جفرسُن بروبي على ذلك النحو. ولكن الغلطة لم تكن غلطتي أنا؛ فهذه الأمور تحدث أحياناً، وأنا لم أحلم مُسبقاً بحدوث مثل هذا الأمر ولا للحظة واحدة. لقد... لقد صُعِقت بسبب ذلك تماماً.

بدت في كلماتها نبرة صدق لا يمكن إنكاره، فقال السير هنري بلطف: إنني متأكد تماماً من ذلك، ولكن بعد أن تطور الأمر في ذلك الاتجاه؟

ارتفع ذقن جوزي وقالت: حسناً، لقد كان الأمر من حسن الطالع، أليس كذلك؟ لكل امرئ الحق في أن يصيبه شيء من حُسن الطالع أحياناً.

ثم نظرت إليهم جميعاً بأسلوب متسائل تشوبه مسحة تحدٍّ خفيفة، وبعد ذلك قامت فعبرت الشرفة ودخلت إلى الفندق.

قال الفتى بيتر مُبدياً رأيه: لا أظنها هي القاتلة.

تمتمت الآنسة ماربل: إن قُلامة الظفر تلك مثيرة للاهتمام، فقد كان يقلقني تفسير مسألة أظافرها.

سأل السير هنري: أظافرها؟

شرحت السيدة بانتري قائلة: أظافر الفتاة القتيلة. لقد كانت أظافرها قصيرة تماماً، وبما أن الآنسة ماربل قالت ذلك الآن، فإن قِصَر أظافر الفتاة كان مسألة مُستغرَبة بعض الشيء؛ ففتاة كهذه عادة ما تُطيل أظافرها.

قالت الآنسة ماربل: ولكن إن كان أحد أظافرها قد انكسر فإنها ستقوم طبعاً بتقليم أظافرها الباقية بحيث تتساوى في الطول. أتساءل إن كانوا قد وجدوا قُلامات أظافر في غرفتها؟

نظر إليها السير هنري بفضول وقال: سوف أسأل كبير المفتشين هاربر عن ذلك عندما يعود.

سألت السيدة بانتري: من أين يعود؟ أتراه ذهب إلى غوسيغتُن؟

قال السير هنري بحزن: لا. لقد حدثت مأساة أخرى؛ سيارة احترقت في مقلع للحجارة...

شهقت الآنسة ماربل وقالت: أكان في السيارة أحد؟

- نعم... هذا ما يبدو.

قالت الآنسة ماربل متأملة: أحسب أن تلك هي فتاة

الكشافة التي فُقِدت، بيشنس... لا، بل باميلا ريفز.

حدق السير هنري إليها وقال: والآن لماذا تظنين ذلك بالله عليك يا آنسة ماربل؟

احمرّ وجه الآنسة ماربل قليلاً وقالت: لقد أُذيعَ في المذياع أنها فُقدت من بيتها منذ ليلة أمس. وبيتها في دينلي فيل، وهذا ليس بعيداً جداً عن هنا. وقد شوهدت آخر مرة في تجمع المُرشدات في دينبيري داونز، وهو مكان قريب جداً بالفعل. والحقيقة هي أن عليها أن تعبر ديناوث لتذهب إلى بلدتها، ولذلك فإن حالتها تنطبق على هذه الظروف نوعاً ما، أليس كذلك؟ أعني أن الأمر يبدو وكأنها قد رأت أو ربما سمعت شيئاً ما كان يُفترَض بأحد أن يراه أو يسمعه. وإذا كان الأمر كذلك فإنها ستكون بالطبع مصدر خطر على القاتل، وسيتعين أن... تتمّ إزاحتها. ألا تظن أن أمرين من هذا القبيل لا بد من وجود صلة بينهما؟

قال السير هنري وقد انخفض صوته قليلاً: أتظنينها... جريمة قتل ثانية؟

قبلت نظرته بنظرتها الهادئة الواثقة وقالت: ولِمَ لا؟ عندما يرتكب أحدهم جريمة قتل فإنه لا يتوانى عن ارتكاب الثانية، أليس كذلك؟ بل لا يتوانى عن الثالثة!

- ماذا؟ الثالثة؟ لا أحسبك تظنين أن جريمة قتل ثالثة ستحدث؟

- أظن أن هذا ممكن تماماً. نعم، أظنه ممكناً جداً.

- آنسة ماربل، إنك تخيفينني. هل تعرفين من الذي سيُقتَل؟

قالت الآنسة ماربل: أعرف ذلك معرفة لا بأس بها.

* * *

الفصل العاشر

-١-

وقف كبير المفتشين هاربر ينظر إلى كومة الحديد الملتوي المحترق. إن السيارات المحروقة كانت دوماً مبعث تقزّز، حتى دون العبء الإضافي الصعب المتمثل في وجود جثة متفحّمة.

كان مقلع أحجار فين في منطقة بعيدة، تبعد كثيراً عن أية مناطق مأهولة، رغم أنه لا يبعد كخط مستقيم سوى ميلين اثنين عن ديناماوث. وكان الطريق إليه واحداً من تلك الطرق الضيّقة الملتوية التعيسة التي توشك أن لا تكون طرقاً إلاّ بما مهّدته العربات منها، وهو لا يؤدي إلاّ إلى المقلع نفسه. وقد مضى الآن وقت طويل منذ أن انتهى العمل بهذا المقلع بعد استنزافه، والأشخاص الوحيدون الذين يأتون في هذا الطريق هم أولئك الزائرون النادرون الذين يبحثون عن التوت البري. لقد كان مكاناً مثالياً لمن يريد التخلص من سيارة، ولعل السيارة ما كانت لتُكتشف طوال أسابيع لولا تلك الالتماعة في السماء التي رآها العامل ألبرت بيغز وهو في طريقه إلى عمله.

كان ألبرت بيغز ما يزال في موقع الحادثة رغم أنه قد أدلى

منذ فترة بكل ما يمكنه الإدلاء به، وقد استمر في إعادة القصة المثيرة بكل ما يخطر له من إضافات ورتوش: لقد انبهرت عيناي بذلك فقلت لنفسي: ما هذا؟ كانت التماعة هائلة، فوق في السماء. وقلت: لعلها نار احتفال؟ ولكن من عساه يُشعل نار احتفال في مقلع فين؟ وقلت لنفسي: لا، لا بد أنه حريق ضخم بالتأكيد. ولكن ماذا يمكن أن يكون؟ ليس في ذلك الاتجاه بيت ولا مزرعة. قلتُ لنفسي إن الالتماعة جاءت من فوق مقلع فين... كانت هناك بالتأكيد. ولم أعرف حقاً ماذا يجب أن أفعل، ولكني رأيت الشرطي غريغ قادماً بعدها مباشرة على دراجته فأخبرته بالأمر. كان الضوء قد خبا تماماً وقتها، ولكني أخبرته أين رأيت الضوء بالتحديد. قلت له إنه كان في ذلك الاتجاه، ضوء مبهر في السماء. قلت: لعلها كومة قش أشعلها أحد المُشرّدين الأشقياء، ولكني لم أحسب أبداً أنها قد تكون سيارة... ناهيك عن وجود شخص يحترق حياً فيها. إنها مأساة فظيعة بالتأكيد.

كان رجال من شرطة غلينشاير مشغولين بالأمر، وكانت آلات التصوير قد أخذت صوراً للحادثة وتمت بكل حرص ملاحظة موقع الجثة المتفحّمة قبل أن يبدأ طبيب الشرطة بفحوصاته الخاصة.

جاء الطبيب أخيراً إلى هاربر وهو ينفض عن يديه الرماد الأسود وقد زمَّ شفتيه بامتعاض، وقال: عملية مُتعبة تماماً. إن جزءاً من إحدى الرجلين وفردة حذاء هما كل ما نجا من احتراق الجثة، وأنا شخصياً لا أستطيع الجزم حالياً إن كانت الجثة

لرجل أم لامرأة، لكننا سنحصل على بعض المؤشرات بفحص العظام. أما الحذاء فإنه من تلك الأحذية السوداء المُخططة، من النوع الذي تستخدمه طالبات المدارس.

- هناك طالبة مفقودة من المقاطعة المجاورة، قريباً تماماً من هنا. فتاة في السادسة عشرة أو نحوها.

- لعلها هي إذن، يا للطفلة المسكينة!

قال هاربر بامتعاض: أكانت حية عندما...؟

- لا، لا أظن ذلك. لا وجود لعلامات على أنها حاولت الخروج. كان الجسم مرتخياً على المقعد وقد خرجت القدم. أظنها كانت ميتة عندما وُضعت هناك، ثم تم إشعال النار في السيارة لمحاولة طمس الأدلة.

توقف قليلاً ثم سأل: أتريد مني أي شيء آخر؟

- لا أظن ذلك، شكراً لك.

- حسناً، سأذهب.

مضى إلى سيارته، وذهب هاربر إلى حيث كان أحد رقبائه المتخصصين في مسائل السيارات مشغولاً. رفع الرقيب بصره وقال: قضية واضحة تماماً يا سيدي. لقد تم سكب الوقود على السيارة وأُشعلت فيها النار عمداً. توجد ثلاث عُلب وقود فارغة عند السياج هناك.

على مقربة من ذلك كان رجل يرتب بحرص بعض الأشياء التي تم أخذها من حطام السيارة. كان بينها حذاء جلدي أسود

لوَّحته النار، ومعه مزق من مادة غيَّرت النار لونها إلى الأسود. وعندما تقدم هاربر رفع مرؤوسه نظره وهتف: انظر إلى هذا يا سيدي، يبدو أنه يحسم الموضوع.

أخذ هاربر ذلك الشيء الصغير في يده وقال: أليس زرّاً من الزيّ الرسمي لفتيات الكشافة؟

- بلى، هو كذلك يا سيدي.

- نعم، يبدو أن هذا يحسم الأمر بالفعل.

شعر هاربر -وهو الرجل الرقيق- بشيء من الغثيان. أولاً روبي كين، والآن هذه الطفلة، باميلا ريفز. قال لنفسه كما قال من قبل: ما الذي حدث لغلينشاير؟

كانت خطوته التالية هي الاتصال برئيس شرطة غلينشاير، ثم محاولة الاتصال بالكولونيل ميلتشيت. لقد حدث اختفاء باميلا ريفز في ردفوردشاير، رغم أن جثتها قد عُثر عليها في غلينشاير.

لم تكن المهمة التالية التي أُسندت إليه مريحة، إذ إن عليه أن يخبر والد باميلا ريفز ووالدتها بالأمر.

-٢-

نظر كبير المفتشين هاربر مُفكّراً إلى واجهة المنزل وهو يقرع جرس الباب.

فيلا أنيقة صغيرة مع حديقة جميلة واسعة، من تلك

البيوت التي بُنيت بكثير من الحرية في كل أنحاء الريف في السنوات العشرين الماضية. عسكريون متقاعدون، وموظفون متقاعدون... كان أصحابها من مثل هذه الشريحة. أناس طيبون لطفاء، أسوأ ما يُمكن قوله عنهم أنهم مملّون قليلاً في بعض الأحيان، وهم يصرفون ما يستطيعونه من المال على تعليم أبنائهم. ليسوا من ذلك النوع من الناس الذين يمكن للمرء الربط بينهم وبين المآسي، وها هي المآسي قد جاءت تطرق أبوابهم. تنهّد هاربر.

تم إدخاله فوراً إلى صالة جلس فيها رجل بادي التحفظ ذو شارب أشيب وامرأة احمرّت عيناها من البكاء. نهض الاثنان فوراً، وصاحت السيدة ريفز بلهفة: ألديك أخبار عن باميلا؟

ثم تراجعت مُنقبضة، وكأن نظرة كبير المفتشين المُشفقة كانت صفعة لها.

قال هاربر: أخشى أن عليكما الاستعداد لخبر سيّئ.

- باميلا...

ترنّحت المرأة، فيما قال الميجور ريفز بحدة: هل حدث شيء... للطفلة؟

- نعم يا سيدي.

- أتعني أنها ماتت؟

انفجرت السيدة ريفز تصيح: لا، لا...

ثم دخلت في نوبة بكاء. وضع الميجور ريفز يده حول

زوجته وشدها إليه. ارتجفت شفتاه، ولكنه نظر متسائلاً إلى هاربر الذي حنى رأسه.

- أهي حادثة؟

- ليس تماماً يا ميجور ريفز. لقد عُثر عليها في سيارة محروقة تُركت في مقلع للحجارة.

- في سيارة؟ وفي مقلع حجارة؟

كانت دهشته واضحة. أمّا السيدة ريفز فقد انهارت تماماً وارتخت على الأريكة وهي تنشج بعنف.

قال كبير المفتشين هاربر: إن كنتَ تريدني بقيتُ بضع دقائق؟

قال الميجور ريفز بحدّة: ماذا يعني هذا؟ أفي الأمر تعمُّد الشر؟

- هكذا تبدو الأمور يا سيدي، ولذلك أود أن أطرح عليك بعض الأسئلة إن لم يكن ذلك مُرهقاً لك.

- أنت مُصيب تماماً، لا ينبغي إضاعة أي وقت إذا كان ما تقوله صحيحاً. ولكنني لا أستطيع تصديق ذلك... من عساه يريد إيذاء طفلة مثل باميلا؟

قال هاربر بشيء من البلادة: لقد سبق أن ذكرتَ للشرطة المحلية ظروف اختفاء ابنتك. لقد خرجت من هنا لحضور مهرجان الكشافة، وكنتَ تتوقع عودتها على العشاء. هل هذا صحيح؟

- نعم.

- وكان يُفترَض أن تعود بالحافلة؟

- نعم.

- لقد فهمتُ مما روته زميلاتها في الكشافة أن باميلا قالت عندما انتهى المهرجان إنها ستعبر ديناموث لتذهب إلى محلات وولورث، ثم تستقلّ حافلة في وقت لاحق لتعود إلى البيت. أترى في ذلك أمراً طبيعياً يمكن أن يصدر منها؟

- آه، نعم، لقد كانت باميلا مغرمة جداً بالذهاب إلى محلات وولورث، وكانت غالباً ما تذهب إلى ديناموث للتسوّق. والحافلة تمر من الشارع الرئيسي، لا تبعد إلاّ نحواً من رُبع ميل عن بيتنا هنا.

- ألم تكن لها أية خُطط أخرى حسب علمك؟

- مطلقاً.

- أكانت بصدد مقابلة أحد في ديناموث؟

- لا، أنا واثق من ذلك، وإلاّ لكانت ذكرَت الأمر. لقد توقعنا عودتها للعشاء، ولذلك اتصلنا بالشرطة عندما تأخر الوقت دون أن تظهر. لم يكن من عادتها أن تتأخر في العودة إلى البيت.

- هل كان لابنتك أصدقاء سيّئون... أي أصدقاء لم تكن أنت توافق عليهم؟

- لا، لم نواجه أية مشكلة من هذا النوع.

قالت السيدة ريفز باكية: لقد كانت باميلا مجرد طفلة، وكانت أصغر بكثير من عمرها الحقيقي. كانت تحب الألعاب ولم تكن أنضج من سنها الصغير بأي شكل.

- هل تعرف رجلاً اسمه جورج بارتليت يقيم في فندق ماجستيك في ديناموث؟

نظر الميجور ريفز إليه وقال: لم أسمع به قط.

- ألا تظن أن ابنتك كانت تعرفه؟

- أنا واثق تماماً أنها لم تعرفه.

ثم أضاف بحدة: وما علاقته بالأمر؟

- إنه صاحب السيارة مينون ١٤ التي عُثر فيها على جثة ابنتك.

صاحت السيد ريفز: إذن فلا بد أنه...

سارع هاربر إلى القول: لقد أبلغ عن فقدان سيارته في وقت مبكر من هذا اليوم، وكانت في ساحة الفندق وقت الغداء أمس. كان بوسع أي شخص سرقة السيارة.

- ولكن ألم يرَ أحدهم من الذي أخذها؟

هزّ كبير المفتشين رأسه وقال: هناك عشرات السيارات التي تدخل وتخرج كل يوم، وطراز مينون ١٤ من أكثر الأنواع شيوعاً.

صاحت السيدة ريفز: ولكن ألا تفعلون شيئاً؟ ألا تحاولون العثور على... على الشيطان الذي فعل ذلك؟ ابنتي الصغيرة... آه، ابنتي الصغيرة! إنها لم تُحرَق حية، أليس كذلك؟ آه، باميلا، باميلا!

- إنها لم تعاني يا سيدة ريفز؛ أؤكد لك أنها كانت ميتة عندما أُشعلت النار في السيارة.

سأل السيد ريفز برسمية: كيف قُتلت؟

نظر إليه هاربر نظرة ذات مغزى وقال: لا نعرف. لقد أتلفت النار كل دليل من هذا النوع.

ثم التفت إلى السيدة المنكوبة على الأريكة وقال: صدّقيني يا سيدة ريفز إننا نبذل كل ما في وسعنا. إنها مسألةُ بحثٍ وتحقيق، وسوف نعثر -عاجلاً أو آجلاً- على شخص شاهد ابنتك في ديناماوث بالأمس وشاهد من كان معها. هذا كله يتطلب وقتاً كما تعلمين، وستصلنا العشرات، بل المئات من البلاغات عن فتاة كشافة شوهدت هنا وهناك وفي كل مكان. تبقى المسألة مسألة انتقاء تتطلب صبراً، ولكننا سنكتشف الحقيقة أخيراً، فلا تخافي أبداً.

سألت السيدة ريفز: أين... أين هي؟ هل أستطيع الذهاب إليها؟

مرة أخرى نظر كبير المفتشين نظرة ذات معنى إلى الزوج، ثم قال: إن الطبيب يُشرف على الأمر كله، وسأقترح أن يأتي زوجك معي الآن ويُنجز كل الإجراءات الرسمية. وفي غضون

ذلك حاولي تذكّر أي شيء يمكن أن تكون باميلا قد قالته... فلعلها قالت شيئاً لم تنتبهي له وقتها ولكنه يمكن أن يُلقي ضوءاً على الأمور. أنت تعرفين حتماً ما أعنيه... مجرد عبارة عارضة قالتها مصادفة. هذه أفضل طريقة يمكنك مساعدتنا بها.

وفيما اتجه الرجلان نحو الباب قال ريفز وهو يشير إلى صورة: هذه هي.

نظر هاربر بإمعان إلى الصورة. كانت صورة لفريق هوكي، وقد أشار ريفز إلى باميلا في وسط الفريق. فكر هاربر قائلاً لنفسه وهو ينظر إلى الوجه الجاد للفتاة التي ربطت شعرها ذيل حصان: طفلة لطيفة.

اكتسبت الخطوط حول فمه معنى الحزن والأسى وهو يفكر في الجثة المتفحمة في السيارة، وأقسم مع نفسه على أن لا تبقى جريمة قتل باميلا ريفز لغزاً مبهماً من ألغاز شرطة غلينشاير. واعترف بينه وبين نفسه بأن روبي كين ربما جلبت على نفسها ما أصابها، أما باميلا ريفز فقد كانت قضية مختلفة تماماً... طفلة لطيفة في غاية البراءة. لن يهدأ له بال حتى يضع يده على قاتلها، رجلاً كان أم امرأة.

* * *

الفصل الحادي عشر

بعد يوم أو يومين نظر الكولونيل ميلتشيت وكبير المفتشين هاربر كل إلى الآخر عبر مكتب الكولونيل الضخم. كان هاربر قد جاء إلى مَتش بنهام للتشاور، وقال ميلتشيت بشيء من النكد: حسناً، إننا نعرف الآن ما لدينا... أو بالأحرى ما ليس لدينا!

- ما ليس لدينا هو التعبير الأدقّ يا سيدي.

- لدينا وفاتان يجب أخذهما بالحسبان، جريمتا قتل؛ روبي كين وتلك الطفلة باميلا ريفز. لا يوجد الكثير من الأدلة التي يمكن من خلالها التعرف على شخصية الفتاة المسكينة، ولكن لدينا ما يكفي منها. لقد تعرف أبوها على الحذاء الذي نجا من الحرق وأكد أنه حذاؤها، وهناك ذلك الزر الخاص بملابس الكشافة. إنها جريمة جهنمية بشعة يا هاربر.

قال كبير المفتشين هاربر بهدوء: أنت مُحق يا سيدي.

- إنني سعيد إذ تأكد تماماً أنها كانت ميتة قبل إشعال النار في السيارة، فطريقة اضطجاعها مرمية على المقعد تدل على ذلك. لعلها ضُربت على رأسها... المسكينة!

- أو ربما خُنقت؟

نظر إليه ميلتشيت بحدة وقال: أتظن ذلك؟

- الحقيقة يا سيدي أن بعض القَتَلة يتصرفون على هذا النحو.

- أعرف. لقد شاهدت والديها... والدة الفتاة المسكينة منهارة تماماً. الأمر كله مؤلم جداً. المعضلة التي يتوجب علينا حلها هي: هل الجريمتان مرتبطتان؟

- من شأني أن أجيب بالإيجاب قطعاً.

- وأنا كذلك.

عدّد كبير المفتشين النقاط على أصابعه قائلاً: لقد حضرت باميلا ريفز مهرجان الكشافة في دينبيري داونز، وصرّحت زميلاتُها بأنها كانت طبيعية ومرحة. ولم تعد مع ثلاث من صاحباتها بالحافلة إلى ميدشيستر، بل قالت لهن إنها ستذهب إلى محلات وولورث في ديناموث وستستقل الحافلة إلى بيتها من هناك. والطريق الرئيسي من دينبيري داونز إلى ديناموث ينعطف في دورة كبيرة، ولذلك اتبعت باميلا ريفز طريقاً مختصرَة، فسارت قاطعة حقلين وطريقاً ترابياً، ثم درباً من شأنه أن يوصلها إلى ديناموث قرب فندق ماجستيك. والحقيقة أن ذلك الدرب يمر عملياً بمحاذاة الفندق من الجهة الغربية، ولذلك فمن الممكن أن تكون قد سمعت أو رأت شيئاً... شيئاً يتعلق بروبي كين، وكان من شأن هذا الشيء أن يكون خطيراً على القاتل. لنقل مثلاً إنها سمعته وهو يُرتّب للقاء روبي كين في

الساعة الحادية عشرة من تلك الليلة، وقد أدرك أن هذه التلميذة سمعته عرضاً فاضطر إلى إسكاتها.

قال الكولونيل ميلتشيت: هذا إذا افترضنا -يا هاربر- أن جريمة روبي كين كانت عن سابق تصوّر وتخطيط وليست من وحي اللحظة.

وافقه هاربر قائلاً: أظنها كانت كذلك يا سيدي. صحيح أنها تبدو وكأنها غير ذلك... تبدو وكأنها عنف مفاجئ أو نوبة من الغضب أو الغيرة، ولكني بدأت أرى أنها لم تكن كذلك. ولو لم تكن مُدبَّرة فكيف لنا أن نفسر وفاة الطفلة ريفز؟ لو أنها كانت شاهدة على الجريمة الفعلية لكان ذلك في وقت متأخر من الليل، في نحو الساعة الحادية عشرة، فما الذي يمكن أن تفعله بتجوّلها حول الفندق في مثل ذلك الوقت؟ في التاسعة أصلاً بدأ والداها يشعران بالقلق لعدم عودتها.

- البديل الآخر هو أن تكون قد ذهبت إلى ديناماوث لمقابلة أحد لا تعرف به عائلتها أو صديقاتها، وأن وفاتها غير مرتبطة بالوفاة الأخرى على الإطلاق.

- نعم يا سيدي، وأنا لا أرى أن الأمر على هذا النحو. انظر كيف أن تلك العجوز نفسها، الآنسة ماربل، قد اهتدت فوراً إلى أن بين الوفاتين صلة. لقد سألَت فوراً إن كانت الجثة التي في السيارة المحروقة هي جثة فتاة الكشافة المفقودة. إنها عجوز ذكية جداً، والعجائز تراهن هكذا أحياناً... شديدات الذكاء ويضعن أيديهن على النقطة الجوهرية.

قال ميلتشيت بهدوء: لقد فعلت الآنسة ماربل ذلك أكثر من مرة من قبل.

- وفوق ذلك يا سيدي، هناك السيارة. يبدو لي أن مسألة السيارة تربط بالتأكيد وفاة الفتاة بفندق ماجستيك. لقد كانت سيارة السيد جورج بارتليت.

ومرة أخرى التقت أعين الرجلين، وقال ميلتشيت: جورج بارتليت؟ ممكن! ماذا ترى؟

سرد هاربر عدة نقاط بطريقة منهجية: لقد كان جورج بارتليت آخر من رأى روبي كين، وهو يقول إنها ذهبت إلى غرفتها (ومما يؤكد ذلك العثور في الغرفة على الثوب الذي كانت ترتديه)، ولكن هل ذهبت إلى غرفتها وبدّلت ثيابها لكي تخرج معه؟ هل اتفقا -في وقت مبكر- على موعد للخروج معاً وناقشاه قبل العشاء مثلاً، وهل حدث أن سمعت باميلا ريفز حديثهما عَرَضاً؟

- لكنه لم يُبلّغ عن فقدان سيارته إلاّ في صباح اليوم التالي، وكان غامضاً جداً فيما قاله وقتها، إذ تظاهر بأنه لا يستطيع أن يتذكر بالضبط متى لاحظ وجودها آخر مرة.

- قد يكون هذا ذكاء يا سيدي. رأيي أنه إما أن يكون رجلاً بالغ الذكاء يتظاهر بأنه حمار غبي، أو... أو أن يكون غبياً بالفعل.

قال ميلتشيت: إن ما نحتاجه هو الدافع، ففي الوضع الحالي ليس لديه أي دافع لقتل روبي كين.

- نعم، عند هذه النقطة نقف في كل مرة... الدافع. لقد فهمتُ أن كل التقارير التي وردت من باليه دو دونس في بريكسويل سلبية، أليس كذلك؟

- سلبية تماماً. لم يكن لروبي كين أي صديق خاص. لقد دقّقَ سلاك في هذه المسألة بشكل مُعمَّق. يجب أن نعترف لسلاك بما هو أهله، فهو دقيق في عمله بالفعل.

- هذا صحيح يا سيدي؛ هذه كلمة تنطبق عليه.

- لو كان هناك ما يمكن اكتشافه لاكتشفه سلاك، ولكن لا يوجد شيء. لقد حصل على قائمة بأعضاء الفرقة وتحقق منهم جميعاً فوُجدوا على ما يرام، شبان عاديون لا ضرر منهم، وكلهم قادرون على الدفع بالغيبة عن مكان الجريمة في تلك الليلة.

قال كبير المفتشين هاربر: آه، الدفع بالغيبة عن مكان الجريمة. هذه هي المعضلة التي نواجهها.

نظر إليه ميلتشيت بحدّة وقال: أتظن ذلك؟ لقد تركتُ هذا الجانب من التحقيق لك أنت.

- نعم يا سيدي، وقد تم التدقيق فيه بكل شمولية. بل لقد طلبنا من لندن المساعدة في هذا الأمر.

- والنتيجة؟

- لعل السيد كونوي جفرسُن يظن أن السيد غاسكيل والسيدة الشابة جفرسن في وضع مالي مريح، ولكن الحقيقة

ليست كذلك، فكلاهما في وضع مالي بالغ الصعوبة.

- أهذا صحيح؟

- صحيح تماماً يا سيدي. إن الأمر كما قاله السيد جفرسن؛ فقد حوّل مبالغ كبيرة من المال لابنه وابنته عندما تزوجا، وكان هذا منذ أكثر من عشر سنوات. وقد تخيل السيد جفرسن الشاب أنه يعرف الاستثمارات الجيدة فلم يستثمر في أي مشروع ينطوي على مجازفة كبرى، ولكنه لم يكن محظوظاً وأظهر افتقاراً إلى الأحكام السليمة أكثر من مرة، والنتيجة أن حجم أمواله قد انخفض بشكل متزايد. وأحسب أن الأرملة وجدت صعوبة في مواجهة تكاليف الحياة وفي إرسال ابنها إلى مدرسة جيدة.

- ولكن ألم تلجأ إلى حميها لطلب المساعدة؟

- لا يا سيدي، وبقدر ما أستطيع الاستنتاج فإنها تعيش معه، وبذلك لا تُصرَف لها نفقات منزلية مستقلة.

- وكانت صحة العجوز في حال لا يُتوقَّع معها أن يعيش طويلاً، أليس كذلك؟

- هذا صحيح يا سيدي. أما بالنسبة للسيد غاسكيل فهو -بكل بساطة ووضوح- رجل مقامر. لقد صرف مال زوجته بسرعة، وقد ورّط نفسه في موقف حرج في الوقت الحاضر. إنه بحاجة ماسة إلى المال... وإلى كمية كبيرة منه.

قال الكولونيل ميلتشيت: لا يمكنني القول إنني ارتحتُ

لشكله كثيراً. إنه من ذلك النوع الذي يبدو عليه الطيش، ولديه دافع بالتأكيد. فإزاحة تلك الفتاة عن الطريق كانت تعني بالنسبة له خمسة وعشرين ألف جنيه. نعم، إنه لدافع قوي بالتأكيد.

- إن لدى الاثنين دافعاً.

- أنا لا أفكر في السيدة جفرسُن.

- نعم يا سيدي، أعرف أنك لا تفكر فيها. وعلى أية حال فإن الدفع بالغيبة عن مكان الجريمة وقت وقوعها صحيح بالنسبة لكليهما. لا يمكن أن يكون أيٌّ منهما قد فعلها، هذا هو الأمر ببساطة.

- هل حصلتَ على إفادات كاملة بتحركاتهما في تلك الليلة؟

- نعم. ولنأخذ السيد غاسكيل أولاً، فقد تعشى مع حميه ومع السيدة جفرسن، وتناول القهوة معهما بعد ذلك عندما انضمت إليهم روبي كين، ثم قال إن لديه رسائل ينبغي أن يكتبها وتركهم. والواقع أنه استقلّ سيارته وخرج في جولة على الشاطئ. وقد أخبرني بكل صراحة بأنه لا يتحمل لعب البريدج طوال أمسية بكاملها، والرجل العجوز مهووس بهذه اللعبة، ولذلك جعل من الرسائل حجة. وقد بقيت روبي مع الآخرين، وعاد مارك غاسكيل عندما كانت ترقص مع ريموند، وبعد الرقصة جاءت روبي وشربت الشاي معهم، ثم ذهبت مع الشاب بارتليت وانخرط غاسكيل والآخرون في لعبة البريدج. كان ذلك في الحادية عشرة إلاّ ثلثاً، ولم يترك الطاولةَ حتى ما

بعد منتصف الليل. هذا مؤكَّد تماماً يا سيدي، فالجميع يقولون ذلك، العائلة والخدم والجميع. وعُذر غياب السيدة جفرسن عن مكان الجريمة مماثل تماماً، فهي أيضاً لم تترك الطاولة. إنهما مُستبَعدان، الاثنان مستبعَدان.

اتكأ الكولونيل ميلتشيت إلى مسند كرسيه وأخذ ينقر على المكتب بسكين فتح الرسائل، ثم قال هاربر: هذا إذا افترضنا أن الفتاة قُتلت قبل منتصف الليل.

- لقد قال الدكتور هيدوك إنها قُتلت قبل منتصف الليل، وهو رجل قدير تماماً في عمله مع الشرطة، وإذا ما قال شيئاً يكون قوله صحيحاً تماماً.

- ربما كانت هناك أسباب تُعيق التشخيص السليم... الصحة، الميّزات الجسمية الفردية للمرء... أشياء من هذا القبيل.

- سأقول له ذلك.

ثم نظر إلى ساعته، ورفع السماعة وطلب من المأمور رقماً ثم قال: يجب أن يكون هيدوك في بيته في مثل هذا الوقت. والآن، ماذا لو افترضنا أنها قُتلت بعد منتصف الليل؟

قال هاربر: عندها يمكن أن تنشأ الفرصة. لقد حدث الكثير من المجيء والذهاب بعد ذلك. لنفترض أن غاسكيل قد طلب من الفتاة أن تقابله في مكان ما في الخارج... ولنقل في الساعة الثانية عشرة والثلث. تسلل خارجاً لدقيقة أو دقيقتين فخنقها، ثم عاد إلى الفندق وتخلص من الجثة لاحقاً... في الساعات

الأولى من الصباح.

قال ميلتشيت: ويأخذها بالسيارة لمسافة تزيد عن ثلاثين ميلاً ليضعها في مكتبة الكولونيل بانتري؟ إنها قصة غير محتمَلة.

اعترف كبير المفتشين فوراً قائلاً: نعم، إنها غير محتمَلة.

رن جرس الهاتف، فرفع ميلتشيت السماعة قائلاً: مرحباً يا هيدوك، أهذا أنت؟ بالنسبة لروبي كين. أتراه ممكناً أن تكونَ قد قُتلت بعد منتصف الليل؟

- لقد أخبرتك أنها قُتلت ما بين العاشرة ومنتصف الليل.

- نعم، أعرف، ولكن بوسع المرء أن يمدد الفترة قليلاً... ماذا؟

- لا، ليس بوسعك أن تُمدّد الفترة. عندما أقول إنها قُتلت قبل منتصف الليل فإنني أعني ما أقوله، ولا تحاول العبث بالدليل الطبي.

- ولكن ألا يمكن أن تكون هناك خصائص جسمانية معينة؟ أنت تعرف ما أعنيه.

- أعرف أنك لا تعرف شيئاً مما تتكلم فيه. لقد كانت الفتاة في أتم صحة ولم يكن فيها أي عيب، ولن أقول عكس ذلك لمجرد مساعدتكم في إحكام الحبل حول عنق شخص تعس شحذتم له سكاكينكم معشر مسؤولي الشرطة. والآن لا تحتجَّ على كلامي، إنني أعرف أساليبك. وبالمناسبة، إن الفتاة

لم تُخنَق وهي في وعيها، أعني أنها قد خُدِّرت قبل ذلك... بمنوِّم قوي. صحيح أنها توفيت بسبب الاختناق ولكنها خُدِّرت قبل ذلك.

ثم أقفل هيدوك السماعة، فقال ميلتشيت بتجهّم: هذا هو الوضع إذن؛ الطبيب لم يغيّر رأيه!

قال هاربر: لقد ظننت أنني وجدت شخصاً آخر مُحتمَلاً، ولكن هذا الاحتمال تلاشى الآن.

- ماذا تعني؟ مَن؟

- إذا أردنا التخصيص فإنه طريدتك أنت يا سيدي. اسمه بيسل بليك، ويعيش قرب غوسينغتُن هول.

قال الكولونيل ميلتشيت وقد اكفهَرّ وجهه إذ تذكر وقاحة بيسل بليك المثيرة للسخط: شاب شديد الوقاحة! ما هو وجه تورطه في الأمر؟

- يبدو أنه كان يعرف روبي كين. كان يتعشى كثيراً في فندق ماجستيك، وقد رقص مع الفتاة. أتذكر ما قالته جوزي لريموند عندما اكتشفا غياب روبي؟ لقد تساءلت: "أتراها مع ذلك الرجل الذي يعمل في السينما؟". لقد اكتشفتُ أنها كانت تعني بليك. إنه يعمل في أستوديوهات ليمفيل، ولم يكن لدى جوزي ما تستند عليه في سؤالها ذاك إلا اعتقادها بأن روبي كانت معجبة به.

- إنه احتمال واعدٌ جداً يا هاربر، واعدٌ جداً.

- ليس بالدرجة التي يبدو عليها يا سيدي، فقد كان بيسل بليك يحضر حفلة في الأستوديوهات في تلك الليلة، وأنت تعرف مثل هذه الحفلات... تبدأ في وقت مبكر من المساء وتستمر حتى يمتلئ الجو بالدخان بحيث لا يرى المرء صاحبَه ويفقد الجميع وعيهم من الشراب! ووفقاً لما قاله المفتش سلاك -الذي حقق معه- فإنه غادر الحفلة في نحو منتصف الليل، وفي منتصف الليل كانت روبي ميتة.

- هل وجدت من يدعم أقوال الشاب؟

- لقد فهمتُ أن معظمهم كانوا ثملين تماماً. غير أن الشابة التي تزوره في بيته، الآنسة دينا لي، تقول إن إفادته صحيحة.

- هذا لا يعني شيئاً.

- نعم يا سيدي، لعله لا يعني شيئاً. والإفادات المأخوذة من المشاركين الآخرين في الحفلة تؤيد عموماً ما جاء في إفادة بليك، رغم أن ما طُرح حول مسألة الوقت كان غائماً تماماً.

- أين هي تلك الأستوديوهات؟

- في ليمفيل يا سيدي، على بعد ثلاثين ميلاً جنوب لندن.

- همم... وهي المسافة ذاتها التي تفصل مكان الجريمة عن مكاننا هذا تقريباً، أليس كذلك؟

- بلى يا سيدي.

حكّ الكولونيل ميلتشيت أنفه وقال بنبرة امرئ غير مُقتنع: حسناً، يبدو وكأن بوسعنا أن نستبعده.

- أظن ذلك يا سيدي. ولا دليل على أنه كان مُنجذباً إلى روبي كين بشكل جاد، بل إنه...

تنحنح كبير المفتشين هاربر قليلاً ثم أكمل: بل إنه يبدو مُنشغلاً تماماً بصاحبته الخاصة.

قال ميلتشيت: حسناً، هذا لا يُبقي أمامنا سوى افتراض قاتل مجهول... مجهول إلى الحد الذي لا يستطيع سلاك معه أن يجد له أثراً! أو لعله صهر جفرسن الذي ربما رغب بقتل الفتاة ولكن لم تُتَح له الفرصة لفعل ذلك... والكنَّة ينطبق عليها الأمر ذاته. أو جورج بارتليت الذي لا يملك دفعاً بالغيبة عن مكان الجريمة وقت وقوعها، ولكنه لا يمتلك دافعاً أيضاً مع الأسف. أو الشاب بليك الذي يمتلك دفعاً بالغيبة ولا يمتلك دافعاً للجريمة... هذه هي مجموعتنا! لا، تمهَّل، أحسب أن علينا أن نفكر بشريكها في الرقص، ريموند ستار. لقد كان يعرف الفتاة معرفة جيدة في نهاية المطاف.

قال هاربر ببطء: لا أستطيع التصديق بأنه كان مهتماً بها كثيراً، وإلا فلا شك أنه ممثل عظيم. كما أن له عذر غياب عن مكان الجريمة أيضاً، فقد كان في الفندق تحت الأنظار من الساعة الحادية عشرة إلاّ ثلثاً حتى منتصف الليل. لا أرى أن بوسعنا أن نبني قضية ضده.

- الحقيقة أننا لا نستطيع بناء قضية ضد أحد.

- إن جورج بارتليت هو أفضل أمل لدينا، لو استطعنا فقط العثور على دافع.

- هل تحققتَ من أمره؟

- نعم يا سيدي. إنه الولد الوحيد لأبويه، رعته أمه رعاية مبالغاً فيها، وقد ورث كثيراً من المال لدى وفاتها قبل عام واحد. إنه ينفق هذا المال سريعاً، وهو أقرب إلى الضعف منه إلى الشر.

قال ميلتشيت بشيء من الأمل: ربما كان في عقله شيء؟

أومأ هاربر برأسه وقال: أترى أن هذا قد يكون تفسيراً للقضية كلها يا سيدي؟

- أتعني قاتلاً مجنوناً؟

- نعم؛ أحد أولئك الذين يتجولون ويخنقون الفتيات. إن لدى الأطباء اسماً طويلاً لمثل هذه الحالة.

- من شأن ذلك أن يحل كل مشكلاتنا.

- في هذه القضية أمر واحد فقط لا يعجبني.

- وما هو؟

- أنها سهلة جداً.

- نعم، ربما. إذن فكما قلتُ في البداية: إلى أين وصلنا؟

أجابه كبير المفتشين هاربر قائلاً: لم نصل إلى أي مكان يا سيدي.

* * *

الفصل الثاني عشر

-١-

تململ كونوي جفرسُن في نومته وتمطى. كانت ذراعاه منفتحتين طويلتين قويتين، وبدا أن كل قوة جسمه قد تركّزت فيهما منذ الحادثة التي تعرض لها.

ومن خلال الستائر بدا ضوء الصباح رقيقاً. ابتسم كونوي جفرسن لنفسه، فقد كان يصحو على هذا النحو دوماً بعد ليلة من الراحة، سعيداً مُنتعشاً وقد تجددت حيويته العميقة. ها قد بدأ يوم آخر!

وهكذا بقي متمدداً للحظات، ثم ضغط على الجرس بيده، وفجأة اجتاحته موجة من الذكريات. وحتى لدى دخول إدوارد إلى الغرفة بخطواته الخفيفة البارعة أمكنه أن يسمع أنّة من سيده.

توقف إدوارد ويده على الستائر وقال: هل تحس بأي ألم يا سيدي؟

قال جفرسن بصوت أجش: لا، استمر، افتح الستائر.

غمر الضوء الغرفة، ولم ينظر إدوارد المتفهم إلى سيده. بقي كونوي جفرسُن مضطجعاً مُقطّب الجبين يتذكر ويفكر، ورأى أمام عينيه من جديد وجه روبي الجميل الباهت الخالي من أي تميّز، لكن عقله لم يفكر في الجانب الإيجابي لشكل وجه كهذا. ليلة أمس كان من شأنه أن يصفها بالبراءة، طفلة ساذجة بريئة! أما الآن؟

انتاب كونوي جفرسُن سأمٌ عظيم. أغمض عينيه وتمتم من بين أسنانه: مارغريت...

كان ذلك اسم زوجته المتوفَّاة.

-٢-

قالت أديليد للسيدة بانتري: إنني أحب صديقتك.

كانت المرأتان تجلسان على الشرفة الخارجية. قالت السيدة بانتري: إن جين ماربل امرأة بارزة جداً.

قالت أديليد جفرسن وهي تبتسم: وهي لطيفة أيضاً.

- بعض الناس يسمونها «الباحثة عن الفضائح»، ولكنها ليست كذلك حقاً.

- لعله مجرد شيء من سوء الظن بالطبيعة البشرية من جانبها؟

- يمكنك التعبير عن الأمر على هذا النحو.

- إن في ذلك بعض التجديد المنعش، بعد أن رأى المرء الكثير من الصفات المعاكسة.

نظرت إليها السيدة بانتري بحدة، فقالت أديليد تُفسّر موقفها: إنك تجدين الكثير من السذاجة وحُسن الظن بالناس، وإضفاء المثالية على أشخاص لا قيمة لهم.

- أتعنين روبي كين؟

أومأت أديليد بالإيجاب وقالت: لا أريد أن أكون فظيعة في نظرتي إليها، فلم يكن فيها أي ضرر. مجرد فأرة صغيرة مسكينة مضطرة إلى الكفاح للوصول إلى ما تريده. لم تكن سيئة، فقط فتاة عادية سخيفة بعض الشيء وطيبة القلب تماماً، ولكنها باحثة عن المال بالتأكيد. لا أحسبها خططت أو رتَّبت، بل كانت فقط سريعة في الاستفادة من الفرصة التي سنحت لها. وهي تعرف تماماً كيف تروق لرجل كهل كان... كان وحيداً.

قالت السيدة بانتري متأملة: أحسب أن كونوي كان وحيداً بالفعل، أليس كذلك؟

تململت أديليد بقلق وقالت: نعم، كان كذلك... في هذا الصيف.

سكتت قليلاً ثم انفجرت قائلة: سيظن مارك أن تلك كانت غلطتي أنا... ولعلها كانت غلطتي، لا أدري.

ثم سكتت للحظات مضت بعدها -وكأنها مدفوعة بحاجة إلى الكلام- لتتكلم بصعوبة تكاد تكون تردداً: لقد... لقد

عشتُ حياة من نوع غريب. لقد توفي مايك كارمودي، زوجي الأول، بعد زواجنا بوقت قصير، وقد... وقد دمّرني هذا الأمر. ولعلك تعرفين أن بيتر وُلد بعد وفاة أبيه. وكان فرانك جفرسن أعظم صديق لزوجي مايك، فصرت أراه كثيراً. وقد تعلّقتُ به تماماً و...آه! وأسفتُ عليه أيضاً.

سألت السيدة بانتري باهتمام: أسفتِ؟

- نعم، أسفتُ فقط. يبدو هذا غريباً. كان فرانك قد اعتاد الحصول على كل ما يريده؛ كان أبواه في منتهى اللطف معه، ومع ذلك... كيف لي أن أُعبّر عن هذا الأمر؟ الحقيقة أن شخصية السيد جفرسُن العجوز قوية جداً، ولو عشتِ معه فإنك لا تستطيعين -بشكل ما- الإبقاء على شخصيتك الخاصة. لقد شعر فرانك بذلك، وعندما تزوجنا كان سعيداً جداً، سعيداً على نحو رائع. وكان السيد جفرسن في غاية السخاء، فقد حوّل مبلغاً ضخماً من المال إلى فرانك. قال إنه يريد لأولاده أن يكونوا مستقلين ولا يُضطروا إلى انتظار وفاته. كان ذلك لطفاً بالغاً منه وسخاء بالغاً، ولكنه كان مُفاجئاً جداً. كان عليه حقاً أن يُعوّد فرانك على الاستقلال بالتدريج. وقد شطَّ الخيال بفرانك وأراد أن يُصبح جيداً بقدر أبيه، ذكياً في عالم المال والأعمال كأبيه وبعيد النظر ناجحاً مثله... ولكنه لم يكن كذلك بالطبع. إنه لم يُجازف في مضاربات مالية خطيرة، ولكنه استثمر ماله في المشاريع الخطأ وفي الوقت الخطأ. ولعلك تعرفين أن المال ينفَد بشكل مخيف إذا لم يكن المرء ذكياً في إدارته. ومع استمرار تدهور الحالة المالية لفرانك كان يزداد لهفة على

استرداد ماله في صفقة ذكية ما، وهكذا مضت الأمور من سيّئ إلى أسوأ.

- ولكن يا عزيزتي، أما كان بوسع كونوي أن ينصحه؟

- هو لم يشأ تلقي النصيحة. كان جلّ همه أن ينجح من خلال تعبه هو، ولذلك حرصنا على أن لا يعلم أبوه. وعندما مات فرانك لم يكن قد بقي سوى القليل من المال، مجرد دخل بسيط لي. وأنا... وأنا لم أخبر أباه أيضاً. أتدرين لماذا؟

التفتت فجأة ومضت تقول: كان من شأني أن أشعر بأنني شكوتُ فرانك، وهذا أشبه بخيانته. كان من شأن فرانك أن يكره ذلك كثيراً. وقد بقي السيد جفرسن مريضاً لفترة طويلة، وعندما تحسنت صحته افترض بأنني أرملة غنية تماماً، ولم أُشعره بخطأ فكرته... كانت المسألة مسألة شرف. إنه يعرف أنني حريصة تماماً في المسائل المالية، ولكنه يوافقني على ذلك. إنه يحسبني امرأة اقتصادية مدبّرة، ولقد عشتُ أنا وبيتر معه منذ ذلك الحين بالطبع وكان يدفع كل تكاليف معيشتنا، ولذلك لم أضطر إلى القلق قط.

ثم قالت ببطء: لقد كنا كعائلة طوال هذه السنين، باستثناء... باستثناء... كما تعلمين، أو لعلك لا تعلمين؟ باستثناء أني لم أكن بالنسبة إليه أرملة فرانك، بل كنتُ زوجة فرانك.

استوعبت السيدة بانتري مغزى هذا القول، وقالت: أتعنين أنه لم يتقبل قط مسألة موتهما؟

- بل لقد كان رائعاً، ولكنه سيطر على مأساته الرهيبة برفضه الاعتراف بالموت؛ فمارك هو زوج روزاموند، وأنا زوجة فرانك! ومع أن روزاموند وفرانك ليسا هنا معنا بالمعنى الحرفي إلا أنهما ما زالا موجودَين.

قالت السيدة بانتري بهدوء: إنه انتصار رائع للإرادة.

- أعرف. وقد مضينا في ذلك سنة بعد أخرى، ولكن فجأة في هذا الصيف تغير داخلي شيء ما؛ شعرت... شعرت بالتمرد. إنه لمن الفظيع قول ذلك، ولكني لم أشأ المضيّ في التفكير بفرانك! لقد انتهى ذلك كله، حبي له ورفقتي معه وحزني عند موته. لقد كان شيئاً مضى ولم يعد موجوداً. من الصعب جداً وصف ذلك، إنه أشبه بمَن يريد طيّ صفحة الماضي والبدء من جديد. أردت أن أكون أنا... آدي، التي ما تزال شابة إلى حد ما وقوية وقادرة على الحياة، مجرد إنسانة. حتى هوغو... أتعرفين هوغو ماكلين؟ إنه شخص عزيز وقد أراد الزواج بي، غير أني لم أفكر بالموضوع بالطبع. ولكني في هذا الصيف بدأت أفكر فيه، ليس على نحو جادّ بل بشكل غامض مبهم.

توقفت وهزّت رأسها ثم قالت: ولذلك أحسب أن الأمر صحيح. لقد أهملتُ جِف. لا أقصد أنني أهملته فعلاً، ولكن عقلي وأفكاري لم تكن معه. وعندما وجد التسلية في روبي -كما رأيت- سعدت بذلك بعض الشيء، فهذا الأمر جعلني أكثر حرية لأخرج وأفعل ما أريد. لم أحلم قط، لم أحلم بالطبع بأنه سوف... سوف يُفتَن بها إلى هذه الدرجة.

سألت السيد بانتري: وعندما اكتشفت ذلك؟

- ذُهلت، ذُهلت تماماً، ولعلي غضبتُ أيضاً.

- كان من شأني أنا أيضاً أن أغضب لو كنت مكانك.

- لقد كان هناك بيتر كما تعلمين، لقد كان مستقبل بيتر كله يعتمد على جف. وكان جف ينظر إلى بيتر كما لو كان حفيده عَمَلياً، أو هذا ما ظننتُه. ولكنه لم يكن حفيده بالطبع، بل لم تكن له قرابة به على الإطلاق. ولكن ما أقسى فكرة أنه سوف... سوف يُحرَم من الميراث!

ارتجفت يداها الثابتتان اللتان كانتا في حضنها، ومضت تقول: لأن الحقيقة هي أن الأمر بدا على هذا النحو؛ سوف يتم حرمانه لصالح فتاة ساذجة سوقية باحثة تصطاد أصحاب الثروات. آه، لقد كان من شأني أن أقتلها!

توقفت مصعوقة، والتقت عيناها الكستنائيتان الجميلتان بعينَي السيدة بانتري برعب وتوسل، ثم قالت: يا له من قول فظيع!

سأل هوغو ماكلين وهو يتقدّم من خلفهما بهدوء: ما هو ذلك القول الفظيع؟

- اجلس يا هوغو. أنت تعرف السيدة بانتري، أليس كذلك؟

كان ماكلين قد حيّا السيدة الكهلة وهو يقترب، ثم أعاد سؤاله بصوت منخفض ومُثابر: ماذا كان ذلك القول الفظيع؟

قالت أديليد: أنه كان من شأني أن أقتل روبي كين!

فكر هوغو ماكلين لبرهة ثم قال: لا، لو كنتُ مكانك لما قلت ذلك، فهو قول قد يُساء فهمه.

ونظرت عيناه الثابتتان المفكرتان الرماديتان إليها بطريقة ذات مغزى، ثم قال: **عليك أن تنتبهي إلى خطواتك يا آدي.**

وكانت في صوته نبرة تحذير.

-٣-

عندما خرجت الآنسة ماربل من الفندق وانضمت إلى السيدة بانتري بعد ذلك بعدة دقائق كان هوغو ماكلين وأديليد جفرسن يمشيان معاً في الطريق المفضي إلى البحر. قالت الآنسة ماربل وهي تجلس: يبدو شديد التعلق بها.

- إنه متعلق منذ سنين... إنه من ذلك النوع من الرجال!

- أعرف، إنه مثل الميجور بيري؛ تعلق بأرملة لما يقرب من عشر سنين حتى صار مثار تندّر من صاحباتها، وفي النهاية استسلمت، ولكن المؤسف أنها هربت مع السائق قبل عشرة أيام من الموعد المفترَض لزواجهما! وكانت امرأة لطيفة تماماً أيضاً وتتمتع بكثير من الاتزان.

وافقتها السيدة بانتري قائلة: إن الناس يُقْدمون بالفعل على أشياء غريبة جداً. ليتك كنتِ هنا قبل قليل يا جين! كانت أديليد تخبرني بكل شيء عن نفسها... كيف أنفق زوجها كل أمواله دون أن يسمحا للسيد جفرسن بأن يعرف بالأمر، وكيف أنها

شعرت هذا الصيف بأن الأمور أخذت تتغير في داخلها.

أومأت الآنسة ماربل برأسها موافِقةً وقالت: نعم، أعتقد أنها تمردت على الطريقة التي أُجبرت بموجبها على العيش في الماضي، أليس كذلك؟ إن لكل شيء أوانه في نهاية الأمر، ولا يمكنك أن تجلسي في البيت وقد أسدلتِ عليك ستائرك إلى الأبد. أظن أن السيدة جفرسن قد فتحت لتوّها ستائرها وفتحت نوافذها، وهذا لم يَرُق لحَميها بالطبع، فقد شعر بأنه تُرك وحده في العراء! رغم أنني لا أحسب أبداً أنه أدرك مَن الذي دفعها لتقوم بذلك. من المؤكد أن لا يروق له هذا، ولذلك فقد غدا جاهزاً مستعداً لما حدث، تماماً كما حدث للسيد بادجر عندما استغرقت زوجته في الأنشطة الاجتماعية. وكان من شأن أية فتاة شابة عليها مسحة من جمال وتجيد الإصغاء أن تَفِي بالغرض.

- أتظنين أن قريبتها تلك، جوزي، قد أتت بها إلى هنا عن قصد وأن الأمر كان مؤامرة عائلية؟

هزت الآنسة ماربل رأسها بالنفي وقالت: لا، لا أظن ذلك أبداً. لا أحسب أن لدى جوزي ذلك النوع من العقل الذي يمكنه استشراف ردود أفعال الناس، إذ تكاد تكون بلهاء في هذا الجانب. إن لديها عقلاً ذكياً محدوداً عَمَلياً ليس من شأنه أبداً التنبّؤ بالمستقبل، بل عادة ما يدهش المستقبلُ مثلَ هذا العقل.

- يبدو أن ذلك الأمر أخذ الجميع على حين غرة، بما في ذلك أديليد، ومارك غاسكيل أيضاً فيما يبدو.

ابتسمت الآنسة ماربل وقالت: أظن أن لديه مشكلة خاصة

أخرى تستأثر باهتمامه. إنه رجل جريء وليس من النوع الذي يمكن أن يستمر لسنوات في لعب دور الأرمل الحزين، كائناً ما كان مقدار تعلقه بزوجته. أظن أن الاثنين كانا قلقَين متململَين تحت وطأة الذكريات الدائمة التي كبّلهما بها السيد جفرسن.

ثم أضافت الآنسة ماربل بشيء من إساءة الظن بالطبيعة البشرية: باستثناء أن الأمر أسهل بالنسبة للرجال طبعاً.

-٤-

في تلك اللحظة بالذات كان مارك يؤكد مثل هذا الحكم عليه في حديث مع السير هنري كليذرنغ، وقد بادر مارك -بما يميزه من صراحة- إلى الدخول فوراً في صلب الموضوع قائلاً: لقد انتبهتُ لتوّي إلى أنني المشتبَه فيه رقم واحد بالنسبة إلى الشرطة! لقد كانوا ينقّبون في مشكلاتي المالية، وأنا مفلس كما تعلم... أو على وشك الإفلاس. لو أن العجوز العزيز جف توفي (كما هو مقدَّر) في غضون شهر أو شهرين واقتسمت المال مع أديليد (كما هو مقدَّر أيضاً) لأصبح كل شيء على ما يرام. الحقيقة أنني غارق في الديون، وإذا ما حان إفلاسي فسيكون ضربة كبرى! ولو استطعت تفادي ذلك لتغيّر الوضع تماماً، عندها سأخرج من الورطة سالماً وأكون رجلاً غنياً جداً.

قال السير هنري كليذرنغ: أنت مقامر يا مارك.

- لقد كنتُ كذلك دوماً. إن شعاري هو: غامر بكل شيء!

نعم، لقد كان من حسن حظي أن أحدهم خنق تلك الفتاة المسكينة. أنا لم أفعل ذلك، فأنا لستُ بقاتل. لا أعتقد حقاً أن بوسعي أن أقتل أحداً، إنني بسيط جداً، ولكن ليس بوسعي أن أطلب من الشرطة تصديق ذلك! لا بد أنني أبدو لهم كما لو كنتُ تلبية لدعاء المحقق الجنائي؛ فلديّ الدافع، وقد كنت في مكان الجريمة، ولا تؤرّقني كثيراً الوساوس الأخلاقية... لا أستطيع أن أتخيل لماذا لم يُزَجّ بي في السجن حتى الآن! إن لكبير المفتشين ذاك نظرة لئيمة فعلاً.

- ذلك لأن لديك أمراً مفيداً يسمونه «دليل غياب» عن مكان الجريمة عند وقوعها.

- دليل الغياب هو أكثر ما يثير الشبهات في هذه الدنيا، فأنت لن تجد بريئاً يمتلك دليلاً مثله! وفوق ذلك فإن الأمر كله يعتمد على وقت الوفاة، وأؤكد لك أنه إذا ما اتفق ثلاثة أطباء على أن الفتاة قُتلت عند منتصف الليل فإنك ستجد ستة آخرين على الأقل يُقسمون بأغلظ الأيمان على أنها قُتلت في الخامسة صباحاً، وعندها أين سيصبح دفعي بالغيبة؟

- على الأقل أنت قادر على الاستمتاع بهذا الأمر.

قال مارك بمرح: وإنه لذوق رديء، أليس كذلك؟ في الحقيقة أنا مرعوب بعض الشيء، فمن الطبيعي أن يشعر المرء بالرعب بوجود جريمة قتل. ولا تحسبني غير متأسّف لما أصاب العجوز جف، بل إنني متأسف بشأنه، ولكن رغم فظاعة الصدمة إلاّ أن سير الأمور على هذا النحو أفضل مما لو كان اكتشفها.

- ما الذي تعنيه بقولك «اكتَشَفَها»؟

رمش مارك بعينيه وقال: إلى أين ذهبَت ليلة أمس؟ أنا مستعد لأن أراهنك على أي شيء تريده على أنها ذهبت للقاء رجل. وما كان جف ليحب ذلك؛ ما كان ليحب ذلك على الإطلاق. إذا ما اكتشف أنها كانت تخدعه وأنها لم تكن تلك الفتاة الصغيرة البريئة المِهذارة كما بدا عليها فإن الرجل... إنه عجوز غريب، فهو شديد السيطرة على نفسه، ولكن تلك السيطرة على النفس يمكن أن تنكسر. وعندها... عليك أن تحذر!

نظر إليه السير هنري بفضول وقال: أتحبه أم لا تحبه؟

- بل أنا أحبه كثيراً، لكنني حانق عليه في الوقت نفسه. سأحاول شرح ذلك؛ إن كونوي جفرسن رجل يحب التحكم بما حوله: إنه طاغية مُحسن ودود كريم محب، ولكن الرأي دائماً رأيه وعلى الآخرين أن يتبعوه.

توقف مارك غاسكيل قليلاً ثم قال: لقد أحببت زوجتي، ولن أشعر بمثل ذلك الحب تجاه أية امرأة أخرى. فقد كانت روزاموند وردتي وشمسي وفرحي، وعندما ماتت شعرت وكأنني رجل تلقى ضربة قاضية في مباراة ملاكمة. ولكن وقتاً طويلاً قد مضى الآن على حَكَم المباراة وهو يَعُدّ! وأنا في النهاية رجل وأحتاج إلى امرأة بجانبي. وهذه المسكينة آدي، إنها امرأة لطيفة حقاً وهي من النساء اللاتي يرغب الرجال بالزواج بهن. أعطِها نصف فرصة وستجدها قد تزوجت من جديد وغدت سعيدة جداً وجعلت من زوجها رجلاً سعيداً

أيضاً. ولكن العجوز كان يراها دوماً باعتبارها زوجة فرانك، وقد سيطر على عقلها بحيث ترى نفسها كذلك! لقد كسرتُ قَيدي وخرجت بهدوء منذ بعض الوقت، ولكن آدي لم تكسر قيدها إلاّ في هذا الصيف، وقد صدمه ذلك وشطر عالمه نصفين. والنتيجة: روبي كين.

ثم غنّى دون أن يكبحه شيء: «ولكنها في قبرها... وآه، يا للفارق بالنسبة إليّ»!

فكّر السير هنري بأنه لم يكن من المُستغرَب أن يكون مارك غاسكيل موضع شكوك الشرطة.



الفصل الثالث عشر

-١-

كان الدكتور ميتكالف أحد الأطباء المشهورين في ديناموث. لم يكن ذا أسلوب استبدادي مع مرضاه، ولكن كان لوجوده في غرفة المرضى تأثير مُفرح. وكان في منتصف عمره وذا صوت عذب تماماً. وقد استمع باهتمام إلى كبير المفتشين هاربر وأجاب على أسئلته بدقة مهذبة.

قال هاربر: أيمكنني القول إذن إن ما قالته لي السيدة جفرسُن كان صحيحاً إلى حد بعيد؟

- نعم، إن صحة السيد جفرسن في حالة غير مستقرة، فقد عامل الرجل نفسه لعدة سنوات بشكل لا يرحم، وفي إصراره على العيش كالآخرين عاش الرجل وفق إيقاع أسرع وأشد مما هو طبيعي بالنسبة لرجل في مثل سنه. لقد رفض الخلود إلى الراحة أو أخذ الأمور باليسر والهدوء أو بالتؤدة والتمهل... إلى آخر هذه العبارات التي حاولت أنا وغيري من مستشاريه الطبيين أن نقنعه بها. والنتيجة أن الرجل صار أشبه بآلة يُبالَغ في تشغيلها؛ فالقلب وضغط الدم والرئتان... كل

ذلك مُجهَد ويتحمل فوق طاقته.

- أتقول إن السيد جفرسن رفض الإصغاء بأي شكل؟

- نعم، هذا صحيح، والحقيقة أنني لا ألومه كثيراً. وهذا أمر لا أقوله عادة لمرضاي أيها المفتش، غير أن المرء يمكن أن يبلى من فرط الجهد كما يمكن أن يصدأ أيضاً من قلة الحركة. والكثير من زملائي يفضّلون الحركة والجهد، وصدِّقني إن قلت لك إنه ليس بالخيار السيّئ، ففي منطقة مثل دينماوث يرى المرء كل الأشياء الأخرى: مقعَدين متشبّثين بالحياة يخافون بذل أي جهد بسيط، يرعبهم استنشاق هبّة ريح باردة أو التعرض لجرثومة عابرة أو تناول وجبة غير مدروسة!

قال كبير المفتشين هاربر: أحسب ذلك صحيحاً. الأمر إذن على هذا النحو: كونوي جفرسُن قوي تماماً من الناحية الجسمية، أعني من الناحية العضلية. بالمناسبة، ما الذي يمكنه فعله بالضبط من الناحية الجسدية؟

- إن لديه قوة هائلة في ذراعيه وكتفيه. لقد كان رجلاً قوياً قبل الحادثة، وهو ماهر جداً في التعامل مع كرسيه المتحرك، ويمكنه بمساعدة العكازين أن يحرك نفسه في الغرفة، من السرير إلى الكرسي مثلاً.

- أليس ممكناً لرجل مصاب كإصابة السيد جفرسن أن يُركّب ساقين صناعيتين؟

- هذا غير ممكن في حالته، فلديه إصابة في العمود الفقري.

- فهمت. دعني ألخّص ما توصلنا إليه ثانية: الرجل قوي لائق بالمعنى العضلي، وهو يشعر بأنه على ما يرام؟

أومأ ميتكالف برأسه موافقاً، فيما مضى كبير المفتشين قائلاً: غير أن قلبه في حالة سيئة، ومن شأن أي مبالغة في الجهد أو التعب أو حدوث صدمة أو حالة رعب أن تقتله، أليس كذلك؟

- تقريباً. إن الجهد المبالَغ فيه يقتله ببطء، لأنه لا يكفّ عن جهوده عندما يشعر بالتعب، وهذا يزيد من سوء حالته القلبية. من غير المحتمَل أن يقتله الجهد فجأة، غير أن من شأن صدمة أو حالة خوف مفاجئة أن تقتله، ولذلك فقد حذّرتُ عائلته بصراحة.

قال كبير المفتشين هاربر ببطء: ولكن الحقيقة الواقعة أن الصدمة لم تؤدّ إلى قتله. أعني أنه ما كان ليتعرض لصدمة أسوأ مما حدث، ومع ذلك ما يزال حياً يُرزَق.

رفع الدكتور ميتكالف كتفيه حيرة وقال: أعرف ذلك، ولكن لو كانت لديك تجربتي أيها المفتش لعلمتَ استحالة التنبؤ اعتماداً على ماضي المريض، فأولئك الذين يجب أن يموتوا من التعرض للصدمات لا يموتون منها دائماً. إن الجسد البشري أقوى مما يتخيله المرء، وفوق ذلك فإن تجربتي تشير إلى أن الصدمة الحسية عادة ما تكون أشد فتكاً من الصدمة العقلية. وبعبارة أوضح، فإن من شأن قرع مفاجئ على الباب أن يكون سبباً أرجح لقتل السيد جفرسن من اكتشافه أن فتاة كان يحبها قد توفيت في ظروف فظيعة جداً.

- عجباً. ما السبب في ذلك؟

- إن الإبلاغ عن خبر سيئ غالباً ما يثير ردّ فعل دفاعياً، فهو يخدّر المتلقّي بحيث لا يستطيع استيعابه في البداية، ويستغرق الإدراك الكامل للأمر بعض الوقت. غير أن قرعاً مفاجئاً على الباب أو قفز شخص فجأة من خزانة أو انقضاض سيارة فجأة وأنت تعبر الشارع... كل هذه أشياء ذات مفعول فوري مفاجئ، حيث يجفل القلب رعباً.

قال كبير المفتشين هاربر ببطء: غير أن ما يعرفه الجميع هو أن وفاة السيد جفرسُن كان يمكن أن تحدث بسبب صدمة وفاة الفتاة، أليس كذلك؟

- آه، بلى.

ثم نظر الطبيب بفضول إلى زميله وقال: لا أحسبك تظن أن...

قاطعه كبير المفتشين بنفاد صبر قائلاً: لا أعرف ما الذي أظنه.

-٢-

بعد ذلك بقليل قال كبير المفتشين للسير هنري كليذرنغ: غير أنك يجب أن تعترف -يا سيدي- بأن هذين الأمرين ينسجمان تماماً معاً، فهذا أشبه بضرب عصفورين بحجر واحد. أولاً التخلص من الفتاة، ثم حقيقة أن وفاتها ستقتل

السيد جفرسن أيضاً قبل أن تتاح له فرصة تغيير وصيته.

- أتظن أنه كان سيغيرها؟

- أنت أعلم مني بذلك يا سيدي. ما رأيك؟

- لا أدري. قبل أن تظهر روبي على مسرح الأحداث علمت أنه كان قد قسم تركته بين مارك غاسكيل والسيدة جفرسن، ولا أرى لماذا يمكن أن يغير رأيه الآن. غير أنه قد يغير رأيه طبعاً، يمكن أن يترك ثروته لملجأ للقطط أو لأي جهة قد تخطر بباله!

وافقه كبير المفتشين قائلاً: لا يمكنك الجزم بما يمكن لرجل أن يقرر، لا سيما عندما لا يكون لديه أي التزام أخلاقي في مسألة توزيع ثروته، فلا وجود لقرابة دم في هذه الحالة.

قال السير هنري: إنه مولع بالفتى، بالصغير بيتر.

- أتظنه يرى فيه حفيداً؟ من شأنك أن تعرف ذلك أكثر مني.

قال السير هنري ببطء: لا، لا أظن ذلك.

هناك شيء آخر أود سؤالك عنه يا سيدي، وهو شيء لا أستطيع الحكم عليه بمفردي، لكن ربما كنت أنت تعرف. أودّ أن أعرف إلى أي مدى بالضبط يحبّ السيد جفرسن كلاً من زوج ابنته وزوجة ابنه؟

قطب السير هنري جبينه وقال: لستُ واثقاً من أنني فهمت سؤالك أيها المفتش.

- حسناً يا سيدي، دعني أطرحه بهذه الطريقة: ما مدى تعلقه بهما كشخصين، بغض النظر عن قرابته بهما؟

- آه، فهمت ما تعنيه.

- نعم يا سيدي. لا يشكّ أحدٌ في أنه كان شديد التعلق بهما معاً، وبرأيي أنه كان متعلقاً بهما لأنهما كانا صهره وكنّته. ولكن ماذا لو تزوج أحدهما من جديد؟

فكر السير هنري ثم قال: أنت تطرح نقطة مثيرة للاهتمام هنا. لا أدري، إنني أميل إلى الظن (وهذا مجرد رأي) بأن من شأن ذلك أن يغيّر موقفه كثيراً. كان من شأنه أن يتمنى لهما التوفيق وأن لا يحمل ضغينة ضدهما، غير أني أحسب أنه ما كان ليهتم لحالهما كثيراً بعد ذلك.

- في كلا الحالتين؟

- أظن ذلك، نعم. الأمر شبه مؤكد في حالة السيد غاسكيل، وأظن أن ذلك ينطبق على السيدة جفرسن أيضاً، غير أني لستُ متيقّناً من ذلك بالدرجة نفسها، فربما كان يحبها لشخصها.

قال كبير المفتشين بتعقل: ربما كان هذا صحيحاً، فمن الأسهل عليه أن ينظر إليها بمثابة ابنة من أن ينظر إلى السيد غاسكيل كابن. ولعل لجنس المرء صلة بذلك؛ فالنساء يتقبلن الصهر كفرد من العائلة بكل سهولة، غير أن من النادر أن تنظر امرأة إلى زوجة ابنها كابنة لها.

ثم مضى كبير المفتشين قائلاً: هل لك أن نمشي في هذا الطريق يا سيدي، إلى ملعب التنس؟ إنني أرى الآنسة ماربل جالسة هناك، وأريد أن أطلب منها أن تفعل شيئاً من أجلي. الحقيقة أنني أريد إشراككما كليكما في هذا الأمر.

- ماذا تعني أيها المفتش؟

- أريد منكما الحصول على أمور لا يمكنني الحصول عليها بنفسي. أريدك أن تسبر غَوْر إدوارد نيابة عني يا سيدي.

- إدوارد؟ ما الذي تريده منه؟

- كل ما يمكن أن يخطر ببالك، كل ما يعرفه وما يعتقده. عن العلاقات بين مختلف أفراد العائلة، ووجهة نظره فيما يخص قضية روبي كين، والأمور الداخلية... إنه يعرف التفصيلات أفضل من أي شخص آخر، يمكنك المراهنة على ذلك. وهو لا يمكن أن يخبرني أنا، ولكنه سيخبرك أنت. ويمكن أن يظهر شيء جديد من ذلك، هذا إذا لم يكن لديك مانع طبعاً.

قال السير هنري متجهماً: لا اعتراض لديّ. لقد أُرسل في طلبي على عَجَل للوصول إلى الحقيقة، وأنا أنوي بذل قُصارى جهدي.

ثم أضاف قائلاً: وكيف تريد من الآنسة ماربل أن تساعدك؟

- أريد مساعدتها مع بعض البنات، بعض البنات الكشّافات. لقد حصرنا خمساً أو ستاً منهن ممن كنّ على

صداقة وطيدة مع باميلا ريفز، ويمكن أن يكنّ على علم بشيء. لقد كنتُ أفكر بأمر ما. يبدو لي أن تلك الفتاة لو كانت ذاهبة حقاً إلى متجر وولورث لكانت حاولت إقناع إحدى صاحباتها بالذهاب معها، فعادة ما تفضّل الفتاة التسوق مع صديقة أخرى.

- نعم، أظن ذلك صحيحاً.

- ولذلك أرى أن من الممكن أن وولورث كان مجرد حجة. أريد أن أعرف أين كانت الفتاة ذاهبة حقاً. ربما بدرت منها سقطة لسان، وإن كان الأمر كذلك فإني أرى أن الآنسة ماربل هي خير من يمكنه استخراج ذلك من أولئك الفتيات، فرأيي أنها تعرف الكثير عن طبائع الفتيات، تعرف ذلك أكثر مني. وفوق ذلك فإن من شأنهن أن يخفن من الشرطة.

- يبدو لي أن هذه مسألة أقرب إلى المسائل القروية المحلية التي تخصصت بها الآنسة ماربل، وهي ذكية جداً كما تعلم.

ابتسم كبير المفتشين وقال: معك حق في ذلك، فهي لا يفوتها الكثير.

رفعت الآنسة ماربل نظرها حين وصلا إليها ورحّبت بهما بلهفة، ثم استمعت إلى طلب كبير المفتشين ووافقت على الفور قائلة: أود كثيراً أن أساعدك يا حضرة المفتش، وأحسب أنني قد أكون مفيدة بعض الشيء بسبب اهتمامي بدار الأيتام القريبة (وأنا عضوة في لجنتها كما تعلم) ومعرفتي بمرشدات الكشافة،

وهناك أيضاً الخادمات، وعادة ما أستخدم خادمات صغيرات جداً... نعم، إن لديّ الكثير من الخبرة في معرفة متى تقول الفتاة الحقيقة ومتى تخفي شيئاً.

قال السير هنري: الحقيقة أنك خبيرة.

رمته الآنسة ماربل بنظرة تأنيب وقالت: آه، أرجوك لا تسخر مني يا سير هنري.

- ما كنتُ لأحلم بالسخرية منك، بل أنت من ضحكتِ لسذاجتي في كثير من المرات.

تمتمت الآنسة ماربل بنبرة تفسيرية: إن المرء يرى في القرى الكثير من الشرّ.

قال السير هنري: بالمناسبة، لقد اتضحت لديّ إحدى النقاط التي سألتِني عنها، فقد أبلغني كبير المفتشين بأنه كانت هناك قصاصات أظافر في صندوق نفايات روبي.

قالت الآنسة ماربل متأملة: أكانت هناك حقاً؟ هذا إذن...

سألها كبير المفتشين: لماذا أردتِ معرفة ذلك يا آنسة ماربل؟

- لقد كان ذلك أحد الأمور التي بدت غير مفهومة عندما نظرتُ إلى الجثة. بدت لي الكفّان في وضع غير مفهوم بعض الشيء، ولم أستطع في البداية معرفة السبب، ثم أدركتُ أن الفتيات اللاتي يبالغنَ في زينتهنّ عادة ما تكون أظافرهن طويلة. إنني أعرف طبعاً أن بعض الفتيات يقرضن أظافرهن بأسنانهن

طوال الوقت. هذه واحدة من العادات التي يصعب على المرء التخلص منها، وقد افترضتُ أن هذه الفتاة لم تعالج عادتها تلك. ثم جاء الفتى الصغير بيتر، الذي قال شيئاً يوحي بأن أظافرها كانت طويلة بالفعل غير أن واحداً منها علق بشيء وانكسر، ولعلها اضطرت وقتها إلى قص بقية الأظافر لتظهر متساوية، ولذلك سألتُ عن قصاصات الأظافر، وقال السير هنري إنه وجد الجواب.

علق السير هنري قائلاً: لقد قلتِ قبل قليل إن ذلك كان أحد الأمور التي بدت شاذة عندما نظرتِ إلى الجثة. هل بدت أمور أخرى كذلك؟

أومأت الآنسة ماربل برأسها موافقة بقوة وقالت: نعم، بالتأكيد. كان هناك الثوب... الثوب كله كان غير طبيعي.

نظر الرجلان إليها بفضول، وقال السير هنري: لماذا؟

- حسناً، لقد كان ثوباً قديماً. جوزي قالت ذلك، وكان بوسعي أن أرى بنفسي أنه كان مُهَلهلاً شبه مهترئ، وهذا غير طبيعي.

- لا أفهم لماذا يكون غير طبيعي.

احمرّ وجه الآنسة ماربل قليلاً وقالت: ألم تكن الفكرة أن روبي قد بدّلت ثوبها وخرجت لمقابلة شخص يُفترَض أنها مهتمّة به؟

التمعت عينا كبير المفتشين قليلاً وقال: هذا هو المفترَض.

لقد كانت على موعد مع شخص ما... مع صديق كما يسمّونه اليوم.

تساءلت الآنسة ماربل: لماذا كانت ترتدي ثوباً قديماً إذن؟

حكّ كبير المفتشين رأسَه متأملاً ثم قال: إنني أفهم ما ترمين إليه. أنت ترين أنها كان يُفترَض أن تلبس ثوباً جديداً، أليس كذلك؟

- أظن أنها كانت سترتدي أفضل أثوابها، فهذا ما تفعله الفتيات.

تدخل السير هنري قائلاً: نعم، ولكن اسمحي لي يا آنسة ماربل. لنفترض أنها كانت خارجة لهذا الموعد، وأنها ربما تذهب في سيارة مكشوفة أو تمشي في أرض وعرة، ربما ما كانت لترغب في إفساد ثوب جديد أنيق بل ستفضّل ارتداء ثوب قديم.

وافقه كبير المفتشين قائلاً: كان من شأن ذلك أن يكون التصرف المعقول.

التفتت إليه الآنسة ماربل وتحدثت بحيوية قائلة: التصرف المعقول هو أن ترتدي بنطالاً وقميصاً أو سترة صوفية. هذا بالطبع ما كان من شأن فتاة من... من طبقتنا أن تفعله. إنني لا أريد أن أبدو كالمتبجّحة بطبقتها الاجتماعية، غير أن بعض الأمور لا مَناص عنها أحياناً.

ثم مضت تقول وهي تزداد حماسة للموضوع: إن من شأن فتاة ذات أصول وتهذيب أن تدقق كثيراً في ارتداء الملابس اللائقة لكل مناسبة، أعني أنها لا يمكن أن تخرج إلى موعد مع شاب وهي ترتدي ثوباً حريرياً خفيفاً عليه نقشات الورود، مهما كانت حرارة ذلك اليوم.

سألها السير هنري: وما هو الثوب المناسب في مثل هذه المناسبة إذن؟

- إذا كانت ستقابله داخل الفندق أو في مكان يمكن فيه ارتداء ملابس السهرة فإنها سترتدي أفضل ثوب سهرة لديها، ولكن إن كان موعدها في الخارج فسوف تشعر بأنها ستبدو سخيفة في ثوب السهرة وستحاول ارتداء أجمل ما لديها من ملابس خفيفة.

- صدّقنا واقتنعنا يا ملكة الأزياء، غير أن روبي...

قاطعته الآنسة ماربل قائلة: إن روبي لم تكن طبعاً، ولنقلها صراحة، لم تكن فتاة راقية. كانت تنتمي إلى تلك الطبقة التي ترتدي أفضل ما لديها من ملابس مهما كان ذلك مستهجَناً في الموقف أو في المناسبة التي تواجهها. في العام الماضي خرجنا في نزهة إلى منطقة الصخور في سكرانتور، ولعلكما تُدهَشان لو رأيتما الملابس المستهجَنة التي ارتدتها الفتيات: أثواب وأحذية ذات ماركات شهيرة وقبعات فاخرة، وكل ذلك لتسلق الصخور والسعي بين الأشواك في الحقول... وكان الشبّان في أفضل بدلاتهم أيضاً!

قال كبير المفتشين ببطء: وأنت، ماذا ترين بالنسبة لروبي كين؟

- أرى أنه كان من شأنها أن تبقى مرتدية الثوب الذي كانت ترتديه، أفضل أثوابها الوردية. ما كانت لتبدّله إلا لو كان لديها ثوب آخر أفضل منه.

- وما هو تفسيرك لذلك يا آنسة ماربل؟

- لا تفسير عندي حتى الآن، ولكني لا أملك إلاّ الشعور بأنه أمر مهم.

-٣-

كان درس التنس الذي يعطيه ريموند ستار في داخل الملعب المسوَّر بالأسلاك قد أشرف على نهايته. أطلقت امرأة بدينة في أواسط عمرها بعضاً من صيحات الاستحسان، ثم أخذت سترة صوفية زرقاء وانطلقت باتجاه الفندق.

أطراها ريموند ببعض الكلمات المرحة، ثم استدار نحو المقعد الذي يجلس عليه المشاهدون الثلاثة. وتدلت الكرات في شبكة في يده فيما كان مضربه تحت إبطه، وقد اختفى التعبير المرح الضاحك عن وجهه كأنك مسحته بإسفنجة مسحاً عن اللوح!

بدا متعباً قلقاً، وقال وهو يقترب منهم: لقد انتهينا.

ثم أشرقت الابتسامة مجدداً، تلك الابتسامة الصبيانية

الساحرة المعبّرة التي تنسجم كل الانسجام مع وجهه الذي لوّحته الشمس وقوامه اللدن الأسمر.

وجد السير هنري نفسه متسائلاً عن عمر الرجل. أهو في الخامسة والعشرين، أم في الثلاثين، أم في الخامسة والثلاثين؟ كان من المستحيل الجزم.

قال ريموند وهو يهز رأسه قليلاً: لن يكون بوسعها أن تلعب أبداً.

قالت الآنسة ماربل: لا بد أن يكون هذا كله أمراً مملاً جداً بالنسبة لك.

قال ريموند ببساطة: إنه كذلك أحياناً، ولا سيما عند نهاية الصيف. إن الأجور ترفع من معنويات المرء لفترة، ولكن حتى ذلك يفشل في تحفيز الخيال في نهاية الأمر!

نهض كبير المفتشين هاربر وقال فجأة: سأمر بك بعد نصف ساعة يا آنسة ماربل إن كان هذا يناسبك؟

- إنه يناسبني تماماً، أشكرك. سأكون جاهزة.

انطلق هاربر، ووقف ريموند ينظر إليه ثم قال: هل تمانعان إن جلستُ قليلاً؟

قال السير هنري: تفضل واجلس.

ثم فكّر متسائلاً: لماذا يحس بشيء من التحيز ضد ريموند ستار؟ أكان ذلك فقط لأنه مدرّب تنس وراقص محترف؟ وقرر السير هنري أن الإنكليز لا يثقون بأي رجل يرقص جيداً! إن

هذا الشاب يتنقل برشاقة بالغة. رامون، ريموند... ماذا كان اسمه؟ ثم فجأة طرح السؤال.

بدا السرور على الرجل الآخر وقال: كان اسمي الاحترافي الأصلي هو رامون؛ ثنائي رامون وجوزي. في هذا الاسم رنّة إسبانية كما تعلمان. ثم ظهر شيء من التحيز ضد الأجانب، ولذلك أصبحتُ ريموند، وهو اسم إنكليزي صميم.

قالت الآنسة ماربل: وهل اسمك الحقيقي مختلف؟

ابتسم لها وقال: الواقع أن اسمي الحقيقي هو رامون، فقد كانت لي جدة أرجنتينية، ولكن اسمي الأول هو توماس، وهو اسم يخلو من أية شاعرية.

ثم استدار إلى السير هنري وقال: أنت من منطقة ديفونشاير يا سيدي، أليس كذلك؟ من ستاين؟ لقد كانت عائلتي تعيش هناك، في ألزمونستُن.

أشرق وجه السير هنري وقال: أأنت واحد من عائلة ستار التي كانت تعيش في ألزمونستُن؟ لم أدرك ذلك.

- نعم، ما أحسبك كنت ستدركه.

كان في صوته شيء من المرارة، وقال السير هنري بارتباك: حظ سيِّئ... أن يجري كل ذلك.

- أتعني بيع البيت بعد أن ظلت العائلة تتوارثه لثلاثمئة سنة؟ نعم، كان ذلك حظاً سيئاً بعض الشيء. ومع ذلك، أحسب أنه يتعين علينا أن نستمر. لقد عشنا طويلاً حتى نفدت

فائدتنا. أخي الأكبر هاجر إلى نيويورك وهو يعمل في مجال النشر، وقد حالفه التوفيق، وبقيتنا تبعثرت في أنحاء الأرض. أرى أن من الصعب على المرء أن يحصل على عمل في هذه الأيام عندما لا يكون لديك ما تقوله عن نفسك باستثناء أنك تلقيت تعليماً حكومياً! إذا كنتَ محظوظاً فإنك تحصل أحياناً على وظيفة موظف استقبال في فندق، وهناك تصبح ربطة العنق واللباقة عاملاً مهماً. الوظيفة الوحيدة التي استطعت الحصول عليها كانت بائع صالة في مؤسسة للمواد الصحية تبيع مواد حمام فاخرة من البورسلان ذات ألوان زاهية. كانت صالة هائلة، ولكن بما أنني لم أكن أعرف أسعار تلك البضائع البائسة ولا متى يمكننا توصيلها فقد طُردتُ من العمل. الأمران الوحيدان اللذان كان بوسعي القيام بهما هما الرقص ولعب التنس، وقد استأجرني فندق في الريفييرا. كان الدخل جيداً هناك وأحسب أنني كنتُ أعمل بشكل جيد، ثم تناهى إليّ حديث ضابط عجوز من النوع التقليدي البحت. كان عجوزاً جداً وإنكليزياً حتى النخاع، ولا يفتأ يتحدث عن خدمته في بونا الهندية. ذهب إلى المدير ونادى بأعلى صوته: "أين راقصكم؟ أريد راقصكم. إن زوجتي وابنتي تريدان مشاهدة الرقص، فأين الفتى؟ ما الذي يفعله هنا إذن؟ أريد ذلك الراقص". كان من السخف أن أهتم لذلك ولكني انزعجت، فقدمت استقالتي وجئت إلى هنا. الراتب هنا أقل ولكن جو العمل أفضل. أغلب عملي هو تقديم دروس في التنس لنساء بدينات لن يستطعن ممارسة اللعبة أبداً، بالإضافة إلى الرقص في الفندق بالطبع. آه، حسناً، هذه هي الحياة. اعذراني على قصة سوء الطالع اليوم!

ثم ضحك والتمعت أسنانه البيضاء وتجعدت زوايا عينيه، وبدا فجأة وافر الصحة سعيداً مليئاً بالحيوية.

قال السير هنري: إنني سعيد بذلك، فقد كنتُ أريد الحديث معك.

- أتعني الحديث بشأن روبي كين؟ لن أستطيع مساعدتك، فأنا لا أعرف من قتلها ولم أكن أعرف عنها سوى القليل. لم تكن تفضي إليّ بأسرارها.

سألته الآنسة ماربل: هل كانت تروق لك؟

- لم تَرُق لي بشكل خاص، لكنني لم أكرهها أيضاً.

كان صوته يَشي بعدم الاهتمام. قال السير هنري: ليس لديك إذن مقترحات تقدّمها؟

- أخشى أن لا يكون لدي، ولو كانت لديّ لقلتها لكبير المفتشين هاربر. يبدو لي أنها كانت واحدة من تلك الأمور، جريمة قذرة تافهة بلا دوافع.

قالت الآنسة ماربل: يوجد شخصان لديهما دافع.

نظر إليها السير هنري بحدّة، وقال ريموند وقد بدا مدهوشاً: حقاً؟

نظرت الآنسة ماربل بإصرار إلى السير هنري، فقال بشيء من التردد: ربما استفاد من موتها كلٌّ من السيدة جفرسن والسيد غاسكيل بمبلغ خمسين ألف جنيه.

صاح ريموند وقد بدا أنه جفل حقاً، بل انزعج: ماذا؟ آه، ولكن يا لسخافة هذا الأمر. هذا سخيف جداً! السيدة جفرسن؟ لا أحد منهما يمكن أن تكون له علاقة بالأمر. من غير المعقول التفكير بمثل هذا الأمر.

تنحنحت الآنسة ماربل وقالت بلطف: أخشى أن تكون مثالياً بعض الشيء.

ضحك وقال: أنا؟ أبداً. إنني ممّن عركوا الحياة فلا ينخدعون بالناس.

قالت الآنسة ماربل: إن المال دافع قوي جداً.

قال ريموند بحماسة: ربما، ولكن أن يعمد أي من هذين الشخصين إلى خنق فتاة بدم بارد...

هز رأسه مشككاً، ثم نهض قائلاً: ها هي السيدة جفرسن جاءت لتأخذ درسها. لقد تأخّرَت، تأخرت خمس دقائق!

بدا صوته مسروراً. وكانت أديليد جفرسُن وهوغو ماكلين يمشيان بسرعة قاطعَين الممر إليهم، وباعتذار باسم لتأخّرها ذهبت أديليد جفرسن إلى الملعب، فيما جلس ماكلين على المقعد. وبعد استفهام مؤدّب عما إذا كانت الآنسة ماربل تمانع في تدخينه الغليون أشعل غليونه ونفخ دخانه لبضع دقائق صامتاً يراقب بعين ناقدة اللاعبَين في الملعب، وأخيراً قال: لا أفهم لماذا تحتاج آدي إلى دروس. ربما فهم المرء رغبة الإنسان في ممارسة اللعبة بين الحين والآخر، فلا أحد يستمتع بها كما أستمتع أنا. ولكن لماذا الدروس؟

قال السير هنري: إنها تريد تحسين لعبها.

- ولكنها ليست لاعبة سيئة، فهي ماهرة تماماً في كل الأحوال. تباً، إنها لا تنوي المشاركة في دورة ويمبلدون للتنس!

سكت لبرهة ثم قال: من هو هذا الرجل، ريموند؟ من أين هم هؤلاء الرياضيون؟ يبدو لي وكأنه من الشعوب اللاتينية.

قال السير هنري: إنه أحد أفراد عائلة ستار من أهل ديفونشاير.

- ماذا؟ لا أحسبك جاداً؟

أومأ السير هنري برأسه بالإيجاب، وبدا واضحاً أن هذا الخبر لم يكن مفرحاً لهوغو ماكلين، فقد تجهّم وجهه أكثر من أي وقت مضى وقال: لا أدري لماذا أرسلت آدي في طلبي. لا يبدو أن شعرة من شعراتها اهتزّت لهذا الأمر، فهي لم تكن أفضل حالاً مما هي عليه الآن. فلماذا ترسل في طلبي؟

سأل السير هنري بشيء من الفضول: متى أرسلت في طلبك؟

- آه، متى؟ نعم، عندما حدث كل ذلك.

- وكيف سمعتَ بالأمر؟ بالهاتف أم برقياً؟

- برقياً.

- اسمح لي أن أسألك من باب الفضول: متى تم إرسالها؟

- لا أعرف بالضبط.

- متى تسلّمْتَها؟

- أنا لم أتسلمها تماماً، فقد نُقلت إليّ بالهاتف في الحقيقة.

- لماذا؟ أين كنت؟

- الحقيقة أنني كنتُ قد تركت لندن عصر اليوم السابق، وكنت أقيم في دينبري هيد.

- ماذا؟ قريباً تماماً من هنا!

- نعم، وقد كان الأمر غريباً، أليس كذلك؟ تلقيت الرسالة عندما عدت من لعبة غولف فجئت إلى هنا على الفور.

حدقت الآنسة ماربل إليه متأملة، وبدا هو مرتبكاً غير مرتاح. قالت: سمعت أن الوضع لطيف جداً في دينبري هيد، وليس المكان باهظ التكاليف.

- نعم، ليس باهظ التكاليف. لو كان كذلك لما استطعت الإقامة فيه. إنه مكان صغير جميل.

قالت الآنسة ماربل: يجب أن نذهب إلى هناك ذات يوم.

- ماذا؟ آه، نعم.

ثم نهض واقفاً وقال: من الأفضل أن أقوم ببعض التمارين، فأنا أحس برغبة في ذلك.

ثم ابتعد يمشي مشدود القامة، فقال السير هنري: إن النساء يعاملن المعجَبين المولعين بهنّ بشكل سيئ جداً.

ابتسمت الآنسة ماربل ولكنها لم تجب. سألها السير هنري: هل وجدتِهِ شخصاً مملاً؟ بودي لو أعرف.

- ربما كان محدوداً في أفكاره، ولكني أرى أنه يملك الفرصة. آه، فرصة إيجابية بالتأكيد.

نهض السير هنري بدوره قائلاً: لقد حان وقت ذهابي للقيام بدوري، وها أنا أرى السيدة بانتري قادمة لكي تبقى برفقتك.

-٤-

وصلت السيدة بانتري لاهثة وجلست فتنهدت ثم قالت: كنتُ أتحدث مع خادمات الغرف، ولكن ما من فائدة. لم أعثر على أي شيء إضافي! أتظنين أن تلك الفتاة كان بوسعها أن تقيم علاقة مع أحدهم دون أن يعرف أحد في الفندق شيئاً عن تلك العلاقة؟

قالت الآنسة ماربل: هذه نقطة مهمة يا عزيزتي. رأيي أنها ما كانت لتستطيع ذلك بالتأكيد. إذا كان الأمر صحيحاً فلا بد أن أحدهم يعرف، كوني على ثقة من ذلك.

كان انتباه السيدة بانتري قد انصرف إلى ملعب التنس، قالت باستحسان: إن لعب أديليد يتحسّن كثيراً. إن ذلك المدرب

الرياضي وسيم حقاً، وتبدو أديليد جميلة تماماً، ما تزال تحافظ على جمالها. ما كنت لأستغرب أبداً لو أنها تزوجت ثانية.

- كما أنها ستكون امرأة غنية عندما يموت السيد جفرسن.

- آه، لا يكن تفكيرك سيئاً هكذا على الدوام يا جين! لماذا لم تَحُلّي هذا اللغز حتى الآن؟ لا يبدو أننا نتقدم في حلّه أبداً. لقد ظننتُ أنك ستعرفين الحقيقة فوراً.

كان في صوت السيدة بانتري شيء من التأنيب، فقالت الآنسة ماربل: لا، لا يا عزيزتي. إنني لم أعرف فوراً، لم أعرف إلاّ بعد مضي بعض الوقت.

التفتت السيدة بانتري إليها مذهولة تنظر إليها بعينين يملؤهما عدم التصديق، وقالت: **أتعنين انك تعرفين الآن من قتل روبي كين؟**

- آه، نعم، ذلك أعرفه.

- ولكن من هو يا جين؟ أخبريني فوراً.

هزت الآنسة ماربل رأسها بحزم وزمّت شفتيها قائلة: أنا آسفة يا دولي، ولكن هذا لن يكون مناسباً أبداً.

- لماذا لا يكون مناسباً؟

- لأنك لا تكادين تحفظين سراً. ستدورين وتخبرين كل الناس، وإن لم تخبريهم فسوف تلمّحين إلى الأمر.

- لا، لن أفعل؛ لن أخبر أحداً أبداً.

- إن الذين يستخدمون هذه العبارة هم عادة آخر من يلتزم بها. لا خير في ذلك يا عزيزتي، فلم تزل الطريق طويلة بعد، والكثير من الأمور ما زالت غامضة تماماً. أتذكرين عندما عارضتُ بشدة جمع السيدة بارتردج للتبرعات للصليب الأحمر ولم أستطع قول السبب؟ كان السبب أنها كانت تسيء الأمانة بنفس الطريقة التي كانت خادمتي أليس تسيء بها الأمانة عندما أرسلها لدفع الحسابات، فقد كانت تدفعها دوماً ناقصةً شلناً أو اثنين وتقول: "يمكن ترحيل ذلك لحساب الأسبوع التالي"، وهو طبعاً ما كانت تقوم به السيدة بارتردج تماماً ولكن على نطاق أوسع، إذ بلغ ما اختلسته خمسة وسبعين جنيهاً!

- لا عليك من السيدة بارتردج.

- ولكني اضطررتُ لأن أشرح لك. يمكنني أن أعطيك تلميحاً إن أردتِ. إن المشكلة في هذه القضية هي أن الجميع كانوا في غاية السذاجة والتصديق. لا يمكنك ببساطة أن تصدقي كل ما يخبرك به الناس، وعندما يكون ثمة ما يثير الريبة فأنا لا أصدق أحداً أبداً! إنني أعرف النفس البشرية تمام المعرفة.

بقيت السيدة بانتري صامتة لبرهة، ثم قالت بنبرة مختلفة: لقد أخبرتك أنني لا أرى سبباً يمنعني من الاستمتاع بهذه القضية. جريمة قتل حقيقية في بيتي، وهي من الأمور التي لا تحدث ثانية أبداً.

- آمل أن لا تحدث ثانية.

- وأنا آمل ذلك أيضاً، فمرة واحدة تكفي. ولكنها جريمتي أنا يا جين، وأريد أن أمتِّع نفسي بها.

رمتها الآنسة ماربل بنظرة، فقالت السيدة بانتري مهاجمة: ألا تصدقين ذلك؟

أجابت الآنسة ماربل بعذوبة: طبعاً يا دولي، إذا كان هذا ما تقولينه.

- نعم، ولكنك لا تصدقين أبداً ما يقوله الناس، أليس كذلك؟ لقد قلتِ ذلك للتوّ. حسناً، أنت محقة تماماً.

اكتسب صوت السيدة بانتري نبرة مريرة مفاجئة وقالت: أنا لست مغفلة تماماً. قد تظنين يا جين أنني لا أعرف ما يقوله الناس في أرجاء سينت ميري ميد، بل في كل البلد! إنهم يقولون جميعاً إنه ما من دخان بلا نار، وإن الفتاة إن وُجدت في مكتبة آرثر فلا بد أن يعرف آرثر شيئاً عن الأمر. إنهم يقولون إن الفتاة كانت صاحبة آرثر، أو إنها كانت ابنته غير الشرعية وإنها كانت تبتزه! إنهم يقولون كل ما يخطر في رؤوسهم الفاسدة، وسوف يستمر الأمر كذلك. لن يدرك آرثر القضية في البداية، لن يعرف ما هي العلة. إنه عجوز مغفّل لن يصدق -لطيبته- أن الناس يمكن أن يفكروا بمثل هذه الأشياء عنه. ستغرق رجلاه بالماء وهو يتأمل النجوم (كائناً ما كان معنى هذه العبارة)! وسوف تتكشف له الحقيقة شيئاً فشيئاً، وسيشعر فجأة بالرعب وتقلق القضية روحه، ثم سيتحامل على نفسه ويكتفي بالتحمل يوماً بعد يوم في شقاء مقيم. وبسبب كل ما سيحدث له جئتُ أنا إلى هنا لأحاول استخراج أي شيء أستطيع اكتشافه حول هذا

الأمر. يجب أن تُحَلّ جريمة القتل هذه، لأنها إن لم تُحَلّ فإن حياة آرثر كلها ستكون حطاماً. ولن أدع ذلك يحدث، لن أدعه يحدث أبداً، أبداً!

توقفت للحظات ثم قالت: لن أترك العجوز الطيب العزيز يعيش جحيماً لشيء لم يفعله. هذا هو السبب الوحيد الذي جعلني آتي إلى ديناموث وأتركه وحده في البيت... لكي أكتشف الحقيقة.

- أعرف يا عزيزتي، ولهذا أنا هنا أيضاً.



الفصل الرابع عشر

-١-

في غرفة فندق هادئة كان إدوارد يصغي باحترام إلى السير هنري كليذرنغ.

- توجد أسئلة معينة أريد طرحها عليك يا إدوارد، ولكني أريدك أولاً أن تفهم بكل وضوح موقفي هنا. لقد كنت ذات يوم مفوّض شرطة في سكوتلنديارد، وأنا الآن متقاعد أعيش حياتي الخاصة، وقد أرسل سيّدك في طلبي عندما حدثت هذه المأساة وتوسل إليّ لأستخدم مهارتي وخبرتي لكشف الحقيقة.

توقف السير هنري لحظة، ومال إدوارد برأسه وعيناه الذكيتان تنظران إلى وجه محدِّثه، ثم قال: تماماً يا سير هنري.

مضى كليذرنغ قائلاً ببطء وتركيز: في كل القضايا التي يعمل الشرطة بها يكون هناك بالضرورة الكثير من المعلومات التي يتم حجبها، ويتم حجبها لأسباب مختلفة: لأنها تمس بعضاً من خصوصيات العائلة، أو لأنها تعتبر غير ذات علاقة بالقضية، أو لأنها تسبب حرجاً وإرباكاً للأطراف المعنية...

قال إدوارد ثانية: تماماً يا سير هنري.

- أظن يا إدوارد أنك تقدّر الآن تقديراً واضحاً النقاط الأساسية لهذا الموضوع. فقد كانت الفتاة القتيلة على وشك أن تصبح ابنة السيد جفرسن بالتبني، وأمامنا شخصان لديهما دافع يدفعهما إلى الحرص على عدم حدوث ذلك، وهذان الشخصان هما السيد غاسكيل والسيدة جفرسن.

التمعت عينا الخادم لبرهة ثم قال: هل لي أن أسأل إن كانا موضع اشتباه يا سيدي؟

- إنهما ليسا معرَّضين لخطر الاعتقال إن كان هذا ما تعنيه، ولكن إدارة الشرطة لا بد أن تشتبه بهما، وستستمر في الاشتباه إلى أن تتضح القضية.

- إنه موقف كريه بالنسبة لهما يا سيدي.

- إنه كريه جداً. وحتى يصل المرء إلى الحقيقة فلا بد أن يحصل على كل وقائع القضية. إن أموراً كثيرة تعتمد على ردود أفعال وكلمات وإشارات السيد جفرسن وعائلته. كيف شعروا، ما الذي أظهروه، ما الأشياء التي قيلت؟ إنني أطلب منك -يا إدوارد- معلومات خاصة، معلومات من النوع الذي من شأنك أنت وحدك أن تمتلكه. أنت تعرف أمزجة سيدك، ولعلك تعرف من مراقبتك لتلك الأمزجة ما الذي يسببها. أنا لا أطلب ذلك كشرطي بل كصديق للسيد جفرسن، وهذا يعني أنني إذا رأيت أن أي شيء مما تخبرني به لا يتعلق بالقضية فلن أوصله إلى الشرطة.

ثم سكت السير كليذرنغ، فقال إدوارد بهدوء: إنني أفهمك يا سيدي. أنت تريدني أن أتكلم بكل صراحة، أن أقول أشياء لا يجب أن أقولها في الأحوال الطبيعية، أشياء (وأرجو أن تعذرني يا سيدي) ما كنتَ لتحلم بسماعها.

قال السير هنري: أنت رجل في غاية الذكاء يا إدوارد، هذا ما عنيته بالضبط.

سكت إدوارد للحظات ثم بدأ يتكلم: إنني أعرف السيد جفرسن معرفة جيدة بالطبع، فأنا معه منذ سنوات طويلة، وأنا أراه في لحظات «نحسه» وليس فقط في لحظات «سعده». إنني لأتساءل في عقلي أحياناً يا سيدي إن كان من الخير لأحد أن يقاتل العجز بالطريقة التي قاتله بها السيد جفرسن؛ فلقد نال ذلك منه بشكل كبير يا سيدي. لو أنه انهار في وقت ما أو كان عجوزاً وحيداً محبطاً فلربما كان ذلك أفضل له في نهاية المطاف. ولكنه أشد كبرياء من أن يستسلم، بل تراه يختار الاستمرار في القتال... هذا هو شعاره. ولكن مثل هذا الموقف يؤدي إلى الكثير من رد الفعل العصبي المرتبك. إنه يبدو سيداً لين العريكة، ولكني رأيته في حالات من الغضب الجامح الذي لا يكاد يستطيع معه الكلام لفرط انفعاله، وأكثر ما كان يثيره -يا سيدي- هو الخداع.

- هل تقول ذلك لأي سبب محدد يا إدوارد؟

- نعم يا سيدي. هذا صحيح. ألم تطلب مني أن أتكلم بكل صراحة؟

- نعم، هذه هي الفكرة.

- حسناً إذن يا سير هنري. برأيي أن تلك الشابة التي تعلّق السيد جفرسن بها كل ذلك التعلق لم تكن تستحق ذلك. كانت بنتاً سوقية إذا ما أردنا التحدث بصراحة، ولم تكن تأبه للسيد جفرسن قيد شعرة. كل ذلك التظاهر بالحب والامتنان كان في معظمه هراء. أنا لا أقول إنها كانت تنطوي على أي شر أو أذى، ولكنها لم تكن... لم تكن قط كما ظنها السيد جفرسن. وقد كان ذلك غريباً يا سيدي، لأن السيد جفرسن رجل ذكي لا ينخدع بالناس. ولكن هذا هو الواقع؛ إن الرجل لا يكون بكامل محاكمته العقلية عندما يتعلق الأمر بفتاة. والسيدة الصغيرة التي اعتاد دائماً أن يعتمد عليها في حاجته إلى التعاطف كانت قد تغيرت كثيراً هذا الصيف، وقد لاحظ ذلك وأثّر فيه كثيراً. لقد كان يحبها، أما السيد مارك فإنه لم يكن يحبه كثيراً.

قاطعة السير هنري قائلاً: ومع ذلك كان يبقيه معه دائماً؟

- نعم، ولكن ذلك كان وفاء لذكرى الآنسة روزاموند فقط... أعني السيدة غاسكيل، فقد كانت قرّة عينه. كان شديد الحب لها، وكان مارك زوج الآنسة روزاموند، وقد نظر إليه دائماً على هذا الأساس.

- وماذا لو تزوج السيد مارك بامرأة أخرى؟

- كان من شأن السيد جفرسن أن يستشيط غضباً.

رفع السير هنري حاجبيه وقال: إلى هذا الحد؟

- ما كان ليُظهر ذلك، ولكن هذا ما كان سيحدث.

- وماذا لو تزوجت السيدة جفرسن ثانية؟

- ما كان السيد جفرسن ليحب ذلك أيضاً يا سيدي.

- استمر يا إدوارد لو سمحت.

- كنت أقول يا سيدي إن السيد جفرسن تعلّق بهذه الفتاة، ولطالما رأيت ذلك يحدث مع الرجال الذي صاحبتهم. يأتيهم هذا الأمر أشبه بالمرض، فتراهم يريدون حماية الفتاة وإمطارها بالنِعَم... وفي أغلب تلك الحالات تكون الفتاة قادرة تماماً على الاعتناء بنفسها وماهرة في إبقاء عينها على الفرصة السانحة.

- إذن فأنت ترى أن روبي كانت صاحبة كيد وتخطيط؟

- حسناً يا سير هنري، لقد كانت قليلة الخبرة تماماً لأنها صغيرة جداً، ولكنها كانت تتمتع بالقابلية لتصبح صاحبة كيد كبير بمجرد اكتسابها بعض الخبرة. كان من شأنها أن تكون خبيرة في الكيد خلال بضع سنوات أخرى.

- يسرني سماع رأيك فيها، فهو رأي مهم. والآن، هل تذكر أية مناسبة جرت خلالها مناقشة هذه المسألة بين السيد جفرسن وعائلته؟

- لم يكن هناك سوى القليل جداً من النقاش يا سيدي، فقد أعلن السيد جفرسن ما يعتزمه وقَمَعَ أية احتجاجات؛ أي أنه أخرس السيد مارك الذي كان صريحاً بعض الشيء في التعبير عن رأيه. أما السيدة جفرسن فلم تقل الكثير، فهي سيدة هادئة

وقد اكتفت بأن حثته على أن لا يفعل شيئاً باستعجال.

أومأ السير هنري برأسه متفهماً وقال: هل يوجد شيء آخر؟ ماذا كان موقف الفتاة؟

قال الخادم باشمئزاز ظاهر: يمكنني وصف موقفها بأنه كان مبتهجاً.

- آه، تقول «مبتهجاً»؟ ألم يكن لديك ما يدفعك إلى الاعتقاد بأن... (وبحث عن عبارة تناسب إدوارد)... بأن عواطفها كانت مشغولة في مكان آخر؟

- إن السيد جفرسن لم يكن متقدماً للزواج بها يا سيدي؛ لقد كان ينوي تبنّيها فقط.

- حسناً، اقطع عبارة «في مكان آخر» ودع السؤال قائماً.

قال الخادم ببطء: كانت هناك حادثة واحدة يا سيدي، وتصادف أن كنتُ شاهداً عليها.

- هذا يكفي. أخبرني عنها.

- ربما لم يكن فيها شيء مهم يا سيدي، غير أنه في أحد الأيام تصادف أن فتحَت الفتاة حقيبة يدها فوقعت منها صورة، وقد اغتنمها السيد جفرسن وسأل: "من هذا أيتها القطة الصغيرة؟". كانت صورة لشاب أسمر ذي شعر غير مرتب وربطة عنق لم يُحسن ربطها. وقد ادّعت الآنسة كين أنها لا تعرف شيئاً عن الصورة، قالت: "لا أعرف يا جفي، ليست لديّ أية فكرة. لا أعرف كيف جاءت هذه الصورة إلى حقيبتي،

فأنا لم أضعها فيها"! ولكن السيد جفرسن لم يكن بالمغفل، وذلك العذر لم يكن متقناً. ولذلك بدا غاضباً وقطب حاجبيه كثيراً، وكان صوته أجشّ مستاء عندما قال: "هيا، هيا أيتها القطة، إنك تعرفين تماماً من هو". وسرعان ما غيرت أسلوبها يا سيدي. بدت مرعوبة وقالت: "لقد تبيّنتُهُ الآن. إنه يأتي إلى هنا أحياناً لكني لا أعرف اسمه. لا بد أن الأحمق المغفل قد حشر صورته في حقيبتي ذات يوم. يا لسخافة هؤلاء الفتيان!". ثم أمالت رأسها وضحكت متهرّبة من الموضوع. ولكنها لم تكن قصة محتمَلة، أليس كذلك؟ ولا أحسب أن السيد جفرسن قد صدقها تماماً. نظر إليها مرة أو مرتين بعد ذلك بطريقة حادة، وأحياناً كان يسألها عندما تخرج أين كانت.

قال السير هنري: هل سبق لك أن رأيت صاحب تلك الصورة في الفندق؟

- لا أذكر أنني رأيته يا سيدي، ولكني لا أنزل كثيراً إلى الأماكن التي يرتادها ضيوف الفندق.

أومأ السير هنري برأسه متفهماً، وطرح عليه بعض الأسئلة الأخرى، غير أن إدوارد لم يستطع إخباره بشيء آخر.

-٢-

في مركز الشرطة في دينماوث كان كبير المفتشين هاربر يجري مقابلة مع جيسي ديفيز وفلورنس سمول وبياتريس هينيكر وماري برايس وليليان ريدجوي.

كنّ فتيات من عمر واحد، يختلفن قليلاً في عقلياتهن ويتراوحن بين ابنة عائلة ريفية عريقة وابنة فلاح وابنة صاحب دكان، وقد روين نفس القصة عموماً. قلن إن باميلا ريفز كانت كعهدها دائماً وإنها لم تقل شيئاً لأي منهن باستثناء أنها ذاهبة إلى متجز وولورث وأنها ستذهب إلى البيت في حافلة لاحقة.

وفي زاوية مكتب كبير المفتشين هاربر جلست سيدة عجوز لم تكد الفتيات يلحظن وجودها، ولو لاحظنها لتساءلن من عساها تكون، فهي لا تبدو بالتأكيد من مشرفات الشرطة. لعلهن افترضن أنها كانت مثلهن، شاهدة سيجري استجوابها.

أُخرجت آخر فتاة من الغرفة، ومسح كبير المفتشين جبينه ثم التفت لينظر إلى الآنسة ماربل نظرة متسائلة، وإن لم تكن متفائلة. غير أن الآنسة ماربل تحدثت بشكل سريع حاسم قائلة: أود التحدث مع فلورنس سمول.

ارتفع حاجبا كبير المفتشين، ولكنه أومأ برأسه موافقاً وضغط على جرس فظهر شرطي. قال له هاربر: فلورنس سمول.

عادت الفتاة للظهور ثانية يقودها شرطي. كانت ابنة فلاح ميسور الحال، فتاة طويلة شقراء الشعر ذات فم يوحي بشيء من الحماقة وعينين مذعورتين، وكانت تعصر يديها وبدت مرتبكة.

نظر كبير المفتشين إلى الآنسة ماربل التي أومأت برأسها، فنهض قائلاً: ستطرح عليك هذه السيدة بعض الأسئلة.

ثم خرج وأغلق الباب خلفه. رمت فلورنس الآنسة ماربل بنظرة قلق، وبدت عيناها وكأنها واحدة من عُجول أبيها!

قالت الآنسة ماربل: اجلسي يا فلورنس.

جلست فلورنس طائعة، وشعرت فجأة -دون أن تعي ذلك- أنها أكثر استئناساً وأقل قلقاً، فجوّ مركز الشرطة المرعب غير المعتاد حل محله جو أكثر ألفة، جوّ تسوده النبرة المألوفة لامرأة اعتادت إعطاء الأوامر. قالت الآنسة ماربل: إنك تفهمين يا فلورنس أن من الأهمية المطلقة أن نعرف كل شيء عن تصرفات المسكينة باميلا يوم وفاتها، أليس كذلك؟

تمتمت فلورنس بأنها تفهم ذلك تماماً، ومضت الآنسة ماربل قائلة: وأنا واثقة أنك تريدين بذل كل جهد للمساعدة، أليس كذلك؟

كانت عينا فلورنس حذرتين وهي تجيب بأنها تريد ذلك بالطبع. قالت الآنسة ماربل: إن حَجْب أية معلومة يُعتبَر جُنحة خطيرة جداً.

تقبّضت راحتا الفتاة في حضنها بارتباك وابتلعت لعابها مرة أو مرتين، فيما مضت الآنسة ماربل قائلة: يمكنني أن أتجاوز عن بعض الأمور، إذ أتفهّم حقيقة أنك شعرت بالرعب من اضطرارك للاحتكاك بالشرطة، وأنك خائفة أيضاً من أن تُلامي لأنك لم تتحدثي من قبل، ولعلك خائفة من أن تلامي لأنك لم تمنعي باميلا وقتها. ولكن عليك أن تكوني فتاة شجاعة وتفضي بما في صدرك، لأنك إن رفضت قول ما تعرفينه الآن فسوف

يكون الأمر خطيراً جداً بالفعل، خطيراً جداً. ستكون المسألة شهادة زور، وهذا ما يمكن أن يُدخلك السجن كما تعلمين.

- إنني... أنا لم...

قالت الآنسة ماربل بحدة: لا تحاولي التملص يا فلورنس، أخبريني بالأمر فوراً. لم تكن باميلا ذاهبة إلى متجر وولورث، أليس كذلك؟

لعقت فلورنس شفتيها بلسان جاف وحدقت إلى الآنسة ماربل متوسلة كدابّة توشك أن تُذبَح. سألتها الآنسة ماربل: كان الأمر متعلقاً بالسينما، أليس كذلك؟

بدا على وجه فلورنس مزيج من الارتياح الشديد والخشية المنبهرة، وغادرتها مخاوفها فشهقت وقالت: آه، نعم!

- هذا ما ظننتُه. والآن، أريد جميع التفاصيل لو سمحت.

اندفعت الكلمات من فم فلورنس كالشلال: آه، لقد كنت في قلق شديد، فقد وعدت باميلا بأنني لن أخبر أحداً أبداً، وبعدها عندما عثروا عليها محروقة في تلك السيارة... آه، لقد كان ذلك فظيعاً! وفكرت بأنني يجب أن أموت! شعرت أن الأمر كله غلطتي. كان يجب أن أوقفها، غير أنني لم أحسب ولا للحظة واحدة بأن في الأمر شيئاً. ثم سألوني إن كانت كعادتها في ذلك اليوم، وقلتُ «نعم» قبل أن يتاح لي الوقت للتفكير. ولأني لم أقل شيئاً وقتها لم أعرف كيف يمكنني قول شيء فيما بعد، فأنا في النهاية لم أكن أعرف شيئاً في الحقيقة... باستثناء ما قالته لي باميلا.

- ما الذي قالته لك باميلا؟

- كان ذلك عندما كنا نمشي في طريقنا إلى الحافلة في طريق الذهاب. سألتني إن كنت ممن يكتمون السر، فقلت لها «نعم»، وجعلتني أقسم على عدم البَوْح به. كانت ذاهبة إلى ديناموث لإجراء اختبار سينمائي بعد السباق! كانت قد قابلت مخرجاً سينمائياً... مخرجاً عاد لتوه من هوليوود، وكان يريد فتاة من نوع معين، وقد أبلغ باميلا أنها هي ما كان يبحث عنه بالضبط. ولكنه أراد منها أن لا تبني أحلاماً على ذلك وقال إن المرء لا يستطيع الجزم بشيء قبل أن يرى الأداء بعد التصوير، فقد لا يكون الأداء مُرْضياً أبداً. قال إن الدَّوْر يحتاج إلى فتاة صغيرة السن لأدائه. وكانت باميلا قد مثّلت في مسرحيات المدرسة، وهي ماهرة جداً. قال إن بوسعه أن يرى قدرتها على التمثيل ولكن عليها الخضوع لتدريب مكثف، وقد أبلغها أن الأمر لن يكون كله متعة وإثارة بل سينطوي على جهد بالغ، فهل ترى أن بوسعها تحمل ذلك؟

توقفت فلورنس لحظة لتلتقط أنفاسها، وشعرت الآنسة ماربل بشيء من الغثيان وهي تصغي إلى هذا التكرار الرخيص الزائف لأنماط لا تحصى من الروايات والقصص السينمائية. لا بد أن باميلا ريفز قد حُذِّرت -كغيرها من الفتيات- من الحديث مع الغرباء، ولكن إغراء السينما والأضواء من شأنه محو كل تلك التحذيرات.

استمرت فلورنس قائلة: كان عملياً وجاداً تماماً في هذه المسألة. قال إنها ستوقّع عقداً في حال نجاح الاختبار، وقال

إنها يجب أن تطلب من محام الاطّلاع على العقد قبل أن توقعه لأنها ما زالت صغيرة تفتقر إلى الخبرة، ولكن عليها أن لا تقول إنه نصحها بذلك. وقد سألها إن كانت ستواجه أية مشكلات مع والديها فقالت إنها ربما واجهت مشكلات معهما، فقال: "هذه صعوبة دائماً بالنسبة لأي شخص صغير السن مثلك، ولكني أحسب أنهما لو أدركا أن هذه فرصة رائعة لا تحدث إلاّ بنسبة واحد في المليون فإنهما سيتفهمان". ولكنه قال إنه لا خير في الخوض في ذلك حتى يعرفوا نتيجة الاختبار، وإنها يجب أن لا تحس بالخيبة إذا ما فشلت. حكى لها عن هوليوود وعن القفزات المثيرة إلى النجومية والشهرة، وهو نفسه -كما قال- عاد من أمريكا ليعمل مع أستوديوهات ليمفيل ليُدخل بعض الحيوية إلى شركات السينما الإنكليزية.

أومأت الآنسة ماربل برأسها، فيما مضت فلورنس قائلة: وهكذا كان كل شيء مرتَّباً. كان يُفترض أن تذهب باميلا إلى ديناماوث بعد السباق لمقابلته في فندقه ثم يأخذها معه إلى الأستوديوهات، وقد أخبرها أن لديهم أستوديو صغير للاختبارات في ديناماوث. كانت ستخضع لاختبارها ثم يمكنها اللحاق بالحافلة للذهاب إلى البيت بعد ذلك، ويمكنها القول إنها كانت تتسوق، وسيخبرها هو بنتيجة الاختبار خلال بضعة أيام. وإذا كانت النتيجة إيجابية فإن السيد هارميستايتر، المدير، سيأتي ليتحدث مع والديها. لقد بدا ذلك رائعاً بالطبع، وقد حسدتها أيّما حسد! أمضت باميلا فترة السباق دون أن يرفّ لها جفن، وقد كنا دائماً نشبّه وجهها بوجه المقامر في قدرته على إخفاء انفعالاته، وبعد ذلك عندما قالت إنها ذاهبة إلى

ديناوث إلى متجر وولورث اكتفت بأن غمزتني. وقد رأيتها تنطلق عبر الطريق الترابي (بدأت فلورنس تبكي هنا)... كان عليّ أن أوقفها... كان يجب أن أمنعها، كان عليّ أن أعرف أن شيئاً كهذا لا يمكن أن يكون صحيحاً، كان يجب أن أخبر أحداً. آه، ليتني متّ!

ربّتَت الآنسة ماربل على كتفها وقالت: لا بأس، لا بأس، لن يلومك أحد. لقد فعلتِ الشيء الصحيح بإبلاغي.

ثم كرّست بضع دقائق لتهدئة روع الفتاة.

بعد خمس دقائق كانت تحكي القصة لكبير المفتشين هاربر، وبدا هاربر شديد التجهم وقال: يا للشيطان الخبيث! سأردّ كيده إلى نحره والله. إن هذا يلقي ضوءاً جديداً مختلفاً على الأمور.

- نعم، هو كذلك.

نظر إليها هاربر بطرف عينه وقال: ألا يدهشك ذلك؟

- لقد توقعتُ شيئاً من هذا القبيل.

قال كبير المفتشين بفضول: ما الذي قادك إلى الشكّ بهذه الفتاة دون غيرها؟ لقد ظهرنَ جميعاً مرعوبات حتى الموت ولم يكن بينهنّ أدنى فارق حسبما رأيت.

قالت الآنسة ماربل بلطف: ليست لديك نفس تجربتي الطويلة مع فتيات يكذبن. لقد نظرت فلورنس إليك نظرة مباشرة إن كنتَ تتذكر ووقفت ثابتة تماماً واكتفت بتحريك قدميها

كالأخريات، ولكنك لم تراقبها وهي تخرج من الباب. لقد عرفتُ فوراً وقتها أن لديها ما تخفيه، فهنّ عادة ما يستعجلن في الاسترخاء. لقد كان هذا دأب خادمتي الصغيرة جانيت؛ كانت تشرح بكل إقناع كيف أن الفأرة هي التي أكلت طرف قالب الحلوى، ثم تفضح نفسها بالبسمة الساخرة المتفاخرة وهي تغادر الغرفة.

- أنا شديد الامتنان لك. آه، أستوديوهات ليمفيل، أليس كذلك؟

لم تجبه الآنسة ماربل بشيء، بل نهضت قائلة: أحسب أن عليّ الإسراع بالذهاب. يسرني أنني استطعتُ مساعدتك.

- هل أنت عائدة للفندق؟

- نعم، لأحزم متاعي. يجب أن أعود إلى سينت ميري ميد بأسرع ما يمكن، فأمامي الكثير مما يجب أن أفعله هناك.



الفصل الخامس عشر

-١-

خرجت الآنسة ماربل من الباب الزجاجي لغرفة الجلوس في بيتها، ومشت بخفّة عبر الممشى الأنيق في حديقتها، ثم خرجت من بوابة الحديقة لتدخل بوابة حديقة الكاهن، وعبرت الحديقة وصولاً إلى الباب الزجاجي لغرفة جلوسه حيث نقرت بلطف على الباب.

كان الكاهن مشغولاً في مكتبه بتأليف بعض المواعظ، لكن زوجته الشابة الجميلة كانت مع ولدها الصغير تنظر إليه بلهفة وهو يلعب عند الطرف المقابل من السجادة.

قالت الآنسة ماربل: أيمكنني الدخول يا غريزلدا؟

- آه، تفضلي يا آنسة ماربل. انظري إلى ديفيد. إنه يغضب كثيراً لأنه لا يستطيع الزحف إلاّ رجوعاً إلى الخلف. إنه يريد الوصول إلى بعض الأشياء، وكلما حاول وجد نفسه يبتعد عنها إلى الوراء!

- إنه يبدو في أحسن صحة يا غريزلدا.

أجابت الأم الشابة متظاهرة بعدم الاكتراث: إنه ليس سيئاً، أليس كذلك؟ بالطبع لا أحب أن أبالغ أبداً في الاهتمام به، فجميع الكتب تؤكد أن الطفل يجب أن يُترك لشأنه قدر الإمكان.

- هذا موقف حكيم جداً يا عزيزتي. لقد جئت لأسأل إن كان ثمة شيء خاص تجمعين له التبرعات حالياً.

التفتت إليها زوجة الكاهن بعينين تملؤهما الدهشة وقالت بمرح: آه، عشرات الأشياء. لدينا دائماً الكثير من القضايا.

ثم أخذت تعدّد على أصابعها: مزاد بيع الأعمال اليدوية يوم الأربعاء القادم، وجمعية الأمهات الفقيرات، وبرنامج رحلات الكشافة، ونقابة الغَزْل بالإبرة...

- أي واحد من هذه المشروعات سيفي بالغرض. فكرتُ بالقيام بجولة صغيرة مع دفتر تبرعات... إن كنتِ تخوّلينني القيام بذلك.

- ما الذي تخططين لعمله؟ أحسب أن هناك شيئاً. أنا أخوّلك بالطبع. اجعليها لمزاد بيع الأعمال اليدوية، سيكون رائعاً أن نجمع بعض المال الحقيقي بدلاً ممّا يثير الاكتئاب من تلك الملابس والمماسح القديمة التي يحوّرونها لتبدو كلُعَب الأطفال!

ثم تابعت غريزلدا وهي ترافق ضيفتها نحو النافذة: أحسب أنك لا تودّين إطلاعي على ما تريدين فعله، أليس كذلك؟

أجابت الآنسة ماربل وهي تستعجل الخروج: فيما بعد، فيما بعد يا عزيزتي.

-٢-

مشت الآنسة ماربل بخفّة وهي تمسك دفتراً صغيراً فعبرت شارع القرية حتى وصلت إلى التقاطع، وهناك انعطفت إلى اليسار وعبرت بمقهى «بلو بور» حتى وصلت إلى منزل تشاتزورث، الذي يُسمى أيضاً «بيت السيد بوكر الجديد».

عبرت البوّابة ومشت إلى الباب الأمامي فقرعته بسرعة. فتحت البابَ شابةٌ شقراء اسمها دينا لي، وكان اعتناؤها بمظهرها أقل من المعتاد، بل إنها كانت في الحقيقة متسخة قليلاً. كانت ترتدي بنطالاً رمادياً وبلوزة خضراء.

بادرتها الآنسة ماربل قائلة بسرعة ومرح: صباح الخير. هل لي أن أدخل لدقيقة واحدة فقط؟

تقدمت بثبات وهي تتكلم بحيث لم تترك للفتاة التي فوجئت بالزيارة وقتاً لاتخاذ قرار، ثم قالت الآنسة ماربل وهي تبتسم لها وتجلس بحذر على كرسي أثري من القصب: شكراً جزيلاً لك.

ثم مضت قائلة وهي مستمرة في إظهار المودة: إن الجو أدفأ قليلاً من المعتاد في مثل هذا الوقت، أليس كذلك؟

- بلى، قليلاً، أدفأ قليلاً.

بدت الشابة محتارة ولا تدري كيف تتعامل مع الموقف، فقالت الآنسة ماربل: مررتُ فقط لأرى إن كان بوسعي أن أحصل على مساعدتك في مزاد الأعمال اليدوية الذي سيقام في الأسبوع القادم.

- مزاد الأعمال اليدوية؟

أطلقت دينا لي السؤال وكأنها تكرر عبارة بلغة أخرى.

- نعم، يوم الأربعاء القادم.

فغرت الآنسة لي فمها وقالت: آه، أخشى أن لا أتمكن من...

- ولا حتى بتبرع بسيط... بضعة بنسات؟

ثم مدت نحوها دفتر التبرعات.

- آه، حسناً. نعم، أحسب أن هذا ممكن.

بدا الارتياح على وجه الفتاة والتفتت لتبحث في حقيبة يدها. كانت عينا الآنسة ماربل الحادّتان تبحثان في الغرفة، ثم قالت: أرى أنكم لا تضعون سجادة صغيرة أمام الموقد؟

التفتت دينا لي وحدقت إليها. لم تملك سوى الانتباه إلى الرقابة الحادة التي توليها لها العجوز، غير أن ذلك لم يبعث فيها من المشاعر سوى القليل من الانزعاج. وقد أدركت الآنسة ماربل ذلك فقالت: إن في هذا بعض الخطورة كما

تعلمين، فقد يترك الرماد آثارَ حروق على السجادة الكبيرة التي تفرش الأرض، ومن شأن سجادة صغيرة أمام الموقد أن توفّر الحماية.

فكرت دينا قائلة لنفسها: "عجوز غريبة"، ولكنها قالت بشيء من الودّ، وإن لف كلامَها بعضُ الغموض: كانت لدينا واحدة، ولا أدري ماذا حل بها.

- أحسبها كانت ذات زغب طويل من النوع الصوفي، أليس كذلك؟

- كانت كجلد الشاة... ذلك كان شكلها.

بدت الآن مستمتعة بما تراه من هذه العجوز الغريبة الأطوار. أخذت قطعة نقدية وناولتها لها قائلة: تفضلي.

- آه، شكراً يا عزيزتي.

أخذتها الآنسة ماربل وفتحت دفترها الصغير قائلة: بأي اسم أسجّلها؟

احتدّت عينا دينا فجأة وأصبحت نظرتها توحي بالازدراء وهي تفكر قائلة لنفسها "يا لها من فضولية شمطاء! هذا كل ما جاءت من أجله؟ للتقصي والبحث عن فضائح"! ثم خاطبتها بوضوح وبمتعةِ المتشفّي قائلة: الآنسة دينا لي.

نظرت الآنسة ماربل إليها بثبات وقالت: أليس هذا بيت السيد بيسل بليك؟

- بلى، وأنا الآنسة دينا لي.

كان صوتها عالياً متحدّياً، وردّت رأسها إلى الخلف بينما التمعت عيناها الزرقاوان.

نظرت إليها الآنسة ماربل بكل ثبات ثم قالت: أتسمحين لي بأن أعطيك نصيحة بسيطة، رغم أنك قد تعتبرينها وقاحة مني؟

- سأعتبرها وقاحة بالفعل. من الأفضل أن لا تقولي شيئاً.

- ومع ذلك سأتكلم. أريد أن أنصحك بكل قوة بأن لا تستمري -في هذه القرية- باستخدام اسمك المعتاد قبل الزواج.

حدقت إليها دينا وقالت: ماذا... ماذا تعنين؟

أجابتها الآنسة ماربل بجِدّ ووقار قائلة: خلال وقت قصير جداً ربما احتجتِ إلى كل ما يمكنك العثور عليه من تعاطف ودعاء بالخير، وسيكون ذلك مهماً بالنسبة لزوجك أيضاً، أن يظن الناس به خيراً. إن في المناطق الريفية النائية ذات الطراز القديم تحاملاً ضد مَن يعيشون معاً دون زواج. أحسب أنكما تسلّيتما كلاكما بالتظاهر بأنكما تعيشان دون زواج، فهذا يُبقي الناس بعيداً عنكما بحيث لا يزعجكما مَن تطلقون عليهم اسم «العجائز الشمطاوات»... ومع ذلك فإن للعجائز الشمطاوات فوائدهن.

سألت دينا: كيف عرفت أننا متزوجان؟

ابتسمت الآنسة ماربل ابتسامة مؤنِّبة وقالت: يا عزيزتي!

غير أن دينا أصرت قائلة: ولكن كيف عرفتِ؟ أتراكِ... أتراك ذهبت إلى مكتب سومرست؟

- مكتب سومرست؟ آه، لا، ولكن كان من السهل تماماً تخمين ذلك. إن كل شيء يدور في القرى. مثل... مثل نوع المشاجرات بينكما، مشاجرات كتلك التي تحدث عادة في الأيام الأولى من الزواج. وهو أمر يختلف تماماً، يختلف تماماً عن العلاقات غير الشرعية. لقد قيلت حكمة أحسبها صحيحة تماماً، وهي أنك لا تستطيعين إزعاج رجل إزعاجاً حقيقياً إلاّ بعد الزواج، فعندما لا يكون هناك.. عندما لا يكون رباط شرعي يكون الناس أكثر حذراً ويتعين عليهم أن يستمروا في طمأنة أنفسهم بمدى سعادتهم وهنائهم، عليهم أن يبرّروا لأنفسهم، ولذلك لا يجرؤون على الدخول في مشاجرات! بينما لاحظتُ أن المتزوجين يتمتعون تماماً بمشاجراتهم، ثم بتصالحهم بعد ذلك.

ثم سكتت وهي تبتسم بعطف، فقالت دينا: حسناً، إنني...

توقفت وضحكت، ثم قالت: أنت عجيبة جداً! ولكن لماذا تريديننا أن نُقِرَّ ونعترف بأننا محترَمان؟

قالت الآنسة ماربل وقد غدا وجهها متجهماً: لأن زوجك قد يُعتقَل بتهمة القتل في أية لحظة الآن.

-٣-

حدقت دينا إليها للحظات عديدة، ثم قالت غيرَ مصدقة: بيسل؟ القتل؟ هل تمزحين؟

- لا، لا أمزح. ألم تقرئي الصحف؟

أمسكت دينا أنفاسها وقالت: أتعنين... تلك الفتاة في فندق ماجستيك؟ أتعنين أنهم يشتبهون في أن بيسل قتلها؟

- نعم.

- ولكن هذا هراء!

سُمع صوت سيارة تقف في الخارج، وما لبث بيسل بليك أن فتح الباب ودخل حاملاً بعض الأكياس وقال: لقد أحضرت...

ثم توقف ونظر بعينين غير مصدّقتين إلى الزائرة المنتصبة أمامه. انفجرت دينا قائلة وهي تلهث: أهي مجنونة؟ تقول إنك ستُعتقَل بتهمة قتل تلك الفتاة، روبي كين.

قال بيسل بليك: آه، يا إلهي!

سقطت الأكياس من يده، وترنّح حتى وصل إلى كرسي فجلس عليه ودفن وجهه بين يديه وهو يكرر: يا إلهي، يا إلهي!

انكبّت دينا عليه وأمسكت بكتفيه هاتفة: بيسل، انظر إليّ... هذا ليس صحيحاً، أعرف أنه غير صحيح... لا أصدق ذلك للحظة واحدة!

ارتفعت يده وامتدت إليها فأمسكت بيدها وهو يقول: بوركت يا حبيبتي.

- ولكن لماذا يظنون... إنك لم تكن تعرفها أبداً، أليس كذلك؟

قالت الآنسة ماربل: آه، بلى؛ كان يعرفها.

قال بيسل بحدة: اسكتي أيتها العجوز الشمطاء! اسمعي يا حبيبتي دينا، ما كنتُ أعرفها إلاّ لِماماً. صادفتها مرة أو مرتين فقط في فندق ماجستيك، هذا كل ما في الأمر وأقسم لك على ذلك.

قالت دينا حائرة: إنني لا أفهم. لماذا يشكّون فيك إذن؟

دمدم بيسل ووضع يديه فوق عينيه وهو يغدو ويجيء، فقالت الآنسة ماربل: ماذا فعلتَ بالسجادة الصغيرة التي كانت أمام الموقد؟

جاء جوابه آلياً: رميتها في حاوية المهملات.

قالت الآنسة ماربل بانزعاج: كان ذلك تصرفاً غبياً... غبياً جداً، فالناس لا يرمون سجادة صغيرة جيدة في حاوية المهملات. أظن أنها كانت تحتوي على بعض تلك الرقائق البرّاقة الصغيرة التي علقت بها من ثوب الفتاة، أليس كذلك؟

- نعم، لم أستطع تنظيفها من تلك الرقائق.

صاحت دينا: ما الذي تتحدثان عنه؟

أجابها بيسل بتجهم: اسأليها، إذ يبدو أنها تعرف كل شيء.

قالت الآنسة ماربل: سأقول لك ما أحسب أنه قد حدث إذا أحببت، ويمكنك أن تصحّح لي يا سيد بليك إن أنا أخطأت. أظن أنك بعد أن تشاجرت مشاجرة عنيفة مع زوجتك في إحدى الحفلات قمت بقيادة سيارتك إلى هنا، ولا أدري في أي وقت وصلت...

قال بيسل بنكد: في نحو الثانية بعد منتصف الليل. أردت أن أذهب إلى البلدة أولاً، ولكن بعد أن وصلت إلى الضواحي غيّرت رأيي لأنني فكّرت بأن دينا قد تأتي ورائي. ولذلك قدت السيارة إلى هنا. كان المكان كله مظلماً، وفتحت الباب وأنرت النور فرأيت... رأيت...

ازدرد ريقَه وتوقف، فمضت الآنسة ماربل تكمل عنه: رأيتَ فتاة ممدَّدة على سجادة الموقد... فتاة بثوب سهرة أبيض، وقد خُنقت. لا أدري إن كنتَ قد عرفتها وقتها.

هزّ بيسل بليك رأسه نافياً بقوة وقال: لم أستطع النظر إليها بعد النظرة الأولى. كان وجهها أزرق كله، متورّماً. كانت قد ماتت منذ بعض الوقت، وكانت هنا... في غرفتي أنا!

ارتعد وهو يقول ذلك، فقالت الآنسة ماربل بلطف: لم تكن بالطبع متمالكاً لنفسك. كنت في حالة تشوّش ولم تكن أعصابك متماسكة، وأحسب أن الذعر تملكك ولم تعرف ماذا يجب أن تفعل.

- لقد فكرت في أن دينا قد تصل في أية لحظة وستجدني هنا مع الجثة، مع جثة فتاة... وستظن أنني أنا الذي قتلتها. ثم خطرت لي فكرة، ولا أدري لماذا بدت فكرة جيدة وقتها. فكرت بوضع الجثة في مكتبة العجوز بانتري، ذلك العجوز المتبجّح الأخرق الذي ينظر إلى الناس دوماً من عليائه ويحتقرني باعتباري فناناً مخنّثاً. فكرت بأن ذلك من شأنه أن يمرّغ أنف هذا الجلف المتكبر، إذ سيبدو مغفّلاً عندما تُكتشَف جثة فتاة جميلة فوق سجادة الموقد في غرفة مكتبته.

ثم أضاف بلهفة تثير الشفقة لشرح موقفه: كنت أحمق وقتها، وبدت لي الفكرة مسلية بالفعل... العجوز بانتري مع قتيلة حسناء!

قالت الآنسة ماربل: نعم، نعم؛ لقد فكر الفتى تومي بوند بالفكرة نفسها. كان فتى حساساً بعض الشيء وتتملكه عقدة نقص، وقال إن المعلمة دأبت على استهدافه دون غيره، ولذلك وضع ضفدعاً في الساعة فقفز عليها! وقد كنت أنت مثله، باستثناء أن الجثث أمر أخطر بكثير من الضفادع بطبيعة الحال.

دمدم بيسل ثانية قائلاً: بحلول الصباح كنت قد عدت إلى رشدي وأدركت حقيقة ما فعلته فتملكني الرعب، ثم جاء بعض رجال الشرطة إلى هنا، جاءني ضابط شرطة عجوز أشد عجرفة وتكبراً. وقد أرعبني، وكانت أفضل طريقة لإخفاء رعبي هي أن أكون وقحاً جداً معه... ووسط هذا كله وصلت دينا.

نظرت دينا من النافذة وقالت: هذه سيارة وصلت في

الخارج... وفيها رجال.

قالت الآنسة ماربل: أظنهم رجال الشرطة.

نهض بيسل بليك وقد صار فجأة هادئاً تماماً وحازماً، حتى إنه قد ابتسم وقال: لقد وقعت بها إذن، أليس كذلك؟ حسناً يا حبيبتي دينا، حافظي على هدوئك. اذهبي إلى العجوز سيمز، فهو محامي العائلة. واذهبي إلى أمي وأخبريها كل شيء عن زواجنا، إنها لن تعضّك. ولا تقلقي، **أنا لم أفعل ذلك**، ولذا فلا بد أن ينتهي الأمر على خير، أفهمت يا حبيبتي؟

قُرع باب البيت، فصاح بيسل: تفضلوا.

دخل المفتش سلاك مع رجل آخر، وقال: السيد بيسل بليك؟

- نعم.

- معي إذن بالقبض عليك بتهمة قتل روبي كين ليلة الحادي والعشرين من الشهر الماضي. أحذّرك بأن أي شيء تقوله يمكن أن يُستخدَم في أثناء محاكمتك. ستتفضل بمرافقتي الآن، وستُقدَّم لك كل التسهيلات للاتصال بمحاميك.

أومأ برأسه، ثم نظر إلى دينا وقال: إلى اللقاء يا عزيزتي.

قال المفتش سلاك في نفسه: "شاب رابط الجأش". ثم رحّب بوجود الآنسة ماربل بانحناءة خفيفة لها وعبارة «صباح الخير»، وفكر قائلاً لنفسه: يا لها من عجوز ذكية! لقد كشفت الأمر. من حسن الحظ أننا وجدنا تلك السجادة

الصغيرة، بالإضافة إلى علمنا من حارس مواقف السيارات في الأستوديوهات أن الشاب غادر الحفل في الحادية عشرة وليس في منتصف الليل. لا أحسب أن أصدقاءه أولئك كانوا يقصدون الإدلاء بشهادات كاذبة، فقد كانوا سُكارى، وأكّد لهم بليك في اليوم التالي أنه غادر الحفلة في منتصف الليل فصدّقوه. لقد وقع في شر أعماله. أحسب أن لديه انحرافاً عقلياً! ربما يكون مصيره مستشفى الأمراض العقلية وليس الإعدام. بدأ أولاً بتلك الفتاة الصغيرة من آل ريفز، ولعله خنقها، ثم قاد السيارة بها إلى المقلع، ثم مشى عائداً إلى ديناموث فاستقلّ سيارته التي تركها في زقاق جانبي وذهب إلى تلك الحفلة، ثم عاد إلى ديناموث فأخرج روبي كين وأتى بها إلى هنا فخنقها ووضعها في مكتبة العجوز بانتري. ولعله أصيب بالهلع بشأن السيارة التي تركها في المقلع فقاد سيارته إلى هناك وأشعل فيها النار، ثم عاد إلى هنا. مجنون! لقد كانت هذه الفتاة محظوظة إذ نجت منه. أظنه يعاني مما يسمونه الهوس المزمن.

عندما بقيت دينا بليك وحدها مع الآنسة ماربل التفتت إليها وقالت: أنا لا أعرف من أنت، ولكن عليك أن تفهمي ما يلي: إن بيسل لم يفعل ذلك.

- أعرف أنه لم يفعل، بل إنني أعرف من فعل، ولكن لن يكون من السهل إثبات ذلك. لديّ فكرة بأن شيئاً قُلتِه أنت قبل قليل ربما يساعدنا، فقد منحني قولك فكرة... منحني الصلة التي كنتُ أحاول العثور عليها. ولكن ماذا كان ذلك الشيء؟

* * *

الفصل السادس عشر

-١-

أعلنت السيدة بانتري وصولها قائلة: ها قد عدتُ إلى البيت يا آرثر!

أعلنت تلك الحقيقة وهي تفتح الباب بقوة كما لو كانت تدلي بإعلان ملكي. فقفز الكولونيل بانتري على الفور واستقبل زوجته بكل ود: مرحباً، مرحباً، هذا رائع.

كانت الكلمات أرقى من أي شك، وكان أسلوب قولها شديد الإتقان، ولكن ما كان لزوجة محبة طال عليها الأمد كالسيدة بانتري أن تنخدع. قالت على الفور: هل ثمة خطب؟

- لا يا دولي. أي خطب عساه يكون؟

قالت السيدة بانتري بغموض: لا أدري... الأمور غريبة، أليس كذلك؟

رمت عنها معطفها وهي تتكلم، فأخذه الكولونيل بانتري بحرص ورتبه على ظهر الأريكة.

كل شيء كالمعتاد تماماً، ومع ذلك فالأمور ليست كالمعتاد. وفكرت السيدة بانتري بأن زوجها بدا وكأنه تقلص، بدا أنحل جسماً وأكثر انحناء، وانتفخ الجلد أسفل عينيه، ولم تكن هاتان العينان جاهزتين للقاء عينيها.

مضى يقول متصنّعاً ذلك المرح نفسه: حسناً، كيف كان استمتاعك بوقتك في ديناموث؟

- آه، كان ذلك مسلياً جداً. كان عليك أن تأتي يا آرثر.

- لم أستطع التملص يا عزيزتي، كان هناك الكثير من الأشياء التي يجب متابعتها هنا.

- مع ذلك أحسب أن التغيير كان سينفعك، وأنت تحب عائلة جفرسن، أليس كذلك؟

- نعم، نعم. المسكين... رجل لطيف. إنها مسألة محزنة جداً.

- ما الذي كنتَ تفعله بنفسك منذ أن تركتك؟

- آه، ليس بالشيء الكثير. ترددتُ على المزرعة كما تعلمين، وقد وافقت على أن يبني أندرسُن سقفاً جديداً، فلم يعد بالإمكان ترقيعه أكثر من ذلك.

- كيف مضى اجتماع مجلس ردفوردشاير؟

- أنا... حسناً، الحقيقة أنني لم أذهب إليه.

- لم تذهب؟ ولكن أما كنت ستترأس الاجتماع؟

- الحقيقة يا دولي... يبدو أنه كان هناك خطأ ما في هذا الأمر. سألوني إن كنت لا أمانع إذا ما ترأسه ثومبسُن بدلاً مني.

- فهمت.

خلعت أحد قفازيها ورمته قصداً في سلة المهملات، فذهب زوجها لاسترجاعه فاستوقفته قائلة بحدة: اتركه، إنني أكره القفازات!

نظر إليها الكولونيل بانتري بعدم ارتياح فيما قالت بعناد: هل ذهبت إلى العشاء مع عائلة داف يوم الخميس؟

- آه، العشاء؟ لقد تأجّل، فقد كانت طباختهم مريضة.

- أغبياء! وهل ذهبتَ إلى بيت نيلور البارحة؟

- اتصلت وقلت لهم إنني لست مستعداً وطلبت أن يعذروني، وقد تفهّموا الأمر تماماً.

قالت السيدة بانتري بتجهم: تفهموه تماماً، أليس كذلك؟

جلست بمحاذاة المكتب فالتقطت -وهي شاردة الذهن- مقصّ نباتات الحدائق، وبذلك المقص قطعت أصابع قفازها الثاني إصبعاً إصبعاً.

- ما الذي تفعلينه يا دولي؟

- أشعر برغبة في التخريب.

ثم نهضت وقالت: أين سنجلس بعد العشاء يا آرثر؟ في المكتبة؟

- حسناً، لا أظن ذلك. من الأفضل أن نجلس هنا أو في غرفة الرسم.

- أعتقد أننا سنجلس في المكتبة!

والتقت عيناها الثابتتان بعينيه، فنهض الكولونيل بانتري واقفاً على طوله وقد التمعت عيناه وقال: معك حق يا عزيزتي؛ سنجلس في المكتبة.

-٢-

وضعت السيدة بانتري سماعة الهاتف وتنهدت بانزعاج، فقد اتصلت مرتين، وفي كل مرة كان الجواب نفسه: الآنسة ماربل ليست هنا.

لم تكن السيدة بانتري -بطبيعتها غير الصبورة- من النوع الذي يذعن للهزيمة، ولذلك سارعت بإجراء اتصالات متلاحقة بكل من منزل الكاهن، والسيدة برايس ريدلي، والآنسة هارتنيل، والآنسة ويذربي، ثم بملاذها الأخير، بائع السمك الذي يعرف -بحكم موقعه الجغرافي الملائم- مكان كل فرد من سكان القرية!

اعتذر بائع السمك قائلاً إنه لم يرَ الآنسة ماربل في القرية على الإطلاق في ذلك الصباح، فهي لم تقم بجولتها المعتادة.

تساءلت السيدة بانتري بصبر نافد وصوت مرتفع: أين يمكن لهذه المرأة أن تكون؟

تنبهت لنحنحة مؤدبة خلفها، وتمتم لوريمر المتحفظ قائلاً: أكنت تسألين عن الآنسة ماربل يا سيدتي؟ لقد لمحتها تقترب من المنزل للتوّ.

اندفعت السيدة بانتري نحو الباب الأمامي، ففتحته وحيّت الآنسة ماربل بلهفة قائلة: لقد كنت أبحث عنك في كل مكان. أين كنت؟

ثم ألقت نظرة جانبية فوجدت أن لوريمر اختفى بصمت، فتابعت قائلة: الأمور كلها فظيعة جداً! لقد بدأ الناس يعاملون آرثر بجفاء، وهو يبدو أكبر من عمره بسنوات. يجب أن نفعل شيئاً يا جين، يجب أن تفعلي أنت شيئاً.

قالت الآنسة ماربل بلهجة غريبة: لا تقلقي يا دولي.

خرج الكولونيل بانتري من باب غرفة المكتب قائلاً: آه، الآنسة ماربل؟ صباح الخير. يسرني قدومك، فقد كانت زوجتي تحاول الاتصال بك كالمجنونة.

قالت الآنسة ماربل وهي تتبع السيدة بانتري إلى غرفة المكتب: رأيتُ أن من الأفضل أن آتيكم بالأخبار.

- الأخبار؟

- لقد اعتُقل بيسل بليك قبل قليل بتهمة قتل روبي كين.

صاح الكولونيل بانتري: بيسل بليك؟!

- ولكنه ليس مَن ارتكب الجريمة.

لم ينتبه الكولونيل بانتري إلى عبارة الآنسة ماربل هذه، بل بدا وكأنه لم يسمعها، إذ قال: أتعنين أنه خنق تلك الفتاة ثم أحضرها ووضعها في مكتبتي أنا؟

قالت الآنسة ماربل: لقد وضعها في مكتبتك، لكنه لم يقتلها.

- هذا هراء! إن كان هو مَن وضعها في مكتبتي فمن الطبيعي أنه قتلها أيضاً. الأمران مرتبطان.

- ليس بالضرورة. لقد وجدها ميتة في بيته.

قال الكولونيل هازئاً: يا لها من قصة محتملة! لو عثر إنسان على جثة فمن الطبيعي أن يتصل بالشرطة إن كان صادقاً.

- آه، ولكن لا يتمتع الجميع بأعصاب حديدية كأعصابك يا كولونيل بانتري. أنت تنتمي إلى الجيل القديم، أما جيل الشباب فهو مختلف.

كرّر الكولونيل أحد آرائه التقليدية قائلاً: لا يملكون العزم.

- لقد مرّ بعضهم بظروف عصيبة. وأنا سمعت الكثير عن بيسل؛ لقد عمل في مجال الإسعاف في أثناء قصف الطيران في الحرب وهو في الثامنة عشرة من عمره، وقد اقتحم منزلاً يحترق وأنقذ منه أربعة أطفال الواحد تلو الآخر ثم عاد ليقتحمه من جديد لإنقاذ كلب، رغم أنهم حذّروه من خطر دخوله. وبالفعل انهار المنزل فوقه، وقد أخرجوه ولكن بعد أن تهشم

صدره، وهو ما أقعده طريح الفراش مقيَّدا في قالب من الجص لمدة عام تقريباً، وظل مريضاً لفترة طويلة بعد ذلك، وتلك هي الفترة التي تولّد فيها عنده الاهتمام بالفن.

تنحنح الكولونيل ثم قال: آه، أنا... أنا لم أعرف ذلك.

- إنه لا يتحدث عن الأمر.

- هذا صحيح. لا بد أن الشاب يتمتع بروح جيدة أفضل مما توقعت. لقد ظننتُ دائماً أنه قد تهرّب من الحرب. هذا يُثبت أن على المرء أن يحذر من إصدار الأحكام المتسرّعة.

بدا الكولونيل بانتري خَجِلا، ثم ما لبث أن عاوده سخطه وقال: ولكن مع ذلك، ماذا كان قصده من محاولة إلصاق الجريمة بي أنا؟

- لا أحسبه نظر إلى الأمر هكذا. لقد رأى في الأمر مجرد... مجرد دعابة!

حدّق الكولونيل بانتري إلى الآنسة ماربل بعينين ثاقبتين وقال: أنت لا ترين أنه مرتكب الجريمة، أليس كذلك؟

- أنا متأكدة أنه لم يرتكبها.

- وتعتقدين أنك تعرفين الفاعل؟

أومأت الآنسة ماربل برأسها بالإيجاب.

هتفت السيدة بانتري مبتهجة وممتلئة بالنشوة: أليست رائعة؟

- حسناً، من هو الفاعل؟

قالت الآنسة ماربل: كنت على وشك أن أطلب منك المساعدة. أحسب أننا لو ذهبنا إلى مكتب سومرست لتسجيل عقود الزواج فسوف تكون لدينا فكرة جيدة جداً عن ذلك.

* * *

الفصل السابع عشر

-١-

كان وجه السير هنري بالغ التجهم. قال: أنا غير مرتاح لهذا الأمر.

قالت الآنسة ماربل: أعلم أن هذا ليس ما يمكن أن نطلق عليه وصف «الطريقة التقليدية»، ولكن ألا ترى أن من المهم جداً أن نتأكد تماماً؟ «أن نجعل الثقة مضاعفة» كما قال شكسبير... هذا إذا كان السيد جفرسن يوافقني؟

- ماذا عن هاربر؟ هل سنُشركه في هذا الأمر؟

- قد يكون من المربك له أن يعلم الكثير، ولكن لعلك تعطيه إشارة ما بأن يراقب بعض الأشخاص... أن يتعقبهم.

أجاب السير هنري ببطء: نعم، هذا قد يخدم القضية.

-٢-

نظر كبير المفتشين هاربر إلى السير هنري بحدّة وقال: دعنا نفهم هذا بوضوح يا سيدي، أتراك تعطيني تلميحاً ما؟

- أنا أبلّغك بما قاله لي صديقي للتوّ، لكنه لم يخبرني بذلك بشكل سري. إنه يفكر بزيارة محام في دينماوث غداً بهدف كتابة وصية جديدة.

خفض كبير المفتشين حاجبيه الكثين فوق عينيه وقال: هل ينوي السيد كونوي جفرسن إبلاغ صهره وكنّته بهذه الحقيقة؟

- إنه ينوي القيام بذلك هذا المساء.

- أفهم ذلك.

نقر كبير المفتشين على مكتبه ثم كرّر قائلاً: أفهم ذلك.

ثم نظرت عيناه الثاقبتان مرة ثانية إلى عيني الرجل الآخر وقال: أنت لست مقتنعاً إذن بقوة الشواهد ضد بيسل بليك؟

- هل أنت مقتنع؟

ارتعش شاربا كبير المفتشين وقال: هل الآنسة ماربل مقتنعة؟

تبادل الرجلان النظرات، ثم قال هاربر: يمكنك أن تترك الأمر لي؛ سأكلف بعض الرجال. لن نسمح بأية مفاجآت... أعدك بذلك.

قال السير هنري: ثمة أمر آخر، من الأفضل أن ترى هذه.

فتح قصاصة ورق مطوية ودفع بها عبر الطاولة. هذه المرة لم يستطع كبير المفتشين المحافظة على هدوئه، بل صفر قائلاً: هكذا الأمر إذن؟ هذا يلقي ضوءاً جديداً تماماً على القضية.

كيف استطعت نبش هذه الوثيقة؟

قال السير هنري: إن لدى النساء اهتماماً أبدياً بقضايا الزواج.

أجاب كبير المفتشين: ولا سيما العوانس المسنّات!

-٣-

رفع كونوي جفرسن نظره عند دخول صديقه، وتهلّل وجهه المتجهم بابتسامة ثم قال: حسناً، لقد أخبرتهم، وقد تفهموا الأمر بشكل جيد جداً.

- ماذا قلت؟

- أخبرتهم بأنني شعرت بعد موت روبي برغبتي في تحويل مبلغ الخمسين ألف جنيه الذي تركته لها في الأصل إلى مشروع يرتبط بذكراها، وقررت أن أتبرع بنُزُل للفتيات اللاتي يمارسن مهنة الرقص في لندن. إنها طريقة سخيفة جداً لتوصي بأموالك، وقد دُهِشت لتصديقهم الفكرة... وكأني يمكن فعلاً أن أقوم بأمر كهذا!

ثم أضاف السيد جفرسن بشيء من التأمل: لقد جعلت من نفسي أضحوكة بتعلقي بتلك الفتاة. لا بد أنني أصبحت عجوزاً سخيفاً، أستطيع أن أدرك ذلك الآن. لقد كانت طفلة جميلة، ولكن معظم ما أعجبني فيها كان من صنع خيالي وتمنياتي أنا. لقد أقنعت نفسي بأنها روزاموند أخرى، فقد كانت لها نفس

لون بشرتها، ولكن ليس لها نفس القلب أو العقل!

-٤-

نزل السير هنري إلى الطابق السفلي ووجّه سؤالاً إلى الحمّال الذي أجابه: السيد غاسكيل يا سيدي؟ لقد انطلق للتوّ في سيارته؛ اضطر أن يذهب إلى لندن.

- آه، فهمت. هل السيدة جفرسن موجودة هنا؟

- السيدة جفرسن صعدت لتوّها لتأوي إلى فراشها يا سيدي.

نظر السير هنري إلى الردهة ثم إلى قاعة الرقص. في الردهة كان هوغو ماكلين عابسا منهمكاً في حل لغز كلمات متقاطعة، وفي قاعة الرقص كانت جوزي تبتسم بشجاعة في وجه رجل بدين فيما كانت قدماها الرشيقتان تتجنبان وطأة دعسته المدمّرة! أما ريموند الرشيق السَّئِم فكان يراقص فتاة بدت وكأنها مصابة بفقر الدم وتعاني من زوائد أنفية، وكانت ترتدي ثوباً باهظ الثمن بالغ البشاعة.

همس السير هنري مع نفسه قائلاً: إذن، إلى الفراش.

ثم صعد إلى الطابق العلوي.

-٥-

كانت الساعة الثالثة صباحاً، وقد هدأت الريح وسطع ضوء القمر فوق مياه البحر الهادئة. لم يكن في غرفة كونوي جفرسن أي صوت سوى صوت تنفسه العميق وهو نائم مُسْنِداً ظهرَه إلى كثير من الوسائد العالية.

لم يكن هناك من نسيم يحرك ستائر النافذة، ولكنها تحركت... تباعدت قطعتا الستارة لوهلة وتراءى خيال شخص في ضوء القمر، ثم عادت الستائر إلى مكانها وعاد كل شيء إلى هدوئه من جديد، باستثناء وجود شخص آخر داخل الغرفة!

اقترب المتسلل من السرير شيئاً فشيئاً، ولم يتغير النَّفَس العميق فوق الوسائد. لم يكن ثمة صوت، أو لم يكد يُسمَع صوت. استعدّت سبّابةٌ وإبهامٌ لإمساك ثنية من الجلد، وفي اليد الأخرى كانت الحقنة جاهزة.

ثم فجأة، ومن وسط الظلمة، امتدّت يدٌ وقبضت على اليد التي تمسك الإبرة، بينما أمسكت اليد الأخرى بالشخص بقبضة من حديد. وجاء صوت هادئ غير منفعل، صوت القانون، قائلاً: لا، لا تفعلي ذلك. أريد تلك الحقنة.

أُنيرت الغرفة، ومن فوق وسادته نظر كونوي جفرسن بتجهّم إلى قاتلة روبي كين.

* * *

الفصل الثامن عشر

-١-

قال السير هنري كليذرنغ: دعيني أتحدث مثل الدكتور واطسون: "أريد أن أعرف أساليبك يا آنسة ماربل".

وقال رئيس المفتشين هاربر: وأنا أودّ أن أعرف ما الذي هداك إلى معرفة ذلك؟

وأضاف الكولونيل ميلتشيت: لقد فعلتِها ثانية والله! أريد أن أسمع القصة كلها من البداية.

احمرّ وجه الآنسة ماربل وابتسمت وبدت في غاية الحرج من هذا التركيز عليها. قالت: أخشى أنكم سترون أن «أساليبي» -كما سمّاها السير هنري- أساليب هواة تماماً. والحقيقة أن معظم الناس، ودون أن أستثني رجال الشرطة، شديدو الثقة بهذا العالَم الشرير، فهم يصدقون ما يُقال لهم. أما أنا فلا أصدّق أبداً ما أسمعه، بل أخشى أنني أحب دائماً أن أتوثّق من الأشياء بنفسي.

ردّ السير هنري: هذا هو الأسلوب العلمي.

- في هذه القضية تم منذ البداية التسليم ببعض الأمور الافتراضية بدلاً من التمسك بالحقائق فقط. الحقائق -كما لاحظتُها أنا- أن الضحية كانت صغيرة تماماً، وأنها كانت تقضم أظافرها، وأن أسنانها كانت بارزة إلى الخارج قليلاً، تماماً كما هي حال الكثير من الفتيات الصغيرات عندما لا يتم إصلاح ذلك في الوقت المناسب بواسطة قوالب تقويم الأسنان... والأطفال عادة ما يتصرفون بشقاوة حيال هذه القوالب إذ يستغلون فرصة غياب الكبار عنهم كي ينزعوها! ولكن هذا يشكل خروجاً عن موضوعنا الرئيسي. أين وصلتُ في حديثي؟

آه، نعم، وأنا أنظر إلى الفتاة الميتة شعرت بالأسى لأن من المحزن دائماً أن ترى حياة شابة وقد اغتيلت مبكراً، وفكّرت بأن مَن فعل ذلك شرير جداً كائناً من كان. بالطبع كان العثور عليها في مكتبة الكولونيل بانتري محيّراً جداً، بدا الأمر مستهجَناً حتى لو قرأنا خبره في رواية خيالية! والحقيقة أن ذلك قد قدّم نمطاً غير صحيح لمجريات القضية. إنه لم يكن مقصوداً، وهذا ما أربكَنا كثيراً. كانت الفكرة الحقيقية هي إلصاق الجثة بالمسكين بيسل بليك (وهو شخص أرجح احتمالاً لأن يرتكب جريمة كهذه)، ولكن تصرّفه -إذ وضعها في مكتبة الكولونيل- أخّرَ اكتشاف الأمور بشكل كبير، ولا بدّ أن الأمر كان مصدر إزعاج كبير للقاتل الحقيقي.

كان من شأن السيد بليك أن يكون أول المشتبه بهم، فسوف تُثبت تحريات الشرطة في ديناماوث أنه كان يعرف الفتاة، ثم سيكتشفون أنه على علاقة بفتاة أخرى، وسوف يفترضون أن

روبي جاءت لتبتزّه أو لشيء مشابه، الأمر الذي دفعه إلى خنقها في نوبة من الغضب... مجرد جريمة عادية قذرة. ولكن ذلك كله انقلب رأساً على عقب بالطبع، وسرعان ما أصبح الاهتمام منصباً بشكل مبكّر على عائلة جفرسن، مما سبب إزعاجاً كبيراً لشخص معيّن.

وكما أخبرتكم فإن لديّ عقلاً كثير الشكوك. يقول لي ابن أخي ريموند مازحاً إن معظم الجيل الفكتوري كذلك، ولكني أحسب أن الفكتوريين كانوا يعرفون الكثير عن الطبيعة البشرية لا أكثر ولا أقل.

كما قلت، وبفضل امتلاكي لهذا العقل نظرت فوراً إلى الأمر من الزاوية المالية. شخصان فقط كان من شأنهما الاستفادة من موت الفتاة، لا نستطيع تجنب التفكير في ذلك. إن خمسين ألف جنيه مبلغ كبير جداً، ولا سيما عندما يعاني المرء من أزمات مالية كما كانت حالة هذين الشخصين كليهما. لقد بدا الاثنان لطيفَين محبوبين ولم يَبدُ أنهما مُشتبَهان مُحتمَلان، ولكن أحداً لا يستطيع الجزم بشيء، أليس كذلك؟

السيدة جفرسن -على سبيل المثال- يحبها الجميع، لكن بدا واضحاً أنها أصبحت قلقة جداً في ذلك الصيف وأنها قد ضجرت من الحياة التي تعيشها، والتي تعتمد فيها بشكل كامل على حَميها. وهي تعرف أنه لن يستطيع العيش لفترة طويلة، فقد أخبرها الطبيب بذلك، ولذلك كان الأمر على أفضل ما يرام... أو لنقل دون مواربة: كان من شأن ذلك أن يكون على ما يرام لولا ظهور روبي كين في الصورة. لقد كانت السيدة

جفرسن تحب ابنها حباً جماً، وتؤمن بعض النساء بفكرة غريبة مفادها أن الجرائم التي تقترَف من أجل الأبناء تكاد تكون مبرَّرة أخلاقياً. لقد صادفني مثل هذا الموقف مرة أو مرتين في القرية، إذ كانت إحداهن تقول: "لقد كان هذا كله من أجل ديزي يا آنسة"! ويبدو أنهم يعتقدون أن ذلك يجعل السلوك المُريب أمراً مقبولاً تماماً، وهو تفكير خاطئ جداً.

كان السيد مارك غاسكيل طبعاً مرشَّحاً أرجح احتمالاً منذ البداية... إن جاز استخدام هذا التعبير الرياضي. فهو مقامر، وقد خُيِّل إليّ أنه لا يمتلك منظومة أخلاقية رفيعة. ولكني كنتُ أرى -لأسباب معينة- أن هناك امرأة متورطة في هذه الجريمة. وكما قلت، ففي تركيزي على الدافع وراء الجريمة بدت الناحية المالية موحية جداً، لذلك كان من المربك معرفة أن كلاً من الشخصين كان لديه دليل غياب عن مكان الجريمة عندما لاقت روبي كين حتفها، حسبما أشارت إليه الأدلة الطبية.

ولكن سرعان ما جاء بعد ذلك اكتشاف السيارة المحروقة ووجود جثة باميلا ريفز داخلها، وعندها تكشّف الأمر جليّاً؛ فأدلة الدفع بالغيبة عن مكان الجريمة لم يَعُد لها قيمة. بات لديّ الآن النصفان المكوّنان للقضية، وكلاهما مقنع تماماً، ولكنهما لم يتطابقا. لا بد من وجود حلقة وصل بينهما، ولكنني لم أستطع العثور عليها، فالشخص الذي عرفتُ أنه على علاقة بالجريمة لم يكن لديه دافع لارتكابها.

أردفت الآنسة ماربل بتأمل: كان ذلك غباء مني، ولولا لقائي مع دينا لي لما خطر الأمر ببالي. كان أوضح أمر

في العالم... مكتب سومرست، الزواج! لم تكن المسألة مسألة السيد غاسكيل أو السيدة جفرسن فحسب، بل كانت هناك احتمالات أخرى تتعلق بإمكانية وجود زواج. لو كان أي من هذين الشخصين متزوجاً أو يُحتمَل أن يتزوج، عندها سيكون الطرف الآخر في عقد الزواج متورطاً أيضاً.

ربما فكر ريموند -مثلاً- أن لديه فرصة جيدة للزواج بامرأة ثرية. لقد كان يبدي عناية فائقة بالسيدة جفرسن، وأعتقد أن سحره هو الذي أيقظها من سباتها الطويل كأرملة، وقد كانت قبل ذلك مقتنعة تماماً بمجرد كونها ابنة للسيد جفرسن. وبالإضافة إلى ريموند كان هناك السيد ماكلين، فقد أُعجبَت به كثيراً وبدا من المحتمَل جداً أن تتزوج به في النهاية. وهو لم يكن ميسور الحال، كما أنه لم يكن بعيداً عن دينماوث ليلة الجريمة. وهكذا بدا الأمر وكأن بوسع أي شخص أن يكون الفاعل! ولكني -في الحقيقة- كنت أعرف في داخلي. إنك لا تستطيع أن تتجاهل تلك الأظافر المقضومة، أليس كذلك؟

تساءل السير هنري: الأظافر؟ ولكنها كسرت ظفرها فقامت بتقليم الأظافر الأخرى.

- هذا هراء. ثمة فرق واضح بين الأظافر المقضومة والأظافر التي بولغ في تقليمها. لا يمكن لأي مُطّلع على الأمور المتعلقة بأظافر الفتيات أن يخلط بين الحالتين، فلطالما أخبرتُ الفتيات في صفّي بأن الأظافر المقضومة بشعة جداً. لقد كانت تلك الأظافر حقيقة قوية إن كنت تفهمني، وما كان لها أن تعني إلاّ شيئاً واحداً فقط: أن الجثة التي عُثر عليها في مكتبة

الكولونيل بانتري لم تكن جثة روبي كين قط.

وهذا ما يدفعك إلى التفكير بشخص لا بدّ أن يكون مَعْنياً بالأمر، وهذا الشخص هو جوزي! فجوزي هي التي تعرّفت على الجثة. وقد علمَت (أو لا بد أنها علمت) أنها لم تكن جثة روبي، لكنها قالت إنها جثتها. وقد شعرَت بالحيرة، بالحيرة الشديدة، بسبب العثور على الجثة في المكان الذي عُثر عليها فيه، حتى لقد بدر منها عملياً ما يَشي بهذه الحقيقة. لماذا؟ لأنها كانت تعلم حق العلم أين كان يُفترَض العثور على الجثة... في بيت بيسل بليك! ومَن الذي وجّه اهتمامنا إلى بيسل؟ إنها جوزي، وذلك بقولها لريموند إن روبي ربما كانت «مع صاحب الأفلام»، وقبل ذلك عندما دسّت صورة له في حقيبة روبي اليدوية. ومَن الذي أضمر غضباً مريراً على الفتاة الميتة بحيث لم تستطع إخفاءه حتى وهي تنظر إليها جثة هامدة؟ إنها جوزي. جوزي التي كانت داهية، عملية، قاسية كالحديد الصلب، والتي كانت تسعى جاهدة خلف المال.

هذا ما قصدته عندما تحدثتُ عن مَيلنا السريع إلى الثقة بالناس. لم يفكر أحدٌ في تكذيب قول جوزي إن الجثة كانت لروبي كين، وذلك -ببساطة- لأنه لم يكن يبدو وقتها أن لديها الدافع للكذب. لقد كانت الصعوبة تكمن دائماً في العثور على الدافع. من الواضح أن جوزي كانت متورطة، ولكن موت روبي بدا مناقضاً لمصالحها، ولم أكتشف حلقة الوصل إلاّ حين أشارت دينا لي إلى مكتب سومرست الذي يقوم بتثبيت عقود الزواج.

الزواج! إن كانت جوزي ومارك غاسكيل متزوجَين بالفعل فعندها يتضح الأمر كله. وكما نعلم الآن، فقد كان مارك وجوزي متزوجَين منذ عام، لكنهما حرصا على إبقاء الأمر سراً إلى ما بعد وفاة السيد جفرسن.

لقد كان من الممتع جداً متابعة مجرى الأحداث ومعرفة كيف تطورت الخطة، فقد كانت معقّدة، ولكنها بسيطة مع ذلك. أولاً اختيار الطفلة المسكينة، باميلا، والتقرب منها من زاوية العمل في السينما. اختبار تمثيل... وبالطبع لم تستطع الطفلة المسكينة أن تقاوم مثل تلك الفرصة، ولا سيما عندما تُشرَح لها المسألة بطريقة جديرة ظاهرياً بالتصديق كما شرحها لها مارك غاسكيل. لقد أتت إلى الفندق، وكان هو بانتظارها، فأدخلها من الباب الجانبي وقدمها إلى جوزي على أنها إحدى خبيرات التجميل العاملة معهم. تلك الطفلة المسكينة! إن التفكير بما حدث لها يُشعرني بالاشمئزاز! جلسَت في حمام جوزي بينما قامت هذه الأخيرة بتغيير لون شعرها إلى الأشقر ووضعت المساحيق على وجهها والطلاء على أظافر يديها، وخلال ذلك قُدِّم لها المخدِّر في كأس من الشراب الغازي على الأرجح... فدخلت في غيبوبة. ويُخيَّل إليّ أنهم وضعوها في واحدة من الغرف الخالية المقابلة التي أتذكر أنها تنظَّف مرة واحدة أسبوعياً فقط.

بعد العشاء خرج مارك غاسكيل بسيارته متوجهاً إلى الشاطئ وفق روايته هو، ولكن الحقيقة أنه قام عندئذ بنقل باميلا إلى بيت بيسل وهي مرتدية أحد أثواب روبي القديمة،

ورتّب وضعها على السجادة أمام الموقد. كانت ما تزال غائبة عن الوعي غير ميتة بعد، فخنقها عندئذ بحزام الثوب. إنها ميتة بشعة تماماً، ولكني آمُل أن لا تكون قد شعرت بشيء. إنني لأشعر بالسرور حقاً عندما أتخيل أنه سيُشنَق.

لا بد أن ذلك كان بعد الساعة العاشرة تماماً، وبعدها رجع يقود سيارته بأقصى سرعة ليجد الآخرين في الردهة حيث كانت روبي كين -وهي ما تزال حية- تؤدّي رقصتها الاستعراضية مع ريموند. وأتخيّل أن جوزي كانت قد أعطت روبي تعليمات مسبقة، فروبي كانت معتادة على اتّباع تعليمات جوزي. لقد طُلب منها أن تبدل ملابسها وتدخل إلى غرفة جوزي وتنتظر هناك، وقد تم تخديرها هي الأخرى، غالباً بواسطة القهوة التي شربتها بعد العشاء، فقد كانت تتثاءب وهي تراقص الشاب بارليت إن كنتم تتذكرون.

صعدت جوزي لاحقا «للبحث عنها»، ولكن أحداً لم يدخل إلى غرفة جوزي باستثناء جوزي نفسها. ولعلها أجهزت على الفتاة وقتها، ربما بواسطة حقنة أو بضربة على مؤخرة الرأس... ثم نزلت إلى الطابق السفلي فرقصت مع ريموند وتساءلت مع جفرسن أين عسى روبي تكون؟ وأخيراً ذهبت إلى الفراش. في ساعات الصباح الأولى ألبست الفتاة ثياب باميلا وحملت الجثة إلى الطابق السفلي، فقد كانت شابة ذات عضلات قوية. ثم أحضرت سيارة جورج بارليت فقادتها لمسافة ميلين إلى مقلع الحجارة، وهناك سكبت عليها الوَقود وأشعلتها، ثم عادت مشياً إلى الفندق. ولعلها قد وقّتت وصولها

ما بين الساعة الثامنة والتاسعة على أساس أنها استيقظت باكراً بسبب قلقها على روبي!

قال الكولونيل ميلتشيت: إنها خطة دقيقة.

فأجابت الآنسة ماربل: ليست أدقّ من حركات الرقص! لقد كانت امرأة شديدة التدقيق والحرص، حتى إنها تنبأت بإمكانية ملاحظة التناقض في مسألة الأظافر، ولهذا السبب رتّبت لكسر أحد أظافر روبي وتركه على شالها مما يقدّم تبريراً للادّعاء بأن روبي قد بالغت في تقليم أظافرها.

علق هاربر قائلاً: نعم، لقد فكرَت في كل شيء... والدليل الحقيقي الوحيد الذي كنتِ تمتلكينه يا آنسة ماربل هو أظافر الفتاة المقضومة!

- الأكثر من ذلك هو أن الناس لا بد أن يُكثروا من الكلام. مارك غاسكيل تكلم كثيراً، كان يتحدث عن روبي فقال إن «أسنانها تكاد تدخل في حنجرتها»، ولكن أسنان الفتاة القتيلة في مكتبة الكولونيل بانتري كانت بارزة إلى الخارج!

قال كونوي جفرسن متجهّماً: وهل كانت مسرحية النهاية فكرتك يا آنسة ماربل؟

اعترفت الآنسة ماربل قائلة: حسناً، كانت فكرتي بالفعل، فمن المهم أن يتأكد المرء، أليس كذلك؟

علق كونوي جفرسن بتجهم: نعم، «التأكّد» هي الكلمة المناسبة.

- بمجرد أن علم مارك وجوزي بأنك ستكتب وصية جديدة كان عليهما القيام بأمر ما. كانا قد ارتكبا جريمتَي قتل من أجل المال، وما كانا ليتورّعا عن ارتكاب جريمة ثالثة. كان على مارك أن يبدو بريئاً تماماً بالطبع، ولذلك فقد انطلق إلى لندن ووفّر دليل وجوده بعيداً عن مسرح الجريمة بتناوله الطعام مع أصدقائه في أحد المطاعم ومن ثَم خروجه إلى ناد ليلي. كان على جوزي أن تقوم بالمهمة. لقد كانا يرغبان في إلقاء مسؤولية موت روبي على عاتق بيسل، ولذلك يجب أن تبدو وفاة السيد جفرسن وكأنها ناجمة عن توقف قلبه. كان في الحقنة ديجيتالين كما أخبرني كبير المفتشين، وكان من شأن أي طبيب أن يعتبر أن الوفاة سببها أزمة قلبية، وهذا أمر طبيعي في مثل هذه الظروف. وقد خلخلت جوزي إحدى الكرات الحجرية على الشرفة لتدعها تهوي إلى الأسفل لاحقاً، وبذلك يفسَّر الموت على أنه حدث بسبب الصدمة من الصوت المدوّي.

قال ميلتشيت: يا لها من شيطان بارع!

وتساءل السير هنري: إذن كان يُفترَض أن يكون القتيل الثالث الذي تحدثتِ عنه هو كونوي جفرسن؟

هزت الآنسة ماربل رأسها بالنفي وقالت: آه، لا. ما عنيته هو بيسل بليك، فقد كانا سيتسبّبان في شنقه.

قال السير هنري: أو في حبسه في سجن برودمور.

دمدم كونوي جفرسن قائلاً: لطالما أحسست أن روزاموند قد تزوّجت شخصاً فاسداً، لكنني كنت أحاول أن لا أعترف بذلك في قرارة نفسي. كانت مولعة به جداً... مولعة بقاتل!

حسناً، سوف يُشنَق هو وصاحبته. كم أنا سعيد لأنه انهار واعترف بكل شيء.

- كانت هي دائماً الشخصية القوية، وكانت الخطة خطتها منذ البداية. كانت المفارقة أنها هي التي أحضرت الفتاة إلى هنا بنفسها، ولم تتخيل قط أنها ستنال حب السيد جفرسن وتدمر كل مخططاتها.

قال السيد جفرسن: يا للفتاة الصغيرة المسكينة!

في تلك اللحظة دخلت أديليد جفرسن ومعها هوغو ماكلين. بدت أديليد جميلة في تلك الليلة، وتقدمت من السيد جفرسن فوضعت يدها فوق كتفه وقالت بعد أن حبست أنفاسها قليلاً: أريد أن أخبرك بأمر يا جِف... وحالاً. سأتزوج هوغو.

رفع كونوي جفرسن نظره إليها للحظة وقال باقتضاب: حان الوقت لتتزوجي ثانية. أقدم تهنئتي الحارة لكما. على فكرة يا آدي، سوف أُعِدّ وصية جديدة غداً.

أومأت أديليد برأسها وقالت: نعم، أعرف.

- لا، لا تعرفين. سأخصص مبلغ عشرة آلاف جنيه لك، وكل شيء آخر سَيؤول إلى بيتر عندما أموت. هل يناسبك ذلك يا بنيّتي؟

تهدّج صوتها وأجابته: آه، جف... أنت رائع!

- إنه فتى لطيف وأريد أن أراه يترقّى... خلال الفترة المتبقية من عمري.

- آه، سوف تراه كذلك.

ثم قال كونوي جفرسن بتأمل: إن لبيتر حدساً مميزاً تجاه الجرائم، فهو لم يكتفِ بالعثور على ظفر الفتاة القتيلة... أو إحدى القتيلتين، بل كان محظوظاً بحصوله أيضاً على جزء من شال جوزي الذي علق به الظفر، وبذلك يكون لديه تذكار من القاتلة أيضاً! هذا ما سيجعله سعيداً جداً.

-٢-

مرّ هوغو وأديليد بقاعة الفندق، وجاء ريموند إليهما فقالت أديليد بسرعة: لا بد أن أبلغك أخباري، أنا وهوغو سنتزوج.

بدت على وجه ريموند ابتسامة رائعة، ابتسامة شجاعة تنمّ عن تفكير عميق. حدق إلى عينيها وقال متجاهلاً هوغو: آمل أن تكوني سعيدة جداً، جداً.

مضى الاثنان فيما وقف ريموند يلاحقهما بنظراته، ثم قال لنفسه: إنها امرأة رائعة، رائعة جداً، وسيكون لديها المال أيضاً. المشكلة أنني اعتدت أن أردّد تلك القصة المختلَقة حول ديفونشاير ستارز. حسناً، لقد تلاشى حظي. ارقص... ارقص ما شاء لك الرقص أيها الفتى!



-تمت-